أروع ما حكي من
قصص العرب في الزواج

أروع ما حكي من
قصص العرب في الزواج

اختارها وهذبها وعلق عليها
الدكتور محمد ألتونجي

دار المعرفة
بيروت ـ لبنان

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية
محفوظة لدار المعرفة بيروت ـ لبنان

Copyright© All rights reserved
Exclusive rights by **Dar Al-Marefah**
Beirut - Lebanon

ISBN 9953-446-72-5

الطبعة الثانية
1428 هـ \ 2007 م

دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع
DAR AL-MAREFAH
Printing & Publishing

جسر ع البرجاوي • هاتف: ٨٣٤٣٠١ـ٨٣٤٣٣٢
فاكس: ٨٣٥٦١٤ • ص.ب: ٧٨٧٦ ـ بيروت ـ لبنان
Airport Bridge Birjawi Str. • Tel: 834301-834332
Fax: 835614 • P.O.Box: 7876 Beirut - Lebanon
Email: info@marefah.com • www.marefah.com

المقدمة

بدأ الكونُ بزوجين، هما أولُ مَن خلق الله: آدمُ وحواءُ. وقد حضَّت الديانـاتُ السـماوية، والمجتمعاتُ البشرية، والأعرافُ والتقاليد على هذا الرابط المشترك حمايةً للمجتمع، وأماناً من الفساد.

وقد حفلَ القرآن الكريم بعشراتِ الآياتِ المكية والمدنية التي تحضُّ على الزواج، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾[1]، وقـولـه: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾[2]. وخطابُه تعالى لآدمَ بقولهِ: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾[3] دليلٌ على أنهما أول زوجين في السماءِ والأرض، وعلى أن زواجهما تمَّ في الجنة، وعلى أن الرابط بين الرجل والمرأة يكون بالزواج.

واهتمَّ رسولُ الله ﷺ بأمر الزواج، تأكيداً لأوامر الله،

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١١.
(٢) سورة النحل، الآية: ٧٢.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٥

وضماناً لانتظام الأسرة في المجتمع المسلم. من ذلك قوله: **«النكاحُ سُنَّتي فمن أحَبَّ فِطْرتي فليستَنَّ بسُنَّتي. تناكحوا تناسلوا، فإني أُباهي بكم الأممَ يومَ القيامة، ولو بالسِّقْط»**.

وحثَّ رسولُ الله ﷺ الشبابَ على الزواج، وإن كانوا فقراء، فَسَيُغْنيهم الله، فقال: **«مَن تركَ التزوُّجَ مخافةَ العائلةِ فليسَ منا»** ولهذا قيل؛ يُستقرضُ المال للنكاح، فإن ضمان ذلك على الله تعالى، ولا يخاف العسرةَ والفقر إذا كان نيتُه التعفُّفَ والتحصُّن[1].

واستبعدَ رسولُ الله ﷺ الزواجَ لعصبية، أو مال، أو حسبٍ، أو شرف دنيا، واستهدف النظامَ الاجتماعي السامي المبني على أسس الدين الحنيف، فقال: **«إذا أتاكم من ترضَون دينه فزوِّجوه، إلّا تَفعلوا تكنْ فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير»**.

والزواجُ يَتْبعه حسنُ معاملةِ الزوج لزوجته، وأداءُ حقوقِها على أكمل وجه، ومعاملتُها بالمعروف، فقال: **«وإنَّ لزوجتك عليك حقاً»**. وكذا الأمر بالنسبة إلى الزوجة في قيامها بواجباتها المنزلية، وتربية أولادها حقَّ التربية، وتنفيذ رغباتِ زوجِها عن طيب خاطرٍ، فقال: **«بِرُّ المرأةِ المؤمنةِ كعملِ سبعين صِدِّيقاً»**.

---

(١) نزهة المتأمل ومرشد المتأهل للسيوطي: ١٦.

هذا، وقد دَفَعني صديقي الناشر إلى صناعةِ كتاب خفيفٍ على النفس، طريفٍ في موضوعه، فيه عظةٌ ونفع، لكثرةِ الكتبِ العلمية الجادة. فاستبعدتُ الفكرةَ بادىء ذي بدء، ثم تذكرتُ الجاحظ والسيوطي وابنَ قيم الجوزية، وغيرهم من العلماء الجادين، فأقبلتْ نفسي على الفكرةِ، ولقيتْ هوًى، ولا سيما أنني أحببتُ أن أنشُدَ الراحة لنفسي ولقلمي بصناعة كتاب تحبُّه كلُّ نفس، ويُقبل المطالعُ عليه بشغفٍ بكل جوارحه، وذلك إثرَ عودتي من عملي في جامعة السلطان قابوس، وقبلَ تشميرِ ساعدي لعمل مضنٍ كبير، عقدتُ العزمَ عليه، وهو «موسوعة إعراب القرآن».

ورأيت صناعةَ كتابٍ في أطرفِ قصصِ الزواج عند العرب، فغرقْتُ في لجج كتبِ الأدب أستمتحُها حكاياتِ الزواج، وأقاصيص الأزواج. فوجدتُ في هذا النوع من المطالعة مُتْعتين: متعةَ المطالعة اللذيذة، ومتعةَ إمتاع القارىء العزيز.

وقد ضممتُ في هذا الكتابِ قرابةَ سبعين قصةً، لم تكدُ قصةٌ تشبهُ أختاً لها، ولا يخرجُ قارئها عن مطالعتهِ إلا بعظةٍ، وحكمة، وخبرة، وجرأة تميَّزَ بها العربُ القدماء في سبيل نيل المرأة التي أحبَّها أحدُهم، ورغبَ في الاقتران بها، والمعاناة التي يكابدُها، وحدَّة الذكاء للوصول إلى بغيته الغالية.

وتخيَّرْتُ الأقاصيصَ من شتى العصور، بدءاً من العصر

الجاهلي، فعصر الخلفاء الراشدين، فالأمويين، والعباسيين، وإسهاماتِ الخلفاء والأمراء في مدِّ يد العون لطالبي الاقتران الحلال. ولم أعمد في سردِ هذه الأقاصيص إلى الترتيب الزمنيِّ، بل تركتُها معروضةً كما شاء القلم، كي يتذوَّقَ القارىء نكهاتٍ مختلفةً، ومذاقاتٍ متنوعةً.. وما أشبهَ هذه الأقاصيص بأقاصيص زواج شبابنا اليوم.

وسَيرى القارىء ما كان يعترضُ الشبابَ من مشكلاتٍ ومَعُوقاتٍ، من قلةِ المال، وعَنَتِ الأهل، والحَيْلولةِ دونَ إسعادِ المحبين، وقسوةِ الزمان، وجُمودِ العادات والتقاليد، ودَور الخطّاب والوُسَطاء، والمحبين والحساد، تماماً كما يجري اليوم، سوى أن همةَ شباب الأمس أقوى من همة شباب اليوم، والنفسَ البشرية هي هي، في كلِّ زمانٍ ومكان.

ويطيبُ لي هنا أن أذكُرَ رأيَ الجاحظ في شروط الزواج، ودَور الخطاب، قال: «إذا ابْتُلي الرجلُ بمحبةِ امرأة لنظرةٍ نظر إليها، ولمحةٍ منها، لم يكن يزوَّجُ مثلُه مثلَها، وكانت ممتنعةً. فالحيلةُ في ذلك أن يرسلَ إليها امرأةً قد كملتْ فيها سبعُ خصال: أن تكون كتومةً للسر، وأن تكون خدّاعةً لها معرفةٌ بالمكر، وأن تكون فطنةً متيقظة، وأن تكونَ ذاتَ حرصٍ، وأن تكون ذات حظٍّ من مالٍ، ولا تحتاج الناس، ولا ينكر الناسُ اختلافَها ودخولها عليها؛ بأن تكون إمّا بَيّاعةً

طيبٍ، أو قابلةً، أو صانعةً لآلة العرائس، وتقدِّمَ لها أرقَّ وألطفَ ما تقدرُ عليه، ولا تدعَ شيئاً من الشكوى واللطف، وتخبِرَها أنَّ نفسَه في يدها، وأنها متمثَّلةٌ بين عينيه، وأنه لا ينسى ذكرَها، وأنه يراها في المنام كلَّ ليلةٍ تضربُه وتُخاصمه، وأنه إنْ لم يَرَ منها نظرةً أو خلوةً هلك، وأنه لم يمنعه من خِطْبتها إلا خشيةَ الامتناعِ من أهلها إن كان دونَهم في الحسب والجاه والمال، وخوفَ التمنُّع منها أيضاً. فإنها إذا سمعت هذا وأمثالَه مرةً أو مرتين لم تدعْ أن تمكِّنَه بمال إن قدرتْ عليه، وأذنتْ له في خطبتها من أوليائها، فإذا شاوَرُوها في ذلك رضيتْ، وقد تمكَّنَ قوله في قلبها، توصَّلَ منها إلى ما أرادَ بحلالِ التزويج دونَ حيلة من حيلِ الحرام[1].

وقصصُ الزواج كثيرةٌ جداً في كتب الأدب، وما ذكرتُه هنا قليلٌ جداً من هذا الكثير، فلم أرِدْ أن أذكُرَ مكروراً، ولم أسْعَ إلى تضخيمِ الكتابِ حتى لا يملَّ القارىء، ولعل بعضَ الأدباء يُقبلون على إنشاء مثيل لهذا الكتاب، أو أنَّ هذه القصصَ تفتحُ لهم باباً متميزاً لدراسةِ هذا الجانبِ السامي من روابط المجتمع في كيفيةِ بناءِ الأسرة العربية.

وقد رجعتُ إلى مصادر أدبية عديدة، ولا أظُنُّني أغفلتُ مصدراً فيه قصةٌ طريفة. على أنني لم أتدخَّلْ كثيراً في النصِّ

(١) أخبار النساء لابن قيم الجوزية: ١٨٦.

فكرةً أو أسلوباً، بل دونتُه كما وردَ، إلا من بعض ما يتطلَّبُ العرضُ، ولاءَمتُ بينَ الروايات إن كانتِ القصةُ مذكورةً في أكثر من مصدر، وشرحتُ المفرداتِ الغريبةَ، وعرَّفتُ بالأعلام ممن لهم ذكر في التاريخ، والأدب، والسيرة.

ولاحظت أنَّ بعض الحكايات انفردَ ذكرُها في كتابٍ بعينهِ، وبعضَها تكرَّرَ ذكرُه في عددٍ من المصادر؛ بعضُها مفصَّلٌ وبعضها مختصر. وكنتُ أسجلُ في خاتمة كلِّ قصةٍ أسماءَ المصادر وأسماء مؤلفيها، مما رجعتُ إليه، حرصاً مني على الأمانة العلمية.

ولعلَّ هذه القصص تُلقي ضوءاً منيراً على فن القَصَص الوُجْداني عند العرب ورسوخِ مقوِّماتهِ، بكلِّ ما يتطلبُه هذا الفنُّ من عقدةٍ، وسَرد، ووصف، وحوار، وخاتمة.

وأرجو ـ ختاماً ـ أن يحققَ هذا الكتابُ الهدفَ الذي صِيغ من أجله، وهو متعةُ المطالعة، والتخفيفُ عن النفس المثقلة بأعباء الحياةِ، والاطلاعَ على أنواعِ سبل الزواج عند العرب، وأن يدفعَ شبابنا إلى الاستفادةِ من تجاربهم في سبيلِ العلاقةِ الشريفة، والاقترانِ الحلال.

والله من وراء القصد

٢٠٠٤/١١/٨

محمد التونجي

زواجُ عاتكة

لم يقَعْ لامرأةٍ ما نَعِمَتْ بهِ عاتكةُ بنتُ زيدِ بنِ عمرٍو؛ فقد تزوَّجَتْ أربعَ مرات: تزوَّجَتْ بابنِ خليفةِ نبيِّ الله، وثَنَّتْ بخليفةِ خليفةِ نبيِّ الله، وَثَلَّثَتْ بحوارِيِّ نبيِّ الله، ورَبَّعَتْ بابنِ نبيِّ الله، وكُلاًّ قَتَلَتْ.

تزوَّجَ عبدُ الله بنُ أبي بكرٍ الصِّديقِ عاتكةَ، وكانَتْ امرأةً لها جمالٌ وكمالٌ وتمامٌ في عقلها ومنظرِها وجَزالةِ رأيِها. وكانت غَلَبَتْ عبدَ الله على رأيهِ. فمرَّ عليه أبو بكرٍ الصديقُ أبوهُ، وهو في عِلِّيَّةٍ يُناغيها[1] في يومِ جُمْعَةٍ، وأبو بكرٍ متوجِّهٌ إلى الجمعة. ثمَّ رجعَ مِن صلاتهِ، وما زالَ عبدُ الله يُناغيها. فناداهُ أبو بكرٍ: يا عبدَ الله أجَمَّعْتَ[2]؟ فسألَه عبدُ الله: أوَ صَلَّى الناسُ؟ قالَ: نعم. وكانتْ عاتكةُ قد شغلَتْهُ عن سوقٍ وتجارةٍ كانَ فيهما.

وقالَ له أبو بكر: قد شَغَلَتْك عاتكةُ عنِ المعاشِ والتجارةِ، وقد أَلْهَتْكَ عن الفرائضِ، طَلِّقْها. فاستجابَ عبدُ الله

(١) العلية: بيت مرتفع. يناغيها. يداعبها.

(٢) جمَّعَ: شهد الجمعة وصلاها.

لأمرِ والدهِ، وطَلَّقَها تطليقةً، وتحوَّلَتْ إلى ناحيةٍ من الدار. فبينا كانَ أبو بكرٍ يُصلي على سَطحٍ له في الليل، إذ سمعَ ابنَه يُنْشِدُ:

أعاتِكُ لا أنساكِ ما ذَرَّ شارقٌ
وما ناحَ قُمْرِيُّ الحمام المطوَّقُ[1]

أعاتِكُ قلبي كلَّ يومٍ وليلةٍ
لديكِ بما تُخفي النفوسُ معلَّقُ

لها خُلُقٌ جَزْلٌ ورَأيٌ ومَنْطِقٌ
وخَلْقٌ مَصونٌ في حياءٍ ومَصْدَقُ

فلم أرَ مثلي طلَّقَ اليومَ مِثْلَها
ولا مِثْلَها في غيرِ شيءٍ تُطَلَّقُ

فسمع أبو بكر قولَه فأشرَفَ عليه وقد رقَّ له فقال: يا عبدَ الله راجِعْ عاتكةَ. فقال فَرِحاً: أُشْهِدُكَ أني قد راجعتُها. وأشرفَ عبدُ الله على غلامٍ له يقالُ له أيمنُ وقالَ له: يا أيمنُ أنتَ حرٌّ لوجهِ الله تعالى، وأُشْهِدُك أني قد راجعتُ عاتكة. ثم خرجَ إليها يَجري إلى مؤخَّرِ الدارِ، وهو يقول:

أعاتكُ قد طُلِّقْتِ في غيرِ رِيبةٍ
ورُوجعتِ للأمرِ الذي هوَ كائنُ

(١) ما ذرّ شارق: ما طلعت الشمس حين تشرق.

كـــذلـــكَ أمـــرُ الله غـــادٍ ورائـــحٌ
عـلـى الـنـاس فـيـه أُلْـفَـةٌ وتَـبـايُـنُ

ومـا زالَ قـلـبـي لـلـتـفـرُّقِ طـائـراً
وقـلـبـي لِـمـا قـد قـرَّبَ الـلَّـهُ سـاكـنُ

لـيـهْـنِـكِ أنـي لا أرى فـيـك سُـخْـطَـةً
وأنـكِ قـد تَـمَّـتْ عـلـيـكِ الـمـحـاسِـنُ

وأعطاها حديقةً له حينَ راجَعَها، على ألّا تتزوَّجَ بعدَه. فلما ماتَ منَ السَّهم الذي أصابه بالطائف، أنشأتْ تقولُ مُعْلنةً عن حُبِّها لعبد الله:

فـلـلَّـهِ عـيـنـا مَـن رأى مـثـلَـهُ فـتًـى
أكـرَّ وأَحـمـى فـي الـهـيـاجِ وأصـبـرا

إذا شُـرِّعَـت فـيـه الأسِـنَّـةُ خـاضَـهـا
إلى الموتِ حتى يترُكَ الرمحَ أحمرا

فأقسمتُ لا تنفكُّ عَيني سَخينةً[1]
عـلـيـكَ، ولا يـنـفـكُّ جـلـديَ أغـبـرا

فخطَبَها عمرُ بنُ الخطاب فقالتْ له: قد كان عبدُ الله أعطاني حديقةً على ألّا أتزوَّجَ بعدَهُ. فقال عمر لها: فاسْتَقْتي.

(١) سخينة: دامعة.

فاسْتَفْتَتْ عليَّ بنَ أبي طالبٍ، فقال لها: رُدِّي الحديقَةَ على أهلهِ وتزوَّجي. فردَّتِ الحديقةَ وتزوَّجَتْ عمر.

فسرَّحَ عمرُ[1] إلى عدَّةٍ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ، وفيهم عليُّ بنُ أبي طالبٍ لمّا بَنَى بها. فقال له عليٌّ: إنَّ لي إلى عاتكةَ حاجَةً، أريدُ أنْ أذكِّرَها إياها، فقُلْ لها تستتِرْ حتى أكلِّمَها. فقالَ لها عمرُ: اسْتَتِري يا عاتكةُ؛ فإنَّ ابنَ أبي طالبٍ يريدُ أنْ يكلمَكِ. فأخذَتْ عليها مِرْطَها، فقالَ لها: يا عاتكة:

فأقسمتُ لا تنفَكُّ عَيني سَخينةً
عليكَ، ولا ينفَكُّ جِلديَ أغبرا

فقالَ له عمرُ معاتباً: ما أردتَ إلا هذا؟ فقالَ علي: ما أرادتْ إلا أن تقولَ ما لا تفعلُ، وقد قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾[2]. وهذا شيءٌ كانَ في نفسي، أحببتُ والله أن يخرُجَ. فقال عمرُ: ما حسَّنَ اللَّهُ فهو حسَنٌ.

فلما قُتل عمرُ قالتْ تَرثيه:

عينُ جودي بعبرةٍ ونحيبِ
ولا تَمَلِّي على الإمامِ النَّجيبِ

(١) سرَّح: دعا.
(٢) سورة الصف، الآية: ٣.

فَجَعَتْنا المنونُ بالفارسِ المُغـ
ـلَمِ يومَ الهِياجِ والتَّلْبيبِ

فلما انقضَتْ عِدَّتُها خطبَها الزبيرُ بنُ العوَّام ـ أحدُ الصحابة المبشَّرين بالجنة ـ فتزوَّجَها. فلما ملكَها قال: يا عاتكةُ لا تَخْرجي إلى المسجد. وكانت امرأةً عجزاءَ بادنةً، فقالت: يا بنَ العوام، أتريدُ أن أدَعَ لِغَيْرتِكَ مُصَلَّى صليتُ معَ رسولِ الله ﷺ وأبي بكرٍ فيه؟ فقال لها: فإني لا أمنعُكِ. فلما سمعَ النداءَ لصلاةِ الصبحِ، توضَّأ وخرجَ. فقامَ لها في سقيفةِ بني ساعدةَ. فلما مرَّتْ به ضَرَبَ بيدِهِ على عَجِيزتها، فقالتْ: ما لَكَ قطعَ اللَّهُ يدَكَ! ورجعَتْ إلى بيتها، ولم تَعْرِف أنَّه زوجُها.

فلما عادَ الزبيرُ من المسجدِ قال: يا عاتكةُ، ما لي لم أركِ في مُصَلاكِ؟ قالت: يرحمُكَ اللَّهُ أبا العباس، فَسَدَ الناسُ بعدَك، الصلاةُ اليومَ في القَيْطون[1] أفضلُ منها في البيت، وفي البيت أفضلُ منها في الحجرة. ولم يقُلْ لها ما فعلَ، ولم تقلْ له ما حصلَ.

فلما قُتل الزبيرُ رثَتْهُ فقالت:

غدرَ ابنُ جرموزٍ[2] بفارسِ بُهمةٍ
يومَ اللقاءِ، وكان غيرَ مُعَرَّدِ

(١) القيطون: المخدع.
(٢) ابن جرموز: قاتل الزبير في وادي السباع، قتله الله. معرِّد: هارب.

هَبِلَتْكَ أمُّك إنْ قتلتَ لَمُسْلماً
حلَّتْ عليك عقوبةُ المُتَعَمِّدِ[١]

فلما انقضَتْ عِدَّتُها تزوَّجَها الحسينُ بنُ علي عليه السلام. فكانت أولَ من رفعَ خدَّه منَ التراب ـ لعنَ اللَّهُ قاتلَهُ ـ يومَ قُتل. وقالت ترثيه:

واحُسَينا، فلا نسيتُ حسيناً
أقصدتْه أسِنَّةُ الأعداءِ[٢]

غادَروهُ بكربلاءَ صريعاً
جادتِ المُزْنُ في ذَرى كربلاءِ

ثم تأيَّمَتْ[٣] بعدَه. فكانَ عبدُ الله بنُ عمرَ بنِ الخطاب يقولُ: «مَن أرادَ الشَّهادَةَ فليتزوَّجْ بعاتكةَ». وقد خطبَها مروانُ بنُ الحكم بعدَ الحسينِ، فامْتَنَعَتْ عليهِ، وقالتْ: ما كنتُ لأتَّخِذَ حَماً بعدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم. ويرْوَى أنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ خطبَها بعدَ مقتلِ الزُّبير، فقالتْ له: إني لأَضِنُّ بكَ على القتلِ يا بنَ عمِّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

ويُرْوى أنَّ طويساً المُغَني غَنَّى في فِتْيَةٍ شعرَ عاتكةَ في

(١) هبلتك: دعاء عليه، وكثيراً ما يستعمل في المدح والإعجاب، بمعنى: ما أعلمَه، وما أصوبَ رأيَه!
(٢) أقصدته: أصابته فلم تخطه.
(٣) تأيمت: مكثت في بيتها فلم تتزوج.

رثاءِ عمرَ، فأعْجَبَهُم الشعرَ. ولمّا سألوه اسمَ صاحبِ الشعرِ قال لهم: لأجملِ خلقِ الله وأشأمِهم. فقالوا: بأنْفُسِنا أنتَ، مَن هذهِ؟ قالَ: هي واللَّهِ مَن لا يُجْهَلُ نسَبُها، ولا يُدْفَعُ شرفُها؛ تزوَّجَتْ بابنِ خليفةِ رسولِ الله، وثَنَّت بخليفةِ خليفةِ نبيِّ الله، وثَلَّثَتْ بحواريِّ نبيِّ الله، ورَبَّعَتْ بابنِ نبيِّ الله، وكُلاً قَتَلَتْ. فسألوه: بآبائِنا أنتَ، مَن هذه؟ قال: عاتكةُ بنتُ زيدٍ. فقالوا: قُوموا بِنا، لا يُدْرِكُ مجلسَنا شُؤمُها. فقالَ طويسٌ لهم: إنَّ شؤمَها قد ماتَ معها.

المصادر:

- الأغاني: ١٨/٥٩.
- تزيين الأسواق - داود الأنطاكي: ١/ ٣٢٤.
- أسد الغابة - ابن الأثير: ٥/٤٩٨.

زواجُ أبي مُسْهِر

قال حمادٌ الراويةُ: أتيتُ مكةَ، فجلستُ في حَلْقَةٍ فيها عمرُ بن أبي ربيعةَ، فتذاكروا العُذْريين وعِشْقَهُم وصَبابَتُهم، فقال عمرُ: أحدِّثُكم عن بعضِ ذلك: إنَّه كانَ لي خليلٌ مِن عُذْرَةَ وكانَ مُسْتَهْتَراً[1] بحديثِ النساء؛ يُشَبِّبُ بهنَّ، ويُنْشِدُ فيهِنَّ، على أنه لا عاهِرُ الخَلْوة، ولا سريعُ السَّلْوَة. وكان يُوافي الموسِمَ كلَّ سنةٍ. وإنَّه راثَ[2] عني ذاتَ سَنَةٍ خبرُه. وقدِمَ وفدُ عذرةَ، فأتيتُ القومَ أنشُدُ عن صاحبِي، فإذا غلامٌ قد تَنَفَّسَ الصُّعَداءَ، ثم قال: عن أبي المُسْهِر تسأل؟ قلتُ: عنه نَشَدْتُ وإياهُ أردتُ، قال: هيهاتَ، أصبحَ ـ واللَّهِ ـ أبو مُسْهِرٍ لا مُؤيَساً منه فيُهمَلَ، ولا مَرجُوًّا فيعلَّلَ. أصبحَ واللَّهِ كما قال:

لعمرُكَ ما حُبِّي لأسماءَ تاركي
صحيحاً، ولا أقضي به فأموتُ

قلتُ: مَن أنتَ منهُ يا بنَ أخي؟ قال: أنا أخوهُ. فلما حججتُ وقفْتُ في الموضعِ الذي كنتُ أنا وهو نقفُ فيه

(١) المستهتر بالشيء: المولع به ولعاً شديداً.
(٢) راث: أبطأ.

بعرفاتٍ، وإذا أنا براكبٍ قد أقبَلَ حتى وقَفَ، وقد تغيَّرَ لونُهُ وساءَتْ هيئَتُه. فما عرفْتُه إلا بناقتهِ. فأقبلَ حتى خالفَ بينَ عُنُقِ ناقتي وناقتِه، ثم اعْتَنَقَني وجعلَ يَبْكي. فقلتُ: ما الذي دَهاكَ وما غالكَ؟ فقال: برَّحَ[1] العَذْلُ وطولُ المَطْلِ. ثم أنشأ يقول:

لئن كانتْ عديلةُ ذاتَ بَثٍّ
لقد علمتْ بأنَّ الحبَّ داءُ

ألَمْ تنظُرْ إلى تغييرِ جِسْمي،
وأنِّي لا يزايِلُني البكاءُ؟

إذا العُذْرِيُّ ماتَ بحتفِ أنفٍ
فذاكَ العبدُ يبكيهِ الرِّشاءُ[2]

فقلتُ: يا أبا مُسْهِرٍ، إنها ساعةٌ عظيمةٌ، وإنَّك في جَمْعٍ من أقطارِ الأرض، ولو دعوتَ كنتَ قَمِيناً أنْ تظفَرَ بحَاجَتِكَ. فجعَلَ يَدْعو، حتى إذا تَدَلَّتِ الشمسُ للغروب وهمَّ الناسُ بأنْ يُفيضوا[3]، سمعْتُه يُهَمْهِمُ. فأصَخْتُ له مُسْتَمعاً، فإذا هوَ يقول:

يا رَبَّ كلِّ غُدْوَةٍ ورَوْحَهْ
مِن مُخْرِمٍ يَشْكو الضُّحَى ولُوحَه

(١) برَّحَ به: جهده وآذاه أذًى شديداً.
(٢) مات حتف أنفه: مات على فراشه. الرشاء: حبل الدلو.
(٣) أفاضوا: دفعوا ورجعوا مسرعين إلى مكان آخر.

أنتَ حسيبُ الخَطْبِ يومَ الدَّوْحَهْ[١]

فقلتُ له: وما يومُ الدَّوحة؟ قال: سأخبِرُك إنْ شاء الله. إني امرؤٌ ذو مالٍ كثيرٍ من نَعَمٍ وشاءٍ. وإني خشيتُ على مالي التَّلَفَ، فأتيتُ أخوالي من كلبٍ، فأَوْسَعوا لي عَن صدرِ المجلس. ثم هَمَمْتُ يوماً بِمُواقَعَةِ[٢] إبلٍ لي بماءٍ يقالُ له الخَرَزات. فركبتُ وانطلقْتُ، حتى إذا كنتُ بينَ الحيِّ ومرعى النَّعَم، رُفِعَتْ لي دوحَةٌ عظيمةٌ، فقلتُ: لو نزلْتُ تحتَ هذهِ الشجرةِ، وتروَّحْتُ مُبْرِداً[٣]! فنزلتُ فشدَدْتُ فَرَسي بغصنٍ مِن أغصانِها، ثم جلسْتُ تَحْتَها، فإذا بغبارٍ قد سطَعَ. فتبيَّنْتُ فبدَتْ لي شخوصٌ ثلاثةٌ. فإذا رجلٌ يَطْرُدُ مِحلاً وأتاناً[٤]. فلما قَرُبَ مني إذا عليه درعٌ أصفَرُ وعِمامةُ خَزٍّ سوداءُ. وإذا هو تَنالُ فروعُ شعرِه كتفيهِ. فقلتُ في نفسي: غلامٌ حديثُ عهدٍ بعرسٍ، فأعجلتْه لذَّةُ الصيدِ فنسيَ ثوبَه، وأخذَ ثوبَ امرأتِهِ. فما لبثَ أنْ لَحِقَ بالمَحَلِ فصرعَهْ، ثم ثَنَّى طعنةَ الأتانِ فصَرَعَها.

فقلتُ له: إنك قد تعبتَ وأتعبتَ، فلو نزلْتَ. فثَنَى رِجْلَهُ فنزلَ، فشَدَّ فرسَه بغصنٍ من أغصانِ الشجرةِ، ثم أقبَلَ حَتَّى جلسَ قريباً مني. فجعلَ يحدِّثُني حديثاً ذكرتُ به قولَ الشاعر:

(١) اللوح: العطش: الدوحة: الشجرة العظيمة.
(٢) مواقعة: مداناة ومقاربة.
(٣) تروحت: ذهبت عند الرواح، أي المساء. مُبرداً: داخلاً في البرد.
(٤) المحل: الحمار الوحشي. الأتان: أنثاه.

وإنَّ حديثاً منكِ، لو تَبْذُليـنَهُ
جَنى النَّحْلِ في ألبانِ عَودٍ مَطافلِ[١]

فبينا هو كذلك، إذ حَكَّ بالسَّوطِ على ثَنِيَّته. فرأيتُ ـ واللَّهِ ـ يا بنَ أبي ربيعةَ ظِلَّ السَّوط بينَهُما. فما ملكتُ نفسي أن قبضتُ على السوط، وقلتُ: مَهْ[٢]. فقال: ولِمَ؟ قلتُ: إني أخافُ أن تكسِرَهما، فإنهما رقيقتان. قال: هُما عذْبَتانِ. ثم رفَعَ عقيرَتَهُ[٣] فجعلَ يغني:

إذا قـبَّـلَ الإنسـانُ آخَـرَ يَشْتَـهـي
ثـنـايـاهُ، لـم يَـأثَـمْ وكـانَ لـه أجـرا

فـإنْ زادَ زادَ الـلَّـهُ فـي حـسـنـاتـهِ
مثاقيلَ يَمْحو اللَّهُ عنه بها الوِزْرا

ثم قال لي: ما هذا الذي عَلَّقْتَ في سَرْجِك؟ قلتُ: شرابٌ، فهل لك فيه؟ قال: ما أكرهُهُ: فأتيتُه به فوضَعَهُ بيْني وبينَهُ. فلما شرِبَ منه شيئاً نظرتُ إلى عينيهِ كأنهما عينا مَهاةٍ قد أضلَّتْ ولداً، أو ذَعَرَها قانِصٌ.

ثم قُمْتُ لأُصْلِحَ شيئاً من أمرِ فَرسي، فرجَعْتُ وقد جَرَّ العِمامَةَ عن رأسهِ، ثم قامَ إلى فرسهِ. فلما أقبلَ بَرِقَتْ لي بارقةٌ

(١) العود من النياق: المسنَّة. المطافل: ذوات أطفال.
(٢) مه: اسم فعل أمر بمعنى اكفُفْ.
(٣) عقيرته: صوته.

الدِّرْع، فإذا ثَدْيٌ كأنَّه حُقٌّ[١]. قلتُ: نشدتُكَ الله، أَمْرأةٌ؟ قالَ: إي واللَّهِ، امرأةٌ تكرَهُ العَهَرَ، وتحبُّ الغزلَ. قلت: واللَّهِ وأنا كذلك. فجلسَتْ تُحَدِّثُني، ما أفْقِدُ من أُنْسِها حتى مالتْ على الدَّوْحَة سَكَراً.

واستحسنتُ واللَّهِ ـ يا بنَ ربيعة ـ الغَدْرَ، وزُيِّنَ في عيني. ثم إنَّ الله ﷻ عَصَمَني بِمَنِّهِ. فما لبثْتُ أنِ انْتبهتْ مذعورَةً، فلاثَتْ[٢] عِمامَتَها برأسِها، وأخذَتْ الرُّمْحَ، وجالَتْ في متنِ فَرَسِها. فقلتُ: أمَا تُزَوِّدينَني منكِ زاداً؟ فأعْطَتْني ثيابَها، فشَمَمْتُ منها كالنَّباتِ المَمْطُورِ، ثم قلتُ: أينَ الموعدُ؟ فقالت: إنَّ لي إخوةً شرسينَ، وأباً غيوراً. ووالله لأنْ أسُرَّكَ أحبُّ إليَّ من أن أضُرَّك. ثم مضَتْ، فكانَ آخرَ العهدِ بها إلى يومي هذا. فهي واللَّهِ التي بلغَتْ بي ما تراهُ من هذا المبلغِ، وأحَلَّتْني هذا المحلَّ.

وقالَ ابنُ أبي ربيعةَ: فلما انقضَى الموسِمُ، شَدَدْتُ على ناقتي، وشَدَّ على ناقَتِهِ، وأخَذْتُ معي ألفَ دينارٍ ومِطْرَفَ خَزٍّ[٣]. ثم قَصَدْنا بني كلبٍ، فإذا الشيخُ في نادي قومِهِ، فأتَيْتُه فسلمتُ عليه فقال: وعليكَ السلامُ، من أنتَ؟ قلتُ: عمرُ بنُ أبي ربيعةَ المخزوميُّ. قال: المعروفُ غيرُ المجهول. فما

(١) الحق: الوعاء الصغير. ويقال: الحق جمع مفرده الحقة.

(٢) لاثت عمامتها: لفتها وعصبتها.

(٣) المطرف: رداء ذو أعلام. الخز: الحرير.

الذي جاءَ بك؟ فقلتُ: جئتُ خاطباً. قال: أنتَ الكفْءُ لا يُرْغَبُ عن حَسَبِهِ، والرَّجُلُ لا يُرَدُّ عن حاجتِهِ.

قلتُ: إني لم آتِكَ في نَفْسي، وإن كنتُ موضِعَ الرَّغْبة. ولكنْ أَتَيْتُكم لابنِ أخي العذريِّ. قال: واللَّهِ إنه لكفِيءُ الحَسَبِ كريمُ المنصب، غيرَ أنَّ بناتي لم يَقْعُنَ إلا في هذا الحيِّ من قريش. أما وإنِّي لم أصنَعْ بك شيئاً لم أصْنَعْهُ بغيرِكَ؛ أخيِّرُها ما اختارَتْ. قلتُ له: خَيِّرْها.

فأرسَلَ إليها أنَّ منَ الأمرِ كذا وكذا، فارْتَئي رأيَكِ. فأرسلتْ إليه: ما كنتُ لأسْتَبِدَّ برأيٍ دونَ القُرَشيِّ ـ تَعني ابنَ أبي ربيعةَ ـ فقال له: قد صَيَّرَتِ الأمرَ إليك يا عمرُ. فحمدْتُ الله تعالى، وصلَّيْتُ على نبيِّهِ، وقلت: زَوَّجْتُها الجعدَ بنَ مَهْجَع، وأَصْدَقْتُها ألفَ دينارٍ، وجعلتُ تكرمَتَها العبدَ والقُبَّةَ، وكسوتُ الشيخَ المِطْرف. فقِبلَه وسُرَّ به. وسألْتُه أن يبنيَ بها من ليلتِهِ، فأجابني إلى ذلك.

وضُربتِ القبةُ وَسْطَ الحيِّ، وأُهْدِيَتْ إليه ليلاً. وبِتُّ عندَ الشيخِ خيرَ مبيتٍ. فلما أصبحتُ غَدَوتُ، فقمتُ ببابِ القبةِ، فخرَجَ إليَّ وقد تبيَّنَ الجَذلُ في وجهِهِ. فقلتُ له: كيفَ كنتَ بَعْدي، وكيفَ هي بعدَكَ؟ فقال: أبدَتْ لي كثيراً مما أَخْفَتْ يومَ رأيتُها. فقلتُ: أَقِمْ على أهلك، باركَ اللَّهُ لك. وانطلقتُ إلى أهلي وأنا أقول:

كَفَيْتُ أخي العذريَّ ما كانَ نابَهُ
ومِثْلي لأثقالِ النوائبِ أحْمَلُ

أما استحسنَتْ مني المكارمُ والعُلَى
إذا اطُّرِحت، أني أقولُ وأفعلُ

المصادر:

- مصارع العشاق - أبو محمد السراج: ١/٩٢.
- تزيين الأسواق - داود الأنطاكي: ١/٣٣٥.
- أخبار النساء - ابن قيم الجوزية: ١٧٠.
- الأغاني - ١١/١٦٩.

زواجُ عُمارةَ بنِ الوليد

خطبَ عُمارةُ بنُ الوليد ـ وكان من شعراء صدر الإسلام ـ امرأةً من قومه، فقالتْ له: لا أتزوَّجُك أو تَتْرُك الشرابَ والزِّنى. قال: أمّا الزِّنى فأتركُه، وأما الشرابُ فلا أتركُه ولا أستطيعُ.

فلم يتزوَّجْها. لكنه اشتَدَّ وَجْدُه بالمرأة، فجاءَها وحَلَفَ لها ألّا يشرَبَ، وتزوَّجَها. فمكثَ حيناً لا يشربُ. ثم إنه لبسَ ذاتَ يوم حُلَّتَه، وركبَ ناقَتَه، وخرجَ يسيرُ متجوِّلاً. فمرَّ بخمارٍ وعندَهُ شَرْبٌ[1] يَشْربون الخمرَ، فدعَوْهُ فدخَلَ عليهم، وقد أنْفَدُوا ما عندَهُم من مال. فقالَ عُمارةُ للخمّارِ: أَطْعِمْهم وَيْلَكَ. فقال له: ليسَ عندي شيءٌ. فنَحَر عمارةُ ناقتَه ـ وكان مشهوراً بالكرم ـ فأكلوا منها.

ثم قالَ: اسْقِهِم. فقالَ الخمارُ: ليس معهم شيءٌ[2] يشربون به. فسقاهُم بِبُرْدَتِهِ. ومَكَثوا ومكثَ معهم أياماً ذواتِ عددٍ. ثم خرجَ فأتى أهلَه. فلما رأتْه امرأتُه قالتْ له: ألم

(١) الشرب: القوم يشربون.

(٢) يريد: ليس معهم مال ثمن الخمر.

تحلِفْ ألّا تشرَبَ؟ ولامَتْهُ على نَكْثِهِ بالوعد، فقال:

ولسنا بِشَرْبٍ أمَّ عمرٍو إذا انْتَشَوْا
ثيابُ النَّدامى عندَهُم كالغنائمِ

ولكنَّنا يا أمَّ عمرٍو نديمُنا
بمنزلةِ الريَّانِ ليسَ بعائمِ

المصادر:

- الأغاني: ١٨/١٢٣.

زواج أبي دَهْبَل

خرجَ الشاعرُ أبو دَهْبَل يريدُ الغزوَ، وكان رجلاً جميلاً صالحاً. فلما كان بِجَيْرونَ[1] جاءَتْه امرأةٌ فأعطَتْه كتاباً وقالت له: اقرأ هذا فقرأَهُ لها ثم ذهبتْ، فدخلَتْ قصراً ثم خرجَتْ إليه، فقالَتْ له: لو بَلَغْتَ معي إلى هذا القصرِ، فقرأتَ الكتابَ على امرأةٍ فيه كانَ لك أجرٌ إنْ شاء الله. فبلَغَ معها القصر.

فلما دخلَ القصرَ، إذا فيهِ جوارٍ كثيرةٌ، فأغلَقْنَ عليه بابَ القصر. فإذا امرأةٌ جميلةٌ قد أتَتْهُ، فدَعَتْهُ إلى نَفْسِها، فأبَى. فأمَرَتْ بهِ فَحُبِسَ في بيتٍ منَ القصرِ، وأُطْعِمَ وسُقِيَ قليلاً قليلاً، حتى ضَعُفَ وكادَ يموتُ. ثم دَعَتْه إلى نَفْسِها فقالَ: أمّا في الحرامِ فلا يكونُ ذلك أبداً، ولكنْ أتزوَّجُكِ. قالتْ: نعم.

فتزوَّجَها، وأمَرَتْ به فأُحْسِنَ إليه حتى رجعَتْ نفسُه إليه. فأقامَ مَعَها زماناً طويلاً، لم تَدَعْهُ يخرجُ منَ القصرِ، حتى يَئِسَ منه أهلُه وولَدُه، وزوَّجَ أولادُه بناتهِ، واقْتَسموا ميراثَهُ.

وأقامَتْ زوجَتُه تَبْكي، ولم تُقاسِمْهُم مالَه، ولا أخذَتْ

(١) جيرون: اسم دمشق، أو اسم بابها من قِبَل الجامع.

مِن ميراثِه شيئاً. وجاءَها الخُطَّابُ، فأبَتْ وأقامَتْ على الحزنِ والبكاءِ عليه.

وقال أبو دهبلٍ لامرأتهِ يوماً: إنكِ قد أَثِمْتِ فيَّ وفي وَلَدي. فأذَني لي أن أخرُجَ إليهم، وأرجِعَ إليكِ. فأخَذَتْ عليه أيماناً ألَّا يقيمَ إلا سنةً حتى يعودَ إليها. وأعطَتْهُ مالاً كثيراً. فخرَجَ مِن عندِها بذلك المالِ، حتى قدِمَ على أهلِه. فرأى زوجَتَهُ، وما صارَتْ إليه منَ الحزن، ونظَرَ إلى ولدِهِ مِمَّن اقتسَمَ مالَهُ. وجاءَه أولادُه، فَحَكى لَهُم ما جَرَى مَعَه، وقال لهم: ما بَيْني وبَيْنَكم شَيْءٌ، لقد وَرِثْتمُوني وأنا حيٌّ، فهوَ حَظُّكم. ولن يَشْرَكَ زوجتي أحدٌ في ما قدِمْت به. وقال لزوجتهِ: شأنَكِ بهذا المالِ، فهو كُلُّه لك. ولستُ أجهَلُ ما كانَ من وفائِكِ. وأقامَ معها، وقالَ في الشامية:

صاحِ، حيَّ الإلٰهُ حيًّا وَدوداً
عندَ أصلِ القَناةِ مِن جَيرونِ

فَبِتِلْكَ اغتَرَبْتُ بالشامِ حتى
ظنَّ أهلي مُرَجَّماتِ الظنونِ[1]

وهْيَ زهراءُ مثلُ لؤلؤةِ الغَوْ
واصِ مِيزَتْ من لؤلؤٍ مكنونِ[2]

(١) المرجَّمات: ما لم يوقف على حقيقتها.
(٢) المكنون: المستور، المغطى.

وفي هذه القصيدة يقول أبو دَهْبَل:

ثم فارَقْتُها على خيرِ ما كا
نَ قرينٌ مُقارناً لقرينِ

وبكتْ خشيةَ التفرُّقِ والبَيْـ
ـنِ بكاءَ الحزينِ نحوَ الحزين

فاسْألي عن تذكُّري وَاكْتِئابي
جُلَّ أهلي، إذا هُمُ عذلوني

ولما جاء أجلُ العودة إلى زوجته الشامية، بلغَهُ موتُها، فتحلَّلَ مِن يمينِه لها، وأقامَ مع زوجتهِ وأولادِه.

المصادر:

- مصارع العشاق - أبو محمد السراج: ١/١٣٥.
- الأغاني: ٧/١٢٩.

زواج السوداء

قال إبراهيمُ بنُ مَيْمونٍ: حججتُ في أيامِ الرشيدِ. فَبَينا أنا بمكةَ أجولُ في سِكَكِها إذا أنا بسوداءَ قائمةٍ ساهيةٍ. فأنكرتُ حالَها، فوقفتُ أنظرُ إليها. فمكثتْ كذلك ساعةً ثم قالتْ:

أعـمـرُو عـلامَ تَـجَـنَّـبْـتَـنـي؟
أخـذْتَ فـؤادي فـعـذَّبْـتَـنـي!

فـلـو كـنـتَ، يـا عـمـرُو، خَـبَّـرْتَـني
أخـذْتُ حِـذارِي، فـمـا نِـلْـتَـنـي

فذنوتُ منها وسألتُها: يا هذهِ، مَن عمرٌو هذا؟ فارتاعَتْ مِن قَوْلي وقالت: زوجي. فقلتُ: وما شأنُه؟ قالت: أخبرَني أنَّه يَهْواني، وما زالَ يدسُّ إليَّ، ويَعلقُ بي في كلِّ طريقٍ، ويَشْكو شدَّةَ وجدهِ حتى تزوَّجَني، فلبِثَ معي قليلاً. وكان لهُ عندي من الحبِّ مثلُ الذي كانَ لي عنده. ثم مضى إلى جُدَّةَ وتركَني. قلتُ: فصفيهِ لي. فقالت: أحسَنُ مَن تراهُ، وهو أسمرُ حلوٌ ظَريف. قلت: فَخَبِّريني، أتُحِبِّينَ أن أجمَعَ بَيْنكما؟

قالت: فكيفَ لي بذلك؟ وظَنَّتْني أهزِلُ بها.

وركبتُ راحلتي وصرتُ إلى جُدَّة. فوقفتُ في المَرْقَى أتبصَّرُ مَن يعملُ في السُّفن، وأصوِّتُ: يا عَمرُو، يا عَمرُو. فإذا أنا بهِ خارجٌ مِن سفينةٍ، وعلى عنقهِ صَنٌّ[1]، فعرفْتُه بالصِّفَةِ، فقلتُ: أعمرٌو، علامَ تَجَنَّبَتني؟ فقال: هيهِ هيهِ، رأيْتَها وسمعتَه (يريد شعر زوجته) منها؟ ثم أطرقَ هُنَيْهَةً ثم اندفَعَ يُغَنِّيهِ. فقلتُ له: ألا ترجِعُ؟ فقال: بأبي أنتَ، ومَن لي بذلك؟ ذلك واللَّهِ أحبُّ الأشياءِ إليَّ، ولكنْ منَعَ منه طلبُ المعاش. فسألتُه: كم يكفيكَ كلَّ سنةٍ؟ فقالَ: ثلاثُ مئةِ درهم. فأعطيتُه ثلاثةَ آلافِ درهم وقلت: هذهِ لعشرِ سنينَ، فإذا فَنِيَتْ أو قاربَتِ الفَناءَ قدِمْتَ عليَّ فسَرَرْتُك، وإلا وَجَّهْتُ إليك...

ورَدَدْتُه إليها، وكانَ ذلك أحبَّ إليَّ مِن حَجِّي.

المصادر:

ـ مصارع العشاق ـ أبو محمد السراج: ١/ ٢٤٠.

(١) الصنّ: شبه السلة.

زواج في البئر

خرجَ رجلٌ من بني أسدٍ في نِشْدانِ إبلٍ له أضَلَّها، حتى إذا كان ببعضِ بلادِ قُضاعةَ، أمسى في عشيَّةٍ باردةٍ، وقد رُفِعَتْ لهُ بيوتٌ، فتفرَّسَ أيُّها أرْجَى أن يكونَ أمثلَ قِرًى. قال: فرأيتُ مظلةً رَوْحاءَ[1]، فأَمَمْتُها. فإذا أنا بامرأةٍ من أكملِ النساءِ حُسناً، وأَصَلِهِنَّ عقلاً. فسلمتُ فردَّتْ ورحَّبَتْ، ثم قالت: ادخُلْ منَ القَرِّ[2]، واذنُ منَ الصِّلاءِ[3].

فدخلتُ، فلم ألبثْ أن أُتيتُ بعشاءٍ كثيرٍ. فأكلتُ وهي تحدِّثُني، حتى إذا راحتِ الإبلُ[4] إذا هَنِيءٌ[5] قد أقبلَ كأنه بَعْرَةٌ دَمامةً وضُؤولةَ شخص، وقد كان في حِجْرِها ابنٌ لها. فلما رأى الطفلُ ذلك الإنسانَ مُقْبلاً هَشَّ إليه، وعَدا في لقائه. فأخذَ الصبيَّ واحْتَملَهُ وَقَبَّلَهُ. فقلتُ في نفسي: أظنُّه عبداً لهم. حتى جاءَ فجلسَ إلى جانبِ المرأةِ وقال لها: مَن ضَيْفُكم هذا؟

(١) مظلة روحاء: واسعة.
(٢) القر: البرد.
(٣) الصلاء: النار أو العظيم فيها.
(٤) راحت الإبل: أعيدت إلى مراحها مساءً.
(٥) هنيء: أسود كالقطران.

فطفقْتُ انظُرُ إليه تارةً وإليها أخرى، وأتعجَّبُ لاختلافِهما؛ كأنها الشمسُ حسناً، وكأنه قردٌ قُبحاً. ففطِنَ لنظري إليه وإليها، فقال: يا أخا بني أسد! تَرَى عجباً؟ قلت: أجَلْ وأبيك. فقال: صدقْتَ، تقول: أحسَنُ الناسِ وآدمُ الناس[١]. قلتُ: نعم، فليتَ شِعري كيفَ أودِمَ بينَكُما[٢]؟ قال: أخبرُكَ كيفَ كانَ ذلك.

كنتُ سابعَ سبعةِ إخوةٍ كلُّهم في غايةِ الجمال، ولو رأيْتَني معهم ظَنَنْتَني عبداً لهم. وكان أبي وإخوتي يَطْرحونَني لكلِّ عملٍ دنيءٍ؛ للروايةِ مرةً، ولرعايةِ الغنم أخرى. وكان إخوتي هم أصحابُ الإبلِ والخيل. فبينا أنا أرعى الإبلَ في عامِ جَدْبٍ، إذ ضَلَّ بعيرٌ منها. فقالَ إخوتي لأبي: ابعثْ فلاناً يبغيهِ. فدعاني وأمرَني بطلبِ البعير. فقلتُ له: ما تُنْصِفُني أنت ولا بَنُوك. أمَا إذا الإبلُ دَرَّتْ ألبانُها وطابَ ركوبُها، فهم أصحابُها. وأمَا إذا ندَّتْ ضُلاّلُها فأنا باغِيها. فقال: يا لُكَعُ[٣] اذهَبْ، أمَا والله إني لأظنُّه آخِرَ أيامِكَ من ضربٍ وَجِيعٍ.

فطفْتُ ليلةً في بَسابِسَ[٤] ليسَ بها غريب. فبتُّ ثم

(١) آدم الناس: أكثرهم سواداً، والأدمة: السواد.

(٢) أودم بينكما: جُمع بينكما.

(٣) يا لكع: يا أحمق.

(٤) البسابس: القفار، واحدها بسبس.

أصبحتُ فغدَوْتُ حافياً. حتى دُفِعْتُ مساءَ ليلةٍ إلى مِظَلَّةٍ. فإذا عجوزٌ وسيمةٌ خليقةٌ للخيرِ، ومعها عَدِيَّةُ[1] نفسُها ـ وهي ابْنَتُها ـ وكانتْ ليلةً باردةً ذاتَ صَرٍّ. فأَدْخَلَتْني العجوزُ، وأَتَتْني بتمرٍ، وسخرتِ الفتاةُ مني قائلةً: ما رأينا كالعَشِيّة قَطُّ فتًى أجملَ منك، ولا أكملَ خَلْقاً! فقلتُ: يا هذهِ جَنِّبيني نفسَكِ، فإنِّي عن الباطلِ وأهلِهِ، في شُغُل.

فقالتِ الفتاةُ: ويحَكَ! هَلْ لكَ أن تدخُلَ هذا السِّتْرَ عليَّ، إذا نامَ الحيُّ، فنتحدَّثَ، وتُمَثِّلُنا من أماثِيلك هذه؟ فإنا نراها مِلاحاً. فغرَّني إبليسُ. وجاءَ أبوها وإخوتُها مثلَ السباعِ، واضْطَجعوا أمامَ الخيمة، وأنا فيها. فلم يزَلْ بي القَدَرُ المحتومُ، حتى نهضْتُ لأَلِجَ عليها السِّتْرَ، فإذا هيَ نائمةٌ، فهمزْتُها بِرِجلي فانتبهَتْ وقالتْ: مَن هذا؟ قلتُ: الضَّيفُ. قالت: إيَّاكَ، فلا حَيّاكَ الله. اخرجْ لعنَكَ اللَّهُ، ولا حسُنَ خبرُك.

فسَقَطَ في يدي[2]، وعرفْتُ أني لستُ في شيءٍ. فخرجْتُ لأهرُبَ فَزِعاً مَذْعوراً، فهاجَمَني كلبٌ لهم، مثلُ الفارسِ لا يُطافُ مُرْتَبَضُهُ، وأرادَ أكلي، فأَرْهَبْتُهُ عَنِّي. ثم قالتْ: اذهَبْ لا صَحِبَكَ اللَّهُ. فلمّا رجعْتُ عاد الكلبُ إليَّ

(١) عدية: اسم زوجته.
(٢) سقط في يدي: ندمت.

فرهَقَني. فجعلتُ أَمْشِي القَهْقَرَى، وأُرْهِبُه بعُصَيَّةٍ معي. واشْتَدَّ عليَّ، فتعَلَّقَتْ أظفارُهُ وأنيابُه في مُقَدَّمَة مِدْرَعَةِ صوفٍ عليَّ.

وأَهْوَيْتُ من قِبَلِ عَقِبي في بئرٍ، وَهَوى معي. وقدَّرَ الله تعالى أنَّه لم يكنْ فيها ماءٌ. فسمعَتِ المرأةُ الوَجْبَةَ[1]، فأقبلَتْ ومَعَها حبلٌ حتى أشرفَتْ عليَّ، ثم أَدْلَتِ الحَبْلَ وقالتْ: ارْتَقِ لَعَنَكَ الله! فلولا أن يُقَصَّ[2] أَثَري معكَ غُدْوَةً لَوَدِدْتُ أنها قبرُكَ.

فتعلَّقْتُ بالحبلِ وارْتَقَيْتُ، حتى إذا كِدْتُ أنْ أتناوَلَ يَدَها تَهَوَّرَ بها ما تحتَ قَدَمَيْها من البئرِ، فإذا أنا وهيَ والكلبُ في قَرارِها؛ هُوَ ينبَحُ في ناحيةٍ، وهيَ تَبْكي في ناحيةٍ، وتَدْعُو بالثُّبورِ[3] والفَضِيحةِ، وأنا منقَبِضٌ في ناحيةٍ. فقرَّ بَرْدُ جلدي عَلى القتلِ. حتى إذا أصبحَتْ أمُّها تَفَقَّدَتْها عندَ الصلاةِ فأتَتْ أباها وقالت: أَتَعْلَمُ أنَّ ابْنَتَكَ ليسَتْ ها هُنا؟ فقامَ ـ وكان قائفاً عالماً بالآثار، فتحرَّى أَثَري[4] وأثَرَها، حتى تطلَّعَ في البئر، فإذا نحنُ فيها، فرجَعَ سريعاً وقالَ لبنيهِ: أُخْتُكُم وكَلْبُكُم وضَيْفُكم في البئر.

(١) الوجبة: السقطة مع الصوت الساقط.
(٢) يُقص: يُتْبع.
(٣) الثبور: الهلاك والويل.
(٤) تحرَّى أثري: لزمه.

فَتواثَبوا يَحملون أَسْلِحَتَهم وعِصِيَّهُم، يريدونَ أنْ يَجْعلوا البئر قَبْري وقبرَها. فقالَ أبوها: مَهْ؛ فإنَّ ابْنَتي ليسَتْ بحيثُ تَظُنُّون. فنزلَ أحدُهُم فأَخْرَجَها وأخرَجَ الكلبَ، ثم أَخرَجوني. فقال أبوهُم: إنَّكم إنْ قَتَلتم هذا الرجلَ طُلِبْتُم، وإنْ خَلَّيْتُموهُ أفْتُضِحْتُم. وقد رأيتُ أنْ أزَوِّجَه إيّاها. فَلَعَمْري إنَّه ما يُطْعَنُ في نسبِهِ، وإنَّه لَكَفُوءٌ[1]. ثم أقبلَ عليَّ فقالَ: هَل فيكَ خَيْرٌ؟

فلما وجدْتُ ريحَ الحياةِ، كأنَّما كانَ على قلبي غطاءٌ فانكشَفَ، قلتُ: وأينَ الخيرُ إلّا عِنْدي؟ حكمُكَ! قال: خمسينَ بَكَرَةً[2]، وعبداً وأمةً. قلتُ: لكَ ما سألْتَ، وإنْ شِئْتَ فازْدَدْ. قال: قد مَلَكْتَها. فانصرفْتُ حتى آتيَ أبي، فقالَ: لا مَرْحباً، ولا أَهْلاً، فأينَ البعيرُ؟ فقلتُ له: إرْبَعْ عليكَ[3] أيُّها الرجلُ تسمَعِ الخبرَ، فإنَّما أنتَ محدَّثٌ؛ كان منَ الأمرِ كيْتَ وكيْتَ. فقالَ: وُرِّيتْ بكَ زنادُ أبيك، إذنْ والله لا تُسَلَّمَ، ولا تُخْذَلَ. عليَّ بالإبل.

فلما جاءتِ الإبلُ قال لي: اعْتَدَّ حاجَتَك. فاعْتَدَدْتُ منهن خمسينَ بكرَةً كأنَّهُنَّ العَذارى، ودفَعَ إليَّ عبداً وأمَةً مولَّدينِ. ثم ساقَ معي الإبلَ حتى أتَيْناهُم، فدَفَعْنا إلهم حَقَّهم،

(١) كفوء: مماثل.

(٢) البكرة والبكر: الفتيّ من الإبل.

(٣) أربع عليك أو على نفسك: توقَّف.

واحْتَمَلْنا صاحِبَتَنا. وها هيَ هذهِ، جَهْدُها أن تقولَ: كذبْتَ. فاعْجَبْ لذلِكَ فِعْلَ دهرٍ، أي أكثِرِ العجبَ.

المصادر:

- مصارع العشاق - أبو محمد السراج: ١/٣٠٢.
- تزيين الأسواق - ١/٣٣٧.

زواج سارق

كان لعمرِو بنِ دُويرةَ السَّحْميِّ أخٌ قد كَلِفَ بابنةِ عمٍّ له كلفاً شديداً، وكان أبوها يكرهُ ذلك ويأباهُ. فشكا إلى خالدِ بنِ عبدِ الله القَسْريِّ، وهو أميرُ العراقِ، أنَّه يسيءُ جِوارَهُ، فحبَسهُ. ثم سُئل خالدٌ في أمرِ الفَتَى، فأطلَقَه.

فلبثَ الفتى مدَّةً كافًّا عن ابنةِ عمِّه، ثم زادَ مافي قلبهِ وغَلَبَ عليهِ الحبُّ. فحملَ نفسَه عَلى أنْ تسوَّرَ الجدارَ إليها، وتَلاقَيا. فأحسَّ به أبوها فقبَضَ عليه، وأتَى به خالدَ بنَ عبد الله القَسْرِيِّ، وادَّعَى عليه السَّرَقَ، وأتاهُ بجماعةٍ يَشْهدون أنهم وَجَدوه في منزلهِ ليلاً، وقد دخَلَ دخولَ السُّرَّاق.

فسألَ خالدٌ الفتى، فاعترَفَ بأنه دخلَ ليسرِقَ، ليدفَعَ بذلك الفضيحَةَ عن ابنةِ عمهِ، فأرادَ خالدٌ أن يقطعَ يدَه. فبعثَ عمرُو بنُ دُويرة (أخو العاشق) إلى الأمير خالدٍ رقعةً يُبَرِّىءُ فيها أخاه، ويشرحُ الحقيقةَ، وفيها:

أخالدُ، قد واللَّهِ أوطِئْتَ عَشْوَةً
وما العاشقُ المظلومُ فينا بسارقِ[1]

(١) العشوة: ركوب الأمر على غير بيان.

أقَرَّ بما لم يأتِهِ المرءُ، إنَّه
رأى القطعَ خيراً من فضيحةِ عاتقِ[1]

ولولا الذي قد خفتُ من قطعِ كفِّهِ
لألفيتُ في أمرٍ لهم غيرَ ناطقِ

إذا مُدَّتِ الغاياتُ في السَّبْقِ إلى العُلَى
فأنتَ - ابنَ عبد الله - أولُ سابقِ

فأرسلَ خالدٌ مولًى له يسألُ عن الخبر، ويتجسَّسُ عن جَلِيَّةِ الأمر. فأتاهُ بتصحيحِ ما قالَ عمرٌو في شعرِه. فأمرَ بإحضارِ الجاريةِ ووالدِها، وطلبَ إليه أن يُزَوِّجَها له. فامتنَعَ أبوها وقال له: ليسَ هو بكفءٍ لها. فقال الأميرُ: بلى والله، إنه لكفءٌ لها، إذْ بذلَ يدَه عنها. ولئن لم تُزَوِّجْها أنتَ، لأُزَوِّجَنَّهُ إيّاها وأنتَ كارهٌ. فزوَّجه، وساقَ خالدٌ المهرَ عنِ الفتى فكانَ يُسمى «العاشِقَ» إلى أن مات.

المصادر:

- مصارع العشاق - أبو محمد السراج: ٢/١٩٧.
- تزيين الأسواق - داود الأنطاكي: ١/٣٣٢.

(١) العاتق: الجارية أول ما أدركت.

زواج عُتْبةَ من ريَّا

رُوِيَ أنَّ عبدَ الله بنَ المَعْمَر القَيْسِيَّ ـ وكانَ من أمراءِ العرب وأبطالِهم ـ كان شجاعاً جواداً ذا مُروءةٍ وافرةٍ قالَ: حججْتُ سنةً منَ السنينَ إلى بيتِ اللَّهِ الحرامِ، وصحبْتُ مالاً كثيراً، ومَتْجراً عزيزاً. فلما قَضَيْتُ حَجِّي عدتُ لزيارةِ قبرِ النبيِّ ﷺ. فَبَيْنما أنا ذاتَ ليلةٍ في الرَّوْضةِ بينَ القبرِ والمِنْبر إذ سمعْتُ أنيناً عالياً، وحِسًّا بادِياً. فأنصتُّ إليه، فإذا هوَ يقولُ:

أشَجاكَ نوحُ حمائمِ السِّدْرِ
فأَهَجْنَ منك بلابلَ الصدرِ[1]

أم ذادَ نوحُ نومَك ذكرُ غانيةٍ
أهدَتْ إليك وساوسَ الفِكْرِ؟

في ليلةٍ نامَ الخليُّ بها
وخُلِّفْتَ بالأحزانِ والذِّكرِ

(١) السدر: شجر النبق.

يـا لـيـلـةً طـالـتْ عـلـى دَنِـفٍ
يَـشْـكـو الـغـرامَ وقِـلَّـةَ الـصَّـبْـرِ[1]

فـالـبـدرُ يـشـهَـدُ أنَّـنـي كَـلِـفٌ
بـجـمـالِ شـيءٍ مُـشْـبِـهِ الـبـدرِ

ثم انقطعَ الصَّوْتُ، ولم أرَ من أينَ جاءَ، فبهتُّ حائراً. وإذا بهِ قد أعادَ البكاءَ والنحيبَ، وهو يقولُ:

أشَـجـاكَ مِـن ريّـا خـيـالٌ زائـرُ
والـلـيـلُ مـسـودُّ الـذَّوائـب عـاكـرُ

وَاعْـتـادَ مـهـجـتَـكَ الـهَـوَى فـأبـادَهـا
واهْـتَـاجَ مـقـلـتَـكَ الـمـنـامُ الـبـاكـرُ؟

نـاديـتُ لـيـلـى والـظـلامُ كـأنَّـهُ
يـمٌّ تـلاطَـمَ فـيـهِ مـوجٌ زاخـرُ

قالَ عبدُ الله: فنهضتُ عندَ ابتدائهِ بالأبياتِ أؤُمُّ الصوتَ، فما انْتَهى إلى آخرِها، إلا وأنا عندَهُ. فرأيتُ غلاماً جميلاً قد نزلَ عِذارُه، لكنْ قد عَلا محاسِنَه الاصفرارُ، والدموعُ تَجْري على خدِّهِ كالأمطارِ. فقالَ: نَعِمتَ ظلاماً[2]، مَنِ الرجلُ؟ قلتُ: عبدُ الله بنُ معمرٍ القيسيُّ. فقالَ: ألكَ حاجَةٌ يا فَتَى؟

(١) الدنف: الذي لازمه المرض، تطلق على الذكر والأنثى.
(٢) نعمت ظلاماً: تحية المساء، كانت معروفة في الجاهلية.

قلتُ: إني كنتُ جالساً في الرَّوضةِ، فما راعَني في هذهِ الليلةِ إلا صوتُكَ، فَبِنَفْسي أَقِيكَ، وبِرُوحي أَفْدِيك، وبمالي أُواسيك، ما الذي تَجِدُ؟ قال: إنْ كانَ ولا بُدَّ فاجلسْ. فجلسْتُ.

فقال: أنا عتبةُ بنُ الحُبابِ بنِ المنذرِ بنِ الجَمُوحِ الأنصاريُّ[1]، غَدَوْتُ إلى مسجدِ الأحزاب، ولم أزلْ فيه راكعاً ساجداً، ثم اعتزلْتُ غيرَ بعيدٍ، فإذا نسوةٌ يَتَهادَيْنَ كأنَّهُنَّ القَطا، وفي وَسَطِهِنَّ جاريةٌ بديعةُ الجمالِ في نَشْرِها، بارعةُ الكمَالِ في عَصْرِها، نورُها ساطعٌ يَتَشَعْشع، وطيبُها عاطرٌ يتضَوَّعُ. فوقفتْ عليَّ وقالتْ: يا عتبةُ، ما تقولُ في وَصْلِ مَن طلبَ وَصْلَكَ؟

ثم تركَتْني وذهبَتْ، فلم أسمَعْ لها خبراً، ولا قَفَوْتُ لها أثراً[2]. فأنا حيرانُ أتنقَّلُ من مكانٍ إلى مكانٍ. ثم صرخَ صرخَةً عظيمةً، وأكبَّ على الأرض مَغْشِيًّا عليه. ثم أفاقَ بعدَ ساعةٍ، وكأنما صُبِغت ديباجَةُ خَدِّهِ بِوَرْسٍ، وأنشدَ يقولُ:

أراكِ بقلبي من بلادٍ بعيدةٍ
تُرى كم تَروني بالقلوبِ على بُعْدِ؟

فؤادي وطَرفي يأسفانِ عليكمُ
وعندكمُ روحي وذكركمُ عندي

(١) هو شاعر غزل من أهل المدينة في العصر الأموي.
(٢) قفوت: تبعت.

ولستُ ألذُّ العيشَ حتى أراكمُ
ولو كنتُ في الفِرْدوسِ أو جنةِ الخُلْدِ

فقالَ لهُ: يا أخي، تُبْ إلى ربِّك، واسْتَقِلَّ من ذنبِكَ، واتَّقِ هولَ المطلعِ، وسوءَ المَضْجع. فقالَ العاشقُ: هيهاتَ! ما أنا مُبالٍ حتى يكونَ ما يكونُ. ولم أزَلْ به إلى طلوعِ الصباح، فقلتُ له: قُمْ بنا إلى مسجدِ الأحزابِ، فلعلَّ الله أن يكشِفَ عنكَ ما بِكَ. فقالَ له: أرجو ذلك ببركةِ طلعتِكَ إنْ شاء الله.

فنزلنا إلى أن وَرَدْنا مسجدَ الأحزابِ. فجلسنا حتى صَلَّيْنا به الظهرَ، فإذا نسوةٌ أقبلْنَ، وما الجاريةُ بينهُنَّ. فلما بَصُرْنَ به قُلْنَ: يا عتبةُ، وما ظَنُّكَ بطالبةِ وِصالِكَ، وكاسِفَةِ بالِكَ؟ قال: وما لها؟ قُلْنَ: قد أخَذَها أبوها، وارتحَلَ بها إلى السَّماوَةِ. فسألْتُهُنَّ عنِ الجاريةِ فقلْنَ: هي ريّا بنتُ الغطريفِ السُّلَمِيِّ[1]. فرفعَ الشابُّ رأسَه إليهنَّ وأنشَدَ يقولُ:

خليليَّ ريّا قد أجدَّ بكورُها
وسارَ إلى أرضِ السماوةِ عيرُها

خليليَّ إني قد خشيتُ مِنَ البُكا
فهلْ عندَ غيري مقلةٌ أستعيرُها؟

(١) ريا شاعرة من أهل العصر الأموي. كانت تسكن السماوة (بين الكوفة والشام) مع أهلها، وكان أبوها من أشراف قومه. وقصة حبها لعتبة وزواجه منها، وموتهما، صحيحة مذكورة في كتب الأدب والعشق.

فقلتُ: يا عتبةُ، طِبْ قلباً، وقَرَّ عَيناً؛ فقد وردتُ الحجازَ بمالٍ جزيلٍ، وطُرْفٍ وتُحَفٍ وقُماشٍ ومَتاعٍ، أريدُ به أهلَ السَّفر. واللَّهِ لأبذُلَنَّه أمامَكَ، وبينَ يديكَ وفيكَ وعليكَ، حتى أوصِّلَكَ إلى المُنَى، وأعطيَكَ الرِّضا وفوقَ الرضا. فقُمْ بنا إلى مجلس الأنصار.

فَقُمْنا حتى أَشْرَفْنا على نادِيهم، فسلمتُ فأَحْسَنوا الردَّ، ثم قلتُ: أيُّها الملأُ الكرامُ، ما تقولون في عتبةَ وأبيهِ؟ قالوا: خَيِّرانِ من ساداتِ العرب. قلتُ: فإنه رَمَى بفؤادِهِ الجَوَى[1]، وما أريدُ منكم إلا المعونَةَ.

فركبنا وركبَ القومُ حتى أشْرَفْنا على منازِلِ بَني سُليم من السَّماوة، فَقُلنا: أينَ منزلُ الغِطريفِ؟ فخرجَ بنفسهِ مُبادِراً، فاسْتَقْبَلنا استقبال الكرام، وقال: حُيِّيتُم بالإكرامِ والرُّحْبِ والإنعام. قُلنا: وأنتَ حُيِّيتَ ثم حُييت. أتَيناك أضيافاً. قالَ: نزلتُمْ أفضلَ معقلٍ. ثم نادى: يا معشَرَ العبيدِ، أنزِلوا القومَ، وسارِعوا إلى الإكرام.

فَفُرِشَتْ في الحالِ الأنطاعُ والنَّمارقُ والزَّرابيُّ[2]. فنَزَلنا وأَرَحْنا. ثم ذُبِحَتِ الذبائحُ، ونُحِرَتِ النَّحائرُ، وقُدِّمَتِ

(١) الجوى: شدة الوجد.

(٢) الأنطاع: واحدها النطع، وهو بساط من الجلد. النمارق: الوسائد الصغيرة يُتكأ عليها. الزرابي: واحدها الزربيّ وهو ما بسط واتكىء عليه.

الموائدُ. فقلنا: يا سيدَ القومِ، لسنا بذائقينَ لك طعاماً أو تَقْضِيَ حاجَتَنا، وتردَّنا بِمَسَرَّتِنا. قال: وماحاجَتُكم أيُّها السادةُ؟ قلنا: نخطبُ عَقيلَتَكَ الكريمَةَ لعتبةَ بنِ الحُبابِ بنِ المنذرِ، الطيبِ العنصرِ، العالي المفخر.

فأطرقَ وقالَ: يا إخوتاهُ، إنَّ التي تَخُطبونها أمْرُها إلى نفسِها، وها أنا داخلٌ إليها أخبرُها. ثم نهضَ مُغضباً، فدخَلَ على ريا ـ وكانَتْ كاسْمِها ـ فقالتْ: يا أبتاهُ، إني أرى الغضَبَ بَيِّناً عليك، فما الخبرُ؟ قالَ لها: وردَ الأنصارُ يخطبونَكِ مني. قالتْ: ساداتٌ كرامٌ، وأبطالٌ عظام، استغفرَ لهم النبيُّ ﷺ، فلمنِ الخِطبةُ منهم؟ قال: لِفَتًى يُعْرف بعتبةَ بنِ الحُبابِ. قالتْ: بالله لقد سمعتُ عن عتبةَ هذا، أنه يفيَ بما وَعَد، ويُدْرك إذا قُصِد، ويأكلُ ما وُجِدَ، ولا يأسَفُ على ما فُقِدَ. قالَ الغطريف: أقسمُ بالله لا أزوجُك بهِ أبداً؛ فقد نُمِيَ إليَّ بعضُ حديثِكِ معه. فقالتْ: ما كانَ ذلك، ولكنْ إذْ أقسمتَ، فإنَّ الأنصارَ لا يُرَدُّون مَرَدًّا قبيحاً. فأحْسِنْ لهُمُ الرَّدَّ، وادفَعْ بالتي هي أحسَنُ. قال: يا ريا، فأيَّ شيءٍ أقولُ؟ قالت: أَغْلِظْ لهم المهرَ ما استطعْتَ، فإنَّهم يَرْجعون ولا يُجيبون، وقد أبْرَرْتَ قَسَمَكَ، وبلغتَ مأربَكَ، وراعَيْتَ أضيافَكَ. قالَ: ما أحسنَ ما قلتِ!

ثم خرجَ مُبادراً فقال: يا إخوتاهُ، إنَّ فتاةَ الحيِّ قد

أجابَتْ، ولكنْ أريدُ لها مهرَ مِثْلِها، فمن القائمُ؟ قال عبد الله: أنا القائم بما تريدُ. فقال: أريدُ ألفَ مثقالٍ منَ الذهبِ الأحمر. قلتُ: لكَ ذلك. قال: وخمسةَ آلافِ درهمٍ من ضَرْب هَجَر. قلتُ: لكَ ذلك. قال: ومئةَ ثوبٍ من الأبرادِ والحِبَر. قلت: لك ذلك. قال: وعشرينَ ثوباً من الوَشْي المُطَرَّز. قلت: ولك ذلك. قال: وأريدُ خمسةَ أكرشَةٍ من العَنْبرِ. قلتُ: لك ذلك. قالَ: وأريدُ مئةَ نافجةٍ[1] من المِسْك الأذفر. قلت: لك ذلك. قال: فهل أجَبْتَ؟ قلتُ: أجَلْ ثمَّ أجل.

فانْفَذْتُ نَفراً من الأنصارِ أتَوا بجميعِ ما ضَمِنْتُه، وَذَبحوا النَّعَمَ والغنمَ. واجتمعَ الناسُ لأكلِ الطعام. فأقَمْنا هناكَ نحوَ أربعينَ يوماً على هذا الحال. ثم قالَ الغطريفُ: خُذوا فتاتكُم وانْصرفوا مُصاحَبين السلامةَ. ثم حملها في هودَجٍ، وجَهَّزَ معها ثلاثينَ راحلةً عليها التُّحَفُ والطُّرَفُ، ثم وَدَّعَنا ورجعَ.

حتى إذا بقيَ بيننا وبينَ المدينةِ مرحلةٌ واحدةٌ خرجَتْ علينا خيلٌ تريدُ الغارةَ ـ وأحسِبُ أنها من بني سُليم ـ فحملَ عليها عتبةُ بنُ الحباب، فقَتَلَ منها عدةً من رجالها ورَدَّها، وانحرَفَ راجعاً وبهِ طعنةٌ تفورُ دماً، حتى سقطَ إلى الأرض. فلم يلبثْ عتبةُ أنْ قَضَى نحبَهُ، فَقُلنا: يا عتباهُ! فسمعتِ

(١) النافجة: وعاء المسك، فارسية. الأذفر: الشديد الرائحة.

الجاريةُ، فألقتْ نفسَها عليه، وجعلتْ تُقَبله. وتصيح بِحُرقةٍ وتقولُ شعراً في رثائه. ثم شهقَتْ شهقةً واحدةً قضَتْ فيها نحبَها. فاخْتَرنا لهما مكاناً وجَدَثاً[1]، ووارَيْناهُما فيه.

ورجعتُ إلى ديار قومي، وأقمتُ سبعَ سنينَ بعدَها، ثم عدتُ إلى الحجازِ، ووردتُ إلى زيارة قبرِ النبيِّ ﷺ، فقلتُ: واللَّهِ لأعودَنَّ إلى قبرِ عتبةَ فأزورَه. فأتيتُ إلى القبرِ، فإذا عليه شجرةٌ نابتةٌ، عليها أوراقٌ حمرٌ وصفرٌوخضرٌ وبيضٌ. فقلتُ لأرباب الجهة: ما يقالُ لهذه الشجرةِ؟ فقالوا: شجرةَ العروسين. فأقمتُ عندَ القبر يوماً وليلةً وانصرفتُ.

المصادر:

- ثمرات الأوراق - ابن حجة الحموي: ٤٤٦.
- تزيين الأسواق - داود الأنطاكي: ١/٢٣١.

(١) الجدث: القبر.

زواج فتاة غير باكر

كان عقبةُ الأزديُّ مشهوراً بمعالجةِ الجانِّ، وصدقِ العزائمِ. فأتَوْهُ بجاريةٍ قد جُنَّتْ في ليلةِ عُرْسِها. فعزَّم عليها، فإذا هيَ قد سقطَتْ. فقال لأهلها: أَخْلوني بها. فأجابوهُ، فلما خَلا بها قال لها: أصْدُقِيني عن نفسِكِ وعليَّ خلاصُكِ. فقالتْ: إنه كانَ لي صديقٌ، وأنا في بيتِ أهلي. وإنَّهم أرادوا أنْ يُدْخِلوني على زَوْجي ولستُ ببكرٍ، فخفْتُ الفضيحةَ، فهل عندَكَ حيلةٌ في أمري؟ فقالَ لها: نعم.

ثم خرجَ إلى أهلها فقال: إنَّ الجنيَّ داخلُ جِسْمِها، وقد أجابَني إلى الخروجِ منها. فاختاروا من أيِّ عُضْوٍ تُحبون أن أُخْرجَهُ من أعضائها. واعْلموا أنَّ العُضْوَ الذي يخرجُ منه الجنِّيُّ لا بدَّ أن يَهْلَكَ ويَفْسُدَ؛ فإنْ خرجَ من عَينها عَمِيتْ، وإنْ خرجَ من أُذُنِها صُمَّتْ، وإنْ خرجَ من فَمِها خَرِسَتْ، وإن خرجَ من يدِها شُلَّتْ، وإنْ خرجَ من رِجلها زَمِنَتْ[1]، وإن خرجَ من فَرْجِها ذهبَتْ بِكارَتُها، والأمرُ لكم.

(١) زمنت: أصيبت بالعاهة.

فقال له أهلها بعدَ تشاوُرٍ طويلٍ: إنا لم نجدْ شيئاً أهونَ من ذهابِ عُذْرَتها، فأخْرِج الشيطانَ منه، ولك ما تريدُ. فأوْهَمهم أنه فعَلَ ذلك. وأُدخلت المرأةُ على زَوجها.

المصادر:

- ثمرات الأوراق - ابن حجة الحموي: ١٧٥.
- كتاب الأذكياء - ابن الجوزي: ٦٥.

زواج أُرَيْنِب بنت إسحاق

كانَ عبدُ الله بنُ سَلاَم والياً على العراقِ من قِبَلِ معاويَةَ، وكانتْ أُرَينِبُ بنتُ إسحاقَ زوجاً له وبنتَ عمِّه ـ وهي من أجملِ نساءِ عصرِها، وأحسَنِهِنَّ أدباً وكمالاً، وأكثرِهِنَّ مالاً. وكان يزيدُ بنُ معاويةَ قد هامَ بجمالها وأدبِها على السَّماع، وبما بَلَغَه عنها من حُسْنِ الخَلْقِ والخُلُق.

فلمّا عيلَ صبرُهُ شكا أمرَهُ وشَدَّةَ شغفِهِ لأبيه معاويةَ. فقال له أبوه: مهلاً يا يزيدُ. فقالَ: علامَ تأمرُني بالمهلِ، وقدِ انقطَعَ منها الأملُ؟ فقالَ معاويةُ: وأينَ حِجاكَ[1] ومُروءَتُك؟ فقالَ يزيدُ: قد عيلَ الحِجا، ونَفِدَ الصبرُ. فقال له أبوه: ساعِدْني يا بُنَيَّ على أمرِكَ بالكِتْمانِ، واللَّه بالغٌ أمرَهُ.

فأخذَ معاويةُ في الحيلة، حتى يبلُغَ يزيدُ رضاهُ، وينالَ غرضَه ومُناه. فكتبَ إلى عبدِ الله بنِ سلام يستحثُّهُ على الحضورِ إليه لمصلحةٍ عَيَّنَها له. وكان عندَ معاويةَ يومئذٍ بالشامِ أبو هُريرةَ، وأبو الدَّرْداءِ[2] صاحِبا رسولِ الله ﷺ.

---

(١) حجاك: عقلك.

(٢) أبو هريرة الدَّوسي صحابي وأكثرهم حديثاً عن النبي ﷺ، وقد أسلم عام خيبر وشهدها. كان يخدم النبي ﷺ على ملء بطنه. وأبو الدرداء =

فلما قدِمَ عبدُ الله بنُ سلام الشامَ أعَدَّ له معاويةُ منزلاً حسناً، ونقلَهُ إليه، وبالغَ في إكرامه. ثم قالَ لأبي هريرةَ وأبي الدَّرداء: قد بلغَتْ لي ابنةٌ، وأريدُ نكاحَها. وقد رضيتُ عبدَ الله بنَ سلامٍ لدينهِ وشَرفهِ وفضلهِ وأدبهِ. وقد كنتُ جعلتُ لها في نفسِها شُورى، وأرجو ألا تخرُجَ عن رأيي إنْ شاءَ الله تعالى، فاذْكُرا لهُ ذلك عَنِّي. فخَرَجا من عندهِ متوجِّهَيْنِ إلى منزلِ عبدِ الله بنِ سلامٍ بالذي قالَ لهما معاويةُ.

ثم دخلَ معاويةُ على ابنتهِ، فقالَ لها: إذا دخلَ عليكِ أبو الدرداءِ وأبو هُريرةَ، فعَرَضا عليكِ عبدَ الله بنَ سلامٍ، وإنْكاحي إياكِ منه، ودَعَواكِ إلى مُباعَلَتهِ، وحَضَّاكِ على المسارَعَةِ إلى رِضاي، فقولي لهما: عبدُ الله بنُ سلامٍ كفْءٌ كريمٌ، وقريبٌ حميمٌ، غيرَ أنَّ تحتَهُ أرينبُ بنتُ إسحاقَ، وأخافُ أن يعرِضَ لي من الغَيرةِ ما يعرِضُ للنساء، ولستُ بفاعلةٍ حتَّى يفارِقَها.

وأمّا أبو الدرداء وأبو هريرة، فإنَّهما لمّا وَصَلا إلى عبدِ الله بنِ سلام، أعلماهُ بما قالَ لهما معاويةُ، فردَّهُما خاطِبَيْنِ عنه. فلما مَثَلا بينَ يدَيْ معاويةَ قالَ لهما: إني كنتُ أعلمْتُكُما أنني جعلتُ لها في نفسها شورى، فادْخُلا عليها، وأعْلِماها بما رأيتُ لها.

= عومر بن مالك الأنصاري صحابي، وكان في الجاهلية من تجار يثرب، واتصف الاثنان بالزهد والورع.

فدَخَلا عليها وأَعْلماها بذلك، فأَبْدَتْ ما قَرَّره أبوها عندَها من قبلُ. فعادا إلى عبدِ الله بن سلام، فأعلماهُ بذلك، ففهِمَ المرادَ، وأَشْهَدَهُما عليه بطلاقِ أرينبَ بنتِ إسحاقَ، وبَعَثَهُما إليه خاطِبَيْن. فلما دَخَلا على معاويَةَ أعلماهُ بطلاقِ أرينبَ، فأظهرَ معاويةُ كراهيتَهُ لذلك، وقال: ما استحسنْتُ طلاقَ زوجتهِ ولا أحبَبْتُه. فانصرِفا بعافيةٍ وعودا إلينا. وكتبَ إلى ابنهِ يزيدَ يُعْلمه بما كانَ مِن طلاقِ عبد الله بنِ سلامٍ لأرينبَ بنتِ إسحاق.

وعادَ بعدَ ذلك أبو الدرداء وأبو هريرةَ إلى معاويةَ، فأمَرَهُما بالدخولِ على ابنتِه، وسؤالِهما عن رِضاها. وهو يقولُ: لم يكُنْ لي أنْ أُكْرِهَها، وقد جعلتُ لها الشورى في نفسِها. فدخلا عليها، وأَعْلماها بطلاقِ عبد الله بنِ سلام امرأتَهُ، طِلاباً لِما يُرْضيها، وَخُروجاً عَمّا يُشْجِيها، وذكراً فضلَهُ وشرفَهُ وكرمَهُ ومروءتَهُ. فقالتْ: جفَّ القلمُ بَما هوَ كائنٌ، ولا أُنْكِرُ شرفَهُ وفضلَهُ. وإني سائلةٌ عنهُ حتى أعرِفَ دخيلةَ خبرِهِ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله. فقالا: وَفَّقك الله، وخارَ لك. وانْصَرَفا عنها، وأَعْلما عبدَ الله بقولها: فأنشَدَ:

فإنْ يكُ صدرُ هذا اليومِ ولى
فإنَّ غداً لناظِرِهِ قريبُ

ثم تزايَدَ حديثُ الناسِ بطلاقِ أُرينبَ، وخُطْبَةِ ابنةِ

معاويةَ. واستحَثَّ عبدُ الله أبا الدرداء وأبا هريرةَ، فأتَياها وقالا لها: اصْنَعي ما أنتِ صانعةٌ، واسْتَخِيري الله. فقالت: أرجو ـ والحمدُ لله ـ أن يكونَ اللَّهُ قد خارَ لي؛ فإنه لا يَكِلُ إلى غيرِهِ. وقد استبْرَأْتُ أمرَهُ[1] وسألتُ عنه، فوجدتُه غيرَ ملائمٍ ولا موافقٍ لِما أريدُ لنفسي، معَ اختلافِ مَن استشرتُهُ فيه؛ فمنهُم النَّاهي عنه، ومنهم الآمرُ به.

فعلمَ عبدُ الله أنها حيلةٌ، وأنه مخدوع. واشتَدَّ عليه الهمُّ والحزنُ، وقال متعزِّياً: ليسَ لأمرِ الله رادٌّ، ولعلَّ ما سُرّوا به لا يدومُ لهم سرورُه. وذاعَ أمرُه وفَشا في الناس، وقالوا: خدعَهُ معاويةُ حتى طَلَّقَ امرأتَه لغرضِ ابنهِ، ألا بئسَ ما صَنَع!

ثمَّ إنَّ معاويةَ بعدَ انقضاءِ أيامِ أرينبَ المعلومةِ، وَجَّه أبا الدرداء إلى العراقِ خاطباً لها على يزيدَ. فخرجَ حتى قدِمَها، وبها يومئذٍ الحسينُ بنُ عليِّ بنِ أبي طالبٍ. فقالَ أبو الدرداءِ إذْ قدِمَ العراقَ: ما يَنْبغي لذي عقلٍ أنْ يَبدأ بشيءٍ قبلَ زيارةِ الحسينِ سيدِ شباب أهلِ الجنة، إذا دخلَ موضعاً هو فيه.

فقصَدَ الحسينَ، فلما رآه قامَ إليه وصافحه إجلالاً لصحبتِهِ لجدِّهِ ﷺ. وقال الحسينُ: ما أتَى بك يا أبا الدرداء؟ قال: وَجَّهني معاويةُ خاطباً على ابنهِ يزيدَ أرينبَ بنتَ إسحاقَ.

(١) استبرأت أمره: استقصيته.

فرأيتُ عليَّ حقاً ألا أبدأ بشيءٍ قبلَ السلام عليك. فشكرَهُ الحسينُ وأثنى عليه، وقالَ: لقد كنتُ ذكرتُ نكاحَها، وأردتُ الإرسالَ إليها، إذا انقضَتْ عِدَّتُها. وقد أتَى الله بكَ، فاخْطُبْ على بركةِ الله عليَّ وعليه. وهي أمانةٌ في عنقك، وأعْطِها من المهرِ مثلَ ما بذَلَ لها معاويةُ عن ابنه. فقال: أفعلُ إن شاء الله.

فلما دخلَ أبو الدرداء على أرينبَ قال لها: أيَّتُها المرأةُ، إنَّ الله خلقَ الأمورَ بِقُدرته، وكوَّنَها بعزَّتِهِ، وجعلَ لكلِّ أمرٍ قَدَراً، ولكلِّ قَدَرٍ سبباً، فليسَ لأحدٍ عن قَدَرِ الله مُسْتَحاصٌ، ولا عن الخروجِ عن علمهِ مُسْتَناصٌ. فكانَ ممّا سبقَ لك، وقُدِّرَ عليكَ من فراقِ عبدِ الله بنِ سلام إياك. ولعلَّ ذلك لا يضرُّكِ، وأنْ يجعلَ اللَّهُ لك فيه خيراً كثيراً. وقد خَطَبَكِ أميرُ هذهِ الأمَّةِ وابنُ ملكها ووليُّ عهدهِ والخليفةُ مِن بعدهِ يزيدُ بنُ معاويةَ، والحسينُ ابنُ بنتِ رسولِ الله ﷺ، وابنُ أولِ مَن آمَنَ به من أمَّتِهِ، وسيدُ شبابِ أهلِ الجنة. وقد بلغَ سَناهُما وفَضْلُهما، وجئتُكِ خاطباً عليهما، فاختاري أيَّهما شئتِ.

فسكتَتْ طويلاً ثم قالت: يا أبا الدَّرْداء، لو أنَّ هذا الأمرَ جاءَني وأنتَ غائبٌ عني لأشْخَصْتُ فيهِ الرسُلَ إليك، واتَّبَعْتُ فيه رأيَكَ. فأمّا إذ كنتَ أنتَ المُرْسَلَ، فقد فوَّضْتُ فيه أمرِي بعدَ الله إليك، وجعلتُه في يديك. فاخْتَرْ لي أرْضاهُما لربِّك، واللَّهُ شاهدٌ عليك. فاقْضِ، ولا يصدَّنَّكَ عن ذلك اتِّباعُ

الهوى، فليسَ أمرُهما عليك خَفِيًّا.

فقال أبو الدرداء: أيَّتُها المرأةُ، إنَّما عليَّ إعلامُكِ، ولكِ الاختيارُ لنفسك. فقالت: عَفا اللَّهُ عنك! إنَّما أنا بنتُ أخيك، ولا يمنعُكَ أحدٌ من قولِ الحقِّ فيما طَوَّقْتُكَ به، فقد وجَبَ عليك أداءُ الأمانة.

فلمّا لم يجِدْ بُدًّا منَ القولِ والإشارةِ عليها قال: أيْ بُنَيَّةُ، ابنُ بنتِ رسولِ الله ﷺ أحَبُّ إليَّ، وأرضاهُما عندي، واللَّهُ أعلَمُ بخيرِهما لك. وقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ واضعاً شفتيْهِ على شَفَتَيِ الحسنِ، فَضَعي شَفَتَيْك حيث وضعَ رسولُ الله ﷺ شفتيهِ. قالت: قدِ اخترتُهُ ورضِيتُه. فتَزَوَّجَها الحسينُ بنُ عليٍّ. فساقَ لها مهراً عظيماً. وبلغَ معاويةَ ما فعله أبو الدرداء، فعظُمَ عليه، وقالَ: مَن يرسِلْ ذا بَلَهٍ وعمّى، ركبَ خلافَ ما يَهْوَى.

وكانَ عبدُ الله بنُ سلامٍ قدِ اسْتَوْدَعَها ـ قبلَ فراقهِ إياها ـ ذَهَباً، وبدراتٍ[1] مملوءةً دُرًّا. وكان معاويةُ قدِ اطَّرَحَه[2]، وقطعَ عنه جميعَ روافدِهِ لقولهِ إنه خدعَهُ حتى طلَّقَ امرأتَهُ. فلم يزلْ يَجْفوه حتى قَلَّ ما بيده. فرجعَ إلى العراقِ، وهو يذكرُ مالَهُ الذي كانَ اسْتَوْدَعَها، ولا يَدْري كيفَ يصنَعُ فيه، وأنَّى يصلُ

(١) البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف، جمعها بدر وبدرات.
(٢) اطرحه: قذف به ورماه.

إليه، ويتوقَّعُ جحودَها عليه لسوءِ فعلهِ وطلاقهِ إياها على غيرِ شيءٍ أنكرَهُ منها.

فلما قدِمَ إلى العراقِ لقيَ الحسينَ، فسلَّمَ عليهِ ثم قال له: لقد علمتَ ما كانَ من خَبري وخبرِ أرينبَ. وكنتُ قبلَ فراقي إياها اسْتَودَعْتُها مالاً، وكان الذي كانَ ولم أقبضْه. واللَّهِ إنَّ ظَنِّي بها جميلٌ. فذاكِرْها في أمري، واحْضُضْها على الردِّ عليَّ، فإنَّ الله يَجْزيك به أجْرَكَ.

فسكتَ الحسينُ عنه. فلما انصرفَ إلى أهلهِ قال لها: قدِمَ عبدُ الله بنُ سلام، وهو كثيرُ الثناءِ عليكِ في دِينك وحُسْن صحبتِكِ، فسَرَّني ذلك وأعْجَبني. وذكرَ أنه اسْتَوْدَعَكِ مالاً. فقالتْ: صَدَقَ، استودَعَني مالاً لا أدري ما هو، وإنه لمطبوعٌ عليه بخاتَمهِ، ما أخذتُ منه شيئاً، وها هو ذا فادْفَعْه إليه بطابَعهِ. فأثْنى الحسينُ عليها خيراً، وقال: ألا أُدْخِلُه عليكِ حتى تَتَبَرَّئي إليهِ منه؟

ثم لقيَ عبدَ الله، فقالَ له: ما أنكرتْ مالَكَ، وزعَمَتْ أنه كما دفعتَه إليها بطابعك. فادْخُلْ يا هذا إليها، واسْتَوْفِ مالَكَ منها، بحيثُ تحصلُ البراءةُ منَ الطرفين. فلما دخَلَ عليها قالَ لها الحسينُ: هذا عبدُ الله بنُ سلام، قد جاءَ يطلبُ وديعَتَهُ. فأخرجتْ إليه البِدَرَ، فوضَعَتْها بينَ يديهِ، وقالتْ له: هذا مالُكَ. فشكَرَ وأثْنى فخرجَ الحسينُ عنهما. وفَضَّ عبدُ الله

خواتِمَ بِدَرِهِ، وحَثَا لها[1] مِن ذلك جانباً كبيراً، وقال لها: واللَّهِ هذا قليلٌ مني. فاسْتَعْبَرا حتى عَلَتْ أصواتُهما بالبكاءِ على ما ابْتُليا به. فدخلَ الحسينُ عليهما وقد رَقَّ لهما، ثم قالَ: أُشْهِدُ اللَّهَ أنها طالقٌ ثلاثاً. اللهمَّ أنتَ تعلمُ أنني لم أَتَنْكِحْها رغبةً في مالِها ولا في جمالِها، ولكنني أردتُ إحلالَها لزوجِها.

فطلَّقَها ولم يأخُذْ شيئاً مما ساقَ لها في مهرِها بعدَما عرضَتْهُ عليهِ، وقال: الذي أرجوهُ من الثوابِ خيرٌ لي. ولمّا انقضَتْ عِدَّتُها تَزَوَّجَها عبدُ الله بنُ سلام، وعادا إلى ما كانا عليه من حُسْنِ الصُّحْبةِ، إلى أنْ فرَّقَ بينَهُما الموت.

المصادر:

- ثمرات الأوراق - ابن حجة الحموي: ٢٢٩.
- الإمامة والسياسة المنسوب إلى ابن قتيبة.
- أعلام النساء - عمر رضا كحالة: ١/ ٣٤.

(١) حَثا لها: أعطاها.

زواج إبراهيم بن المهدي[1]

رَوَى إبراهيمُ للخليفةِ المأمونِ قصَّةَ زواجِهِ فقالَ:

خرجْتُ يوماً مُتَنكِّراً للتَّنزُّه، وانْتَهى بي المشْيُ إلى موضعٍ شَمَمْتُ منه روائحَ طعامٍ وأبازيرَ[2] قد فاحَتْ، فتاقَتْ نَفْسي إليها. ووقفتُ يا أميرَ المؤمنينَ لا أَقْدِرُ على المُضِيِّ، فرفَعْتُ بَصَري، وإذا بُشْبّاكٍ ومن خلفهِ كفٌّ ومِعْصَمٌ، ما رأيتُ أحسَنَ منهُما. فوقَفْتُ حائراً، ونسيتُ روائحَ الطعام بذلك الكفِّ والمعصمِ. وأخذتُ في إعمالِ الحيلةِ، فإذا خياطٌ قريبٌ من ذلك الموضعِ، فقَدِمْتُ إليه، وسَلَّمْتُ عليه، فردَّ عليَّ السلامَ، فقلتُ: لمن هذهِ الدارُ؟ فقال: لرجلٍ منَ التجارُ. قلتُ: ما اسْمُه؟ قالَ: لفلانِ بنِ فلان. فقلتُ: أهوَ مِمَّنْ يشربُ الخمرَ؟ قالَ: نعم، وأحسِبُ اليومَ أنَّ عندَهُ دعوةً، وليسَ ينادمُ إلا التجار.

فبينمَا نحنُ في الكلامِ إذْ أقبلَ رجلانِ نبيلانِ راكبانِ،

(١) هو أخو هارون الرشيد وعم المأمون. دعا لنفسه بالخلافة بعد مقتل الأمين، فسجنه المأمون ثم عفا عنه. وكان أسود، حاذقاً بصنعة الغناء.

(٢) الأبزار: التوابل لتطيب الطعام.

فأعْلَمني أنَّهما أخَصُّ الناسِ بصحبتهِ، وأعْلَمني باسْمَيْهِما. فحركْتُ دابَّتي فلقِيتُهما وقلتُ: جُعِلْتُ فِداكُما! قد اسْتَبْطأكما أبو فلان. وسايَرْتُهما حتى أتَيا البابَ، فدخَلْتُ ودَخَلا. فلما رآني صاحبُ الدارِ معهما، لم يَشُكَّ أنِّي ضَيْفُهما. فرحَّبَ بي وأجْلسني في أفضلِ المواضع. ثم جِيءَ بالمائدةِ فقلتُ في نفسي: هذهِ الألوانُ قد مَنَّ اللَّهُ عليَّ ببلوغِ الغرضِ منها، بقيَ الكفُّ والمعصمُ.

ثم نُقِلنا إلى مجلسِ المُنادَمَة، فرأيتُ مجلساً محفوفاً باللطائفِ. وجعلَ صاحبُ المنزلِ يتلطَّفُ بي، ويُقْبِلُ عليَّ بالحديثِ، لِظَنِّه أني ضيفُ أضيافهِ. ثم خرجَتْ علينا جاريةٌ كأنَّها غصنُ بانٍ في غايةِ الظرفِ وحُسْنِ الهَيْئة. فسلَّمَتْ غيرَ خجلةٍ. وأُتِيَ بعودٍ فأخَذَتْه وجَسَّته، فإذا هيَ حاذقة، واندفَعَتْ تقولُ:

أليسَ عَجيباً أنَّ بيتاً يَضُمُّني
وإياكِ لا نَخْلو ولا نَتَكَلَّمُ؟

سِوى أعيُنٍ تُبْدي سرائرَ أنفُسٍ
وتقطيع أنفاسٍ على النارِ تُضْرَمُ

فهَيَّجَتْ يا أميرَ المؤمنين بَلابِلي، فطِربْتُ لحذقِها وحُسْنِ شِعرِها الذي غَنَّتْ بِهِ، فحسَدْتُها وقلتُ: قد بقيَ عليكِ يا جاريةُ شيءٌ. فرمَتِ العودَ وقالتْ: متى كنتُمْ تُحْضِرون البُغَضاءَ في

مجالِسكُم؟ فندِمْتُ على ما كانَ مني. ورأيتُ القومَ قد أنكروا عليَّ ذلك، فقلتُ في نَفْسي: فاتَني جميعُ ما أمَّلْتُ. ثم قلتُ: أثَمَّ عُودٌ؟ قالوا نعم. وأحْضَروا عوداً، فأصلَحْتُ ما فيه، ثم اندفَعْتُ فغنَّيْتُ:

هذا مُحِبُّكِ مَطْوِيٌّ على كَمَدِهْ
صَبٌّ مدامعُهُ تَجْري على جسدِهْ

له يدٌ تسألُ الرحمٰنَ راحَتَهُ
مِمّا بهِ، ويدٌ أُخرى عَلى كَبِدِهْ

فوثَبَتِ الجاريةُ، فأكَبَّتْ على رجليَّ تُقَبِّلُهما، وقالت: المعذرةُ إليكَ يا سيدي، واللَّهِ ما علمتُ بمكانِكَ، ولا سمعتُ بمثلِ هذهِ الصناعةِ. ثم أخذَ القومُ في إكرامي وتَبْجيلي، بعدَما طربوا غايةَ الطرب. وسألني كلٌّ منهم الغناءَ، فغنَّيْتُ لهم نوباتٍ مطربةً، فغلبَ القومَ السكرُ، وغامَتْ عقولُهم، فَحُمِلوا إلى منازِلِهم. وبقيَ صاحبُ المنزلِ فشرِبَ معي أقداحاً، ثم قالَ: يا سيدي، ذهَبَ ما مَضَى مِن عُمْري مَجّاناً إذ لم أعرِفْ مِثْلَكَ، فباللهِ يا مولايَ مَن أنتَ لأعرفَ نَديمي الذي منَّ اللَّهُ عليَّ به في هذه الليلة؟ فأخَذْتُ أُوَرِّي عليه، وهو يُقْسِمُ عليَّ. فأعلمتُه، فوثَبَ قائماً وقال: قد عجبْتُ أن يكونَ هذا الفضلُ إلا لمثلِكَ. ولقد أسْدَى إليَّ الزمانُ يداً لا أقومُ بشكرِها، ومَتى طمعتُ بأنْ تَزُورني الخلافةُ في منزلي، وتُنادِمُني ليلتي؟ ما هَذا إلا منام!

فأقسمتُ عليه أنْ يجلسَ فجلسَ. وأخَذَ يَسْألني عنِ السببِ في حُضوري عندَه بألطفِ معنًى. فأخبرتُه بالقصَّةِ من أوَّلِها إلى آخرها، وما سَتَرْتُ منها شيئاً. ثم قلتُ: أمّا الطعامُ فقد نلتُ منه بُغْيَتي. فقالَ: والكفُّ والمعصمَ إنْ شاء الله. ثم قالَ: يا فلانةُ، قُولي لفلانةَ تنزلُ. ثم جعلَ يَسْتَدعي واحدةً بعدَ واحدةٍ؛ يعرِضُها عليَّ، وأنا لا أرى صاحِبَتي، إلى أنْ قالَ: واللَّهِ ما بقيَ إلا أمِّي وأختي، واللَّهِ لتنزلانِّ.

فعجبتُ من كرمِهِ وسَعَةِ صدرهَ، فقلتُ: جُعِلْتُ فِداك! تبدأُ بالأختِ؟ قال: حباً وكرامةً. ثم نزلتْ أختُه، فأراني يدَها، فإذا هيَ التي رأيتُها. فقلت: هذهِ الحاجةُ. فأمرَ غلمانَه لوقتِهِ، وأَحْضَروا الشهودَ، وأخرَجَ بَدْرَتينِ. فلما حضرَ الشهودُ قال لهم: هذا سيدُنا إبراهيمُ بنُ المهدي، يخطبُ أختي فلانةَ، وأُشْهِدُكم أني قد زوجْتُها له، وامْهَرْتُها منه عشرينَ ألفَ درهمٍ. فقلتُ: قبلتُ ذلك ورضيتُ، فشَهِدوا علينا، فدفَع البَدْرةَ الواحدة إلى أختِهِ، والأخرى فَرَّقَها على الشهود.

ثم قالَ: يا سَيدي أُمَهِّدُ لك بعضَ البيوتِ، فتنامُ معَ أهلك؟ فأَحْشَمَني[1] ما رأيتُ من كرمِهِ، وتَذَمَّمْتُ أن أخْلُوَ بها في دارِهِ. ثم قلتُ: بل أُحْضِرُ عمارَتي وأحملُها إلى منزلي. فقال: افعلْ ما شئتَ. فأحضرتُ عمارَتي. وحملتُها إلى

(١) أحشمني: أخجلني.

منزلي. فوَحَقِّكَ يا أمير المؤمنين لقد حملَ إليَّ منَ الجهازِ ما ضاقَتْ عنه بيوتُنا على سَعَتِها. فأَوْلَدْتُها هذا الغلامَ القائمَ بينَ يدَيْ أميرِ المؤمنين.

فعجبَ المأمونُ من كرم هذا الرجلِ، وقال: للَّهِ دَرُّهُ![1] ما سمعتُ قَطُّ بمثلها. وأمرَ إبراهيمَ بإحضارِ الرجلِ ليشاهِدَهُ. فأحضرَهُ بينَ يديهِ، فاستنطَقَهُ فأعجبَهُ، وصَيَّرَهُ من جملةِ خواصِّهِ ومُحاضريهِ.

المصادر:

- ثمرات الأوراق ـ ابن حجة الحموي: ٢٥٦.
- المستجاد من فعلات الأجواد ـ محسن التنوخي.
- تزيين الأسواق ـ داود الأنطاكي: ٣٥٤.

(١) لله دره: ما خرج منه من خير، من الدرّ وهو لبن الناقة.

زواج المتوكل

قال: صحبتُ المتوكِّلَ إلى الشام، وكنتُ مغرماً بالفَراديسِ[1] لِظَرْفِها. فحينَ بَلَغْناها قال المتوكلُ: هلْ لك في أن نتصفَّحَ الكنائسَ والرياضَ فنتنزَّهَ فيها؟ فقلتُ: نعم. فأخذَ بيدي، وَجَعَلنا نَسْتَقْري الأماكنَ، ونشاهِدُ ما فيها منَ العجائب وحُسْنِ ثيابِ النَّصارى، حتَّى خَلَوْنا براهبِ الكنيسة. فجعلَ الخليفةُ يسألُهُ عن كلِّ مَن يَمُرُّ، حتَّى أقبلَتْ جاريَةٌ، لم يُرْمَقْ[2] أحسَنَ منها، وبيدِها مَجْمَرَةٌ تُبَخِّر.

فسألَهُ المتوكلُ عنها، فقالَ: هيَ ابنتي. قال: ما اسْمُها؟ قالَ: شَعانينُ[3]. فقالَ لها المتوكلُ: يا شعانينُ اسْقِيني ماءً. فقالتْ: يا سَيدي، ليسَ هنا إلا ماءُ الغُدْرانِ، وأنا لا أستنظِفُهُ لك، ولو كانَتْ حَياتي تَرْويكَ لَجُدْتُ بها.

وأسرعَتْ بكوزِ فضَّةٍ، فأَوْمَأ إليَّ أنْ أشربَهُ، فشربْتُه. ثم

(١) الفراديس: من ضواحي حمص الجميلة. وكان المتوكل قد نقل مقره إلى دمشق.

(٢) لم يرمق: لم يُر.

(٣) شعانين: كلمة عبرية تعني خَلِّصنا، وهي اسم عيد الأحد قبل الفصح.

قالَ لها: إنْ هَوِيتُكِ تُساعديني؟ فقالت: أنا الآنَ عبدتُكَ. وأمّا إذا صَدَقَ المُحِبُّ في المحبةِ، فما أَخْوَفَني منَ الطُّغْيان! أما سمعتَ قولَ الشاعر:

كنتَ لي في أوائلِ الأمرِ حِبًّا[1]
ثمَّ لمَا ملكْتَ صِرْتَ عَدُوّا

أينَ ذاكَ السرورُ عندَ التَّلاقي؟
صارَ مني تَجَنُّباً ونُبُوّا

فطربَ المتوكلُ حتى كادَ أنْ يَشُقَّ ثوبَهُ. ثم قال لها: هَبِيني نفسَكِ اليومَ. فصعِدَتْ بهِ إلى غرفةٍ مشرفَةٍ على الكنائسِ، وجاءَ الراهبُ بخمرٍ لم يُرَ مثلَهُ. وعافَ المتوكلُ طعامَهُم، واستحضَرَ أطعمةً مِن عندِه. فلمّا أخذَ منه الشرابُ أحضرَتْ آلةً وغَنَّت.

يا خاطباً مِنِّي المودَّةَ مَرْحبا
روحي فداؤكَ لا عَدِمْتُكَ خاطبا

أنا عبدةٌ لهواكَ، فاشْرَبْ واسْقِني
واعْدِلْ بكأسِكَ عن جَليسِكَ إذْ أبى

قد وَالذي رفعَ السماءَ مَلَكْتَني
وتركْتَ قَلْبي في هَواكَ مُعَذَّبا

(١) الحب (بكسر الحاء): الحبيب.

فأرْغَبَها حينئذٍ فأسلَمَتْ، وتَزَوَّجَها فكانتْ من أَحْظى النساءِ عندَهُ. ولم تزلْ حظيَّةً عندَهُ إلى أن قُتِل وهيَ في دارِهِ[1].

المصادر:

- تزيين الأسواق - داود الأنطاكي: ٣٢٩.
- أدب الغرباء - أبو الفرج الإصفهاني: ٦٥.

(١) قتل المتوكل سنة ٢٤٧هـ.

زواج قيس ولبنى

هو قيسُ بنُ ذَريحٍ، من بني عُذْرَةَ. وهو رضيعُ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالب، وسببُ علاقتهِ بِلُبْنى بنتِ الحبابِ الكعبيةِ أنه ذهبَ يوماً لبعضِ حاجاتهِ، فمرَّ بِبَني كعبٍ، وقد احتدَمَ الحرُّ. فاسْتَسْقَى ماءً من خيمةٍ من خيامِ بني كعبٍ، والحيُّ خُلوفٌ[1]، فبرزَتْ إليهِ امرأةٌ مديدةُ القامةِ، بهيَّةُ الطلعةِ، عذبةُ الكلامِ، سهلةُ المنطق. فناولَتْهُ إداوةَ ماءٍ، فوقعَتْ في نفسهِ، وشربَ الماءَ. ولما صدرَ[2] قالت له: ألا تَنْزِلُ فتَتَبَرَّدَ عندَنا؟ قال: نعم.

فنزلَ بهم، ومَهَّدَت له وِطاءً، واستحضرَتْ ما يحتاجُ إليه. ولمّا جاءَ أبوها نحرَ لهُ وأكرمَهُ. وأقامَ عندهُم بياضَ اليوم، ثم انصرفَ وهو أشْغَفُ الناسِ بها، وفي قلبهِ حرٌّ لا يُطْفأ. فجعلَ يكتُمُ ذلك الحبَّ إلى أنْ غلَبَ عليهِ، فنطَقَ فيها بالأشعارِ حتى شاعَ ورُوِي.

ثم إنه أتاها يوماً آخَرَ، ونزَلَ عندَهُم وقد اشتَدَّ وَجْدُهُ

---

(١) خلوف: غائبون.

(٢) صدر: عاد.

بها، وشَكا إليها ما يَجِدُ[1] بها، وما يَلْقَى من حُبِّها. فوجَدَ عندَها أضعافَ ذلك. فانصرفَ وقد علمَ كلُّ واحدٍ ما عندَ الآخَرِ. فمضَى إلى أبيهِ، فَشَكا إليه، وأعلمَهُ حالَهُ وسألَهُ أن يزوِّجَهُ إياها. فأبَى عليهِ أبوهُ وقال: يا بُنَيَّ، عليكَ بإحْدَى بناتِ عَمِّك؛ فهنَّ أحَقُّ بك.

فقد كانَ أبوهُ ذَرِيحٌ كثيرَ المالِ موسِراً، فأحَبَّ ألَّا يخرجَ ابنُه إلى غريبةٍ. فانصرفَ قيسٌ، وقد ساءَهُ ما خاطبَهُ به، فأتَى أمَّه فشكا ذلك إليها، واستعانَ بِها على أبيهِ، فلم يجِدْ عندَها ما يحبُّ. فتركَها وجاءَ إلى الحسينِ بنِ عليّ، وأخبرَهُ القصَّةَ، وما رَدَّ عليهِ أبوهُ. فرثَى له، والتزَمَ أنْ يكفِيَهُ هذا الشأنَ. ومَضَى معه إلى أبي لُبْنى. فلما بَصُر به أبوها أعْظَمَه ووثَبَ إليهِ وقالَ له: يا بنَ رسولِ الله، ما جاءَ بك؟ ألا بعثْتَ إليَّ فأتَيْتُك؟ قال: إنَّ الذي جئتُ فيهِ يوجِبُ قَصْدَك، وقد جئتُكَ خاطباً ابنتَكَ لُبْنى لقيسِ بنِ ذَريح. فقال: يا بنَ رسولِ الله، ما كنّا لنعصِيَ لك أمراً، وما بِنا عن الفَتَى رغبةٌ. ولكنْ أحَبُّ الأمرِ إلينا أن يخطُبَها ذريحٌ أبوه عليها، وأن يكونَ ذلك عن أمرِهِ؛ فإنّا نخافُ إنْ لم يَسْمَعَ أبوهُ في هذا، أن يكونَ عاراً وسُبَّةً علينا.

فشكرَه الحسينُ وأتَى ذَريحاً وقومَه، وهُم مجتمعون

(١) يجد: من الوجد، وهو الحب والهوى.

فقاموا إليهِ إعظاماً له. فقالَ لذريح: أقسمتُ عليك إلا خطبْتَ لُبنى لابْنِكَ قيسٍ. فقالَ: السمعَ والطاعةَ لأمرِكَ. فخرجَ ذريحٌ معَه في وجوهٍ من قومهِ، حتى أتَوا لُبْنى، فخطَبَها ذريحٌ على ابنهِ إلى أبيها، فزوَّجَه إياها، وأدَّى الحسينُ مهرَها من عندِه.

وزُفَّتْ إليه، وأقامَتْ معه مدةً مديدةً على أرفعِ ما يكونُ من أحسنِ الأحوالِ، ومراتبِ الإقبالِ، وفُنونِ المحبة.

وكانَ قيسٌ أبرَّ الناسِ بأمِّه، فألهاهُ حبُّ لُبنى وعُكوفُه عَليها عن بعضِ ذلك. فوجَدَتْ أمُّه في نَفْسها وقالتْ: لقد شَغَلت هذه المرأةُ ابْني عن بِرِّي. ولم تَرَ للكلامِ في ذلكَ مَوضعاً حتى شُفِيَ من مرضهِ، فقالتْ لزوجها ذريحٍ: لقد خَشِيتُ أن يموتَ قيسٌ، وما يتركُ خَلَفاً، وقد حُرِمَ الولدَ من هذهِ المرأةِ. وأنتَ ذو مالٍ، فيصيرُ مالُكَ إلى الكَلالة[1]. فزوِّجْه بغيرِها، لعلَّ الله أن يرزقَهُ ولداً، وألَحَّتْ عليهِ في ذلك.

وأمهلَ ذَريحٌ قيساً، حتى إذا اجتمَعَ قومُهُ دعاهُ فقالَ: يا قيسُ، إنَّكَ اعتلَلْتَ هذهِ العلةَ، فخفْتُ عليك ولا وَلَدَ لك، ولا لي سواك. وهذهِ المرأةُ ـ يَعني لبنى ـ ليستْ بِوَلودٍ. فتزوَّجْ إحدى بناتِ عمِّكَ، لعلَّ الله أن يهبَ لك ولداً، وتَقَرَّ به عينُكَ وأعْيُنُنا. فقالَ قيسٌ: لستُ متزوجاً غيرَها أبداً. فقالَ أبوه: فإنَّ

(١) الكلالة: من لا نسل له.

في مالي سَعَةً، فتسَرَّ بالإماءِ. فقالَ: ولا أسوؤُها بشيءٍ أبداً واللَّهِ. فقال أبوهُ: فإنِّي أقسِمُ عليك إلا طَلَّقتها، فأبى وقالَ: الموتُ واللَّهِ أسهلُ عليَّ مِن ذلك، ولكنِّي أُخَيِّرُكَ خَصْلَةً من ثلاثِ خصالٍ. قال: وما هيَ؟ قال قيسٌ: تتزوَّجُ أنتَ فلعلَّ اللَّهَ أنْ يرزُقَكَ ولداً غيري. قال: فما فيَّ فَضْلَةٌ لذلك. قالَ: فَدَعْني أَرْتَحلْ عنكَ بأَهْلي واصْنَعْ ما كنتَ صانعاً لو مُتُّ في عِلَّتي هذه. قال: ولا هذهِ. قالَ: فأَدَعُ لبنى عندَكَ وأرتحِلُ عنك فلعلِّي أَسْلوها؛ فإنِّي ما أحِبُّ بعدَ أن تكونَ في نفسي طِيبةً أنها في خَيالي. قال: لا أرضَى أو تُطَلِّقَها. وحلَفَ لا يُكِنُّه[1] سقفُ بيتٍ حتى يطلِّقَ لبنى. فكانَ يخرجُ فيقفُ في حرِّ الشمسِ، فيجيءُ قيسٌ فيقِفُ إلى جانبِهِ، فيُظِلُّه بردائهِ، ويَصْلى[2] هو بحرِّ الشمسِ، حتَّى يفيءَ الفَيْءُ، فينصرِفُ عنه. ويدخلُ إلى لبنى فيعانِقُها وتعانقُهُ. ويَبكي وتَبكي معه، وتقولُ: يا قيسُ لا تُطِعْ أباكَ فتَهْلَكَ وتُهْلِكَني، فيقولُ: ما كنتَ لأُطيعَ أحَداً فيكِ أبداً.

فيقالُ: إنَّه مكثَ كذلك سنةً، وقيلَ: أربعينَ يوماً ثم طَلَّقها. وقيل: إنَّ أمَّه هيَ التي كانت تُقْسِمُ عليه أن يفارقَها. وهو يقولُ لها: أخافُ إتلافَ نفسي. فلم تَرْضَ. فلما كان يومُ حرٍّ شديدٍ وقفتِ الأمُّ حافيةً على الرملِ، وأقسمتْ لا تزولُ أو

(١) يكنه: يغطيه.

(٢) يَصْلى: يكتوي، يحترق.

يفارقَ قيسٌ لبنى. ففارَقَها رِفقاً بأمِّه.

فلما أزمعَتِ الرحيلَ بعدَ العِدَّة[١]، جاءَ وقد قُوِّضَ فسطاطُها[٢]، فسألَ الجاريةَ عن أمرِهم، فقالتْ: سَلْ لُبْنى. فأتى إليها فمنعَهُ أهلُه، وأخبروه أنها غداةَ غَدٍ ترحَلُ إلى أهلها، فَسَقَط مغشِيًّا عليهِ لا يعقِلُ. فلما أفاقَ أنشَدَ:

وإنِّي لَمُغْنٍ دمعَ عَينيَ بالبُكا
حِذَارَ الذي قد كانَ أو هوَ كائنُ

وقالوا: غداً أو بعدَ ذاكَ بليلةٍ
فراقُ حبيبٍ لم يَبِنْ وهْوَ بائِنُ

وما كنتُ أخشى أن تكونَ مَنِيَّتي
بكفَّيْكِ، إلّا أنَّ ما حانَ حائنُ

وتَبِعها حينَ ارتحلَتْ ينظرُ إليها. فلما غابَتْ رجعَ، فجعل يُقَبِّلُ أثرَ بعيرِها. ولما أجَنَّه الليل أوى إلى مَضْجعه، فلم يُطِقْ قَراراً. فجعلَ يتململُ ويتمرَّغُ في موضعهِ ويقول:

بِتُّ والهَمُّ يا لُبَيْنى ضَجِيعي
وجَرَتْ، مُذْ نأيتِ عَنِّي، دُموعي

(١) العدة: عدة المرأة: أيام قروئها وكذلك أيام إحدادها على بعلها وإمساكها عن الزينة، وذلك لوفاة زوجها أو طلاقه إياها.
(٢) الفسطاط: الخيمة.

وتَـنَـفَّـسْـتُ إذْ ذكـرتُـكِ حـتَّـى
زالـتِ الـيـومَ عَـن فـؤادي ضُـلـوعـي

يـا لُـبَـيْـنـى، فَـدَتْـكِ نَـفْـسـي وأهـلـي
هَـلْ لـدهـرٍ مـضَـى لـنـا مـن رجـوعِ؟

وعاتَبَ نفسَهُ في طاعتهِ أباهُ في طلاقهِ لُبْنى. واشْتَدَّ شوقُه، وزادَ غرامُه. فأفْضَى به الحالُ إلى مرضٍ ألزمَه الوِسادَ، واختلالَ العقل، واشتغالَ البال. فلامَ الناسُ أباهُ على سوءِ فعلهِ، فجزِعَ ونَدِمَ، وجعلَ يتلطَّفُ به، ويرسِلُ إليه الطبيبَ، وبعضَ بناتِ الحيِّ، ولكنْ دونَ جَدْوى.

واتَّفَقَت آراءُ أهلِ الحيِّ على أن يأمروهُ بتصَفُّحِ أحياءِ العربِ، فلعلَّ أنْ تقَعَ عينُه على امرأةٍ تستميلُ عقلَهُ. وأقْسموا عليه أن يفعلَ، ففعلَ. واتفقَ أنْ نزَلَ بحيّ من فَزارَةَ، فرأى جاريةً قد حَسَرت عن وجهها بُرْقُعَ خَزٍّ، وهيَ كالبدرِ حُسناً وبهجةً، فسألَ عن اسْمِها، فقالَتْ: لُبنى. فَسَقط مغشيًّا عليه، فارتاعَتْ منه، ونضحَتْ وجهَهُ بالماءِ وقالت: إنْ لم تكنْ قيساً فمجنونٌ.

فلما أفاقَ اسْتَنْسَبَتْه، فإذا هو قيسٌ. فأقسمتْ عليه أن ينالَ من طعامها، فتناولَ قليلاً وركبَ. فجاءَ أخوها على أثَرِهِ، فأعْلَمته القصَّةَ، فركبَ حتى استردَّهُ، وأقسَمَ عليه أن يقيمَ عندَهُ شَهراً. فقالَ له قيسٌ: لقد شَفَقْتَ عليَّ. وأجابَهُ[1].

(١) أي أجابه إلى طلبه وأقام.

فكان الفزاريُّ يعجبُ به، ويعرِضُ عليه الصِّهارَةَ حتى لامَتْه العربُ. وقالوا: نخشَى أنْ يصيرَ فعلُكَ سُنَّةً[1]. فيقولُ: دَعوني؛ ففي مثلِ هذا الفتى يرغَبُ الكرامُ. وقيسٌ يقولُ له: إنَّ فيكُم الكفايةَ، ولكنِّي في شُغل لا يُنْتَفع بي معه.

فألحَّ الفزاريُّ عليه حتى عقَدَ له على أختهِ، ودخَلَ بها. فأقامَ معها أياماً لا تَهَشُّ نفسُه إليها، ولا يُكَلمها. ثم استأذَنَ في الخروجِ إلى أهلهِ، لِيُحْضِرَ لزوجتهِ سياقَها، فأذِنوا له. فخرجَ إلى المدينة ـ وكانَ لهُ بها صديقٌ ـ فأعْلَمَه أنَّ لُبْنى قد بَلَغَها تزويجُهُ، فغُمَّتْ لذلك، وقالت: إنَّه لَغَدّارٌ، وإني طالما خُطِبتُ فأبيتُ، والآن أجيبُ هذا.

وراحَ قيسٌ يشبِّبُ بلبنى. فاشْتَكى أبوها قيساً إلى معاويةَ بنِ أبي سُفيانَ، فكتبَ إلى مروانَ بنِ الحكمِ، وكان أميراً على المدينة، بِهَدْرِ دمهِ. وأمرَهُ أن يزوِّجَ ابنتَه بخالدِ بنِ خَلَدَةَ (حِلِّزَةَ) الغَطَفانيِّ. ولما بلغَ ذلك قيساً اشتدَّ به الغرامُ، فركبَ حتى أتى مَحَلَّةَ قومِها، فقالتْ له النساءُ: ما تصنَعُ هنا يا قيسُ وقد رحلتْ لُبنى مع زوجها؟ فلم يلتفِتْ، حتى أتَى موضِعَ خبائها فتمرَّغَ بهِ، وأنشد:

إلى اللَّهِ أشكو فَقْدَ لُبنى كما شكا
إلى اللَّهِ بُعْدَ الوالدينِ يتيمُ

(١) أي أنه هو الذي يخطب إلى أخته، وليس هذا من سُنة العرب.

يتيمٌ جفاهُ الأقربونَ، فجسمُهُ
نحيلٌ، وعهدُ الوالدينِ قديمُ

ومرضَ مرضاً نهكَهُ، فأكثرَ الناسُ من عيادتهِ، وأخذَ ينشِدُ الشعرَ فيها. وحينَ بَلغها شعرُهُ جزعَتْ جَزَعاً شديداً عليه، وخرجَتْ خِفْيَةً إليه، على ميعادٍ، فاعتذرَتْ عنِ الانقطاعِ، وأعلَمَتْه أنها إنَّما تترُكُ زيارَتَه خَوفاً عليه أنْ يهلَكَ، وإلّا فعندَها ما عندَهُ، ولكنَّها جلدَةٌ، وأخبرتْه أنَّها لم تتزوَّجْ زَوْجَها رغبةً فيهِ، بل شَفَقَةً على قيسٍ حينَ أُهدِرَ دمُهُ لِيُخْلِيَ عنها.

وحينَ علمَ زوجُها بأنها ما زالتْ تحبُّ قيساً طَلَّقَها. وحينَ أكملتْ عِدَّتَها تزوَّجَها قيسٌ ثانيةً. وقيل: بل ماتَتْ لبنى في عِدَّتِها. فجاءَ قيسٌ فوقَفَ على قبرِها وأنشَدَ:

ماتَتْ لُبَيْنى، فموتُها مَوْتي
هَل تَنْفَعَنْ حسرةٌ على الفَوْتِ؟
إنِّي سأبكي بكاءَ مكتئبٍ
قَضَى حياةً، وَجْداً على مَيْتِ

ثم بكى حتى أُغْمِيَ عليه، فحُمِلَ وماتَ بعدَ ثلاثٍ، ودُفِن إلى جانِبِها، وكان ذلك في سنةٍ واحدة.

المصادر:

- الأغاني: ٩/ ١٨٠.
- الشعر والشعراء - ابن قتيبة: ٥٢٤.
- تزيين الأسواق - داود الأنطاكي: ١/ ١٣٠.
- فوات الوفيات - ابن شاكر الكتبي: ٣/ ٢٠٥.
- ديوانه ومقدمته.

زواج عبد الله بن عجلان

عبدُ الله بنُ عجلانَ ويُكنى أبا عَمْرَةَ، شاعرٌ مُفْلق، وناطقٌ مُزْلق. أحبَّ هندَ بنتَ كعبِ بنِ عمرٍو النَّهْدِيِّ. وسببُ اعتلاقهِ بها أنه خرجَ يوماً إلى شِعْبٍ من نجدٍ ينشُدُ ضالَّةً، فشارَفَ ماءً يقالُ له «نهرُ غسانَ»[1]. وكانتْ بناتُ العربِ تقصدُهُ، فتخلَعُ ثيابَها وتغتسِلُ فيه.

ولمّا عَلا عبدُ الله ربوةً تُشْرف على النهرِ المذكورِ، رآهُنَّ على تلك الحالةِ، فمكثَ ينظُرُ إليهنَّ مُسْتَخفياً، فصَعَدْنَ حتى بقيتْ هندٌ، وكانَتْ طويلةَ الشعرِ، فأخذَتْ تمشُطُه، وتُسْبِلُه على بَدَنِها، وهو يتأمَّلُ شُفُوفَ بياضِ جسمِها من خلالِ سوادِ شعرِها. ونهضَ ليركبَ راحلتَهُ فعجِزَ. وأُقْعِدَ ساعةً، فأنشَدَ فوراً:

لقد كنتُ ذا بأسٍ شديدٍ وهمَّةٍ
إذا شئتُ لَمْساً للثُّريا لمَسْتُها

أتَتْني سِهامٌ مِن لحاظٍ فأرشقَتْ
بِقَلبي، ولو أستطيعُ ردًّا رَدَدْتُها

(١) غسان: اسم ماء نزل عليه بنو مازن من الأنصار.

ثم قال: هذهِ واللّهِ الضالّةُ التي لا تُرَدُّ. ثم عادَ، وقد تمكَّنَ الهَوَى منه. فأخبرَ صديقاً له، فقال: اكتُمْ ما بِكَ واخْطُبها إلى أبيها، فإنَّه يُزَوجك بها. وإن أشهرتَ عِشْقَها حُرِمْتَها.

ففعَلَ وخَطَبَها، فأُجيبَ وتزوَّجَ بها، وأقاما على أحسنِ حالٍ وأنعمِ بالٍ، لا يزدادُ فيها إلا غراماً. فمضَى عليهما ثماني سنينَ، ولَم تحمِلْ. وكان أبوه ذا ثروةٍ، ليس له غيرُه. فأقسَمَ عليه أن يتزوَّجَ غيرَها ليولَدَ له ولدٌ لحفظِ النسبِ والمال. فعرضَ عليها ذلك، فأبَتْ أنْ تكونَ مع أخرى. فعاوَدَ أباهُ، فأمرَهُ بطلاقِها فأبى، فألحَّ عليه وهو لم يُجِبْ. إلى أن بلغَهُ يوماً أنَّ عبدَ الله قد تمكَّنَ السُّكْرُ منه، فعدَّها فرصَةً. وأرسَلَ إليه يَدْعوه، وقد جلسَ مع أكابرِ الحيِّ. فمنعَتْه هندٌ، وقالَتْ له: إنَّه لا يدعوكَ لخيرٍ. وما أظنُّه إلا عرفَ أنك سكرانُ، فيريدُ أنْ يعرضَ عليك الطلاقَ. ولَئِنْ فعلْتَ لَمُتَّ، وأظنُّ أنَّكَ فاعل. قالتْ له هذا، لأنَّ عجوزاً كاهنةً تضرِبُ الحصا، أخبرَتْ هنداً أنَّها سَتُطلق.

فأبَى عبدُ اللّه إلا الخروجَ، فلما جلسَ معَ أبيهِ، وقد عرفَ أكابرُ العربِ حالَه أقْبلوا يُعَنِّفونه ويَتَناوشونَهُ من كلِّ مكانٍ حتى اسْتَحَى، فطَلَّقَها. فلما سمعتْ هندٌ بذلك احتجبَتْ عنه، فوجَدَ وَجْداً كادَ أن يقضِيَ معه، وأنشَدَ:

طَلَّقْتُ هنداً طائعاً
فندَمْتُ بعدَ فراقِها

فالعينُ تَذْرِفُ دَمْعَها
كالدُّرِّ من آماقِها

خَوْدٌ رَداحٌ طَفْلَةٌ
ما الفحشُ مِن أخلاقِها[1]

ولقد أَلَذُّ حديثَها
وأُسَرُّ عندَ عِناقِها

ولم يَزَلْ شوقُه يَنْمو، ووَجْدُه يَسْمو، حتى لزِمَ الوِسادَ، وتُوفي قبلَ عامِ الفيلِ بأربعةِ أعوامٍ. وكانَ سببُ وفاتِهِ أنه قصدَ هِنداً وقد تزوَّجَتْ فتًى من بني نُمير، وهم قبيلةٌ من عامرٍ، وكانَ بينَهُم وبينَ بني نَهْدٍ ثاراتٌ ودماءٌ كثيرةٌ. فحذَّرَهُ أبوه من الاقترابِ من ديارِ هندٍ، ومَنَّاهُ الاجتماعَ بِها في عُكاظَ في الأشهر الحُرُمِ، حيثُ تكُفُّ الجاهليةُ عنِ الحربِ، فأَبَى.

وخرجَ سِرًّا حتى أتاها، فرآها جالسةً على حوضٍ وزوجُها يَسْقي إبلاً لهُ. فلمّا تَعَارفا شَدَّ كُلٌّ منهُما على صاحبه ودنا منه، حتى اعْتَنقا وسقطا إلى الأرض، وجاء زوجها فوجَدَهُما ميتينِ. وقيلَ: إن عجوزاً دخلتْ عليه في مرضهِ،

(١) الخود: المرأة الشابة. الرداح: الضخمة الممتلئة. الرخصة: الناعمة.

فأخبرَتْهُم أنه عاشقٌ، وأنْ يَطْبُخوا له شاةً، ويَرْفَعوا قَلْبَها ويُقَدِّموها إليه، ففَعَلوا. فجعلَ يُحاوِلُها بِضْعَةً بِضْعةً[1]، فقالَ: أمَا لشاتِكم قلبٌ؟ فقالَ لهُ أخوه: أعاشقٌ أنتَ ولم تَدْرِ؟ فتأوَّهَ ومات.

المصادر:

- تزيين الأسواق لداود الأنطاكي: ١/٢٠٤.
- الأغاني - أبو الفرج: ٢٢/٢٣٦.
- الشعر والشعراء - ابن قتيبة: ٦٠٤.
- مصارع العشاق - أبو محمد السراج: ٢/٢٧.

(١) البضعة (بفتح الباء وكسرها): القطعة من اللحم.

زواج عبد الله بن عبد المطلب

خرجَتْ قداحُ عبدِ المطلب التي بلغَ عددُ الإبلِ فيها مئةً، على المئةِ وأُنْقِذَ ابنُه عبدُ الله والدُ رسول الله ﷺ، فعمَّتِ الفرحَةُ في قريشٍ؛ فقد كان عبدُ الله عاشِرَ أبناءِ عبدِ المطلب، وأحبَّهُم إلى قلبهِ.

فانصرَفَ عبدُ المطلبِ آخِذاً بيدِ عبدِ الله، وأساريرُ البِشْرِ تَطْفَحُ من وجههِ، ويريدُ أن يزوِّجَ ابنَه هذا أفضلَ نساءِ العرب. وَيَزْعمون أنَّ امرأةً من بني أسدِ بنِ عبدِ العُزَّى رأتْ في وجهِ عبدِ الله نورَ النبوةِ، ورجَتْ أن تحملَ بهذاَ النبيِّ مِن هذا الفتى. واسمُ هذه المرأةِ رُقَيَّةُ بنتُ نوفلٍ[1]، أختُ ورقةَ بنِ نَوفل، وكانتْ قرأتْ مع أخيها في الكتبِ علائمَ النبوة، فرأتها متمثلةً في وجهِ عبدِ الله هذا.

يقالُ إنَّ تلك العلامةَ غرَّةٌ بيضاءُ مثلُ غرَّةِ الفرسِ بينَ عينيه. فلمّا رأتْه وهوَ عندَ الكعبة سألتْهُ: أينَ تذهبُ يا عبدَ الله؟ قالَ: معَ أبي. فقالتْ له: لكَ مثلُ الإبلِ التي نُحِرَتْ عنكَ،

(١) اختلف الرواة في اسم المرأة؛ فقالوا: رقية، فاطمة بنت مر، ليلى العدوية، وغير ذلك.

وقَعْ عليَّ الآنَ. قالَ: أنا معَ أبي، ولا أستطيعُ خلافَهُ ولا فراقَهُ. ولعلِّي آتيكِ فيما بعدُ.

وتابَعَ عبدُ الله سيرَهُ معَ جدِّهِ، حتى أَتَى بهِ وَهْبَ بنَ عبدِ منافِ بنِ زُهرةَ ـ وهوَ يومئذٍ سيدُ بني زُهْرَةَ نَسباً وشَرفاً ـ فخطَبَ عبدُ المطلبِ ابنتَه آمنَةَ لابنهِ الغالي عبدِ الله. ووقعَ عَليها فحملَتْ آمنَةُ برسولِ الله ﷺ، ثم خرجَ من عندِها فأتى المرأةَ التي عَرَضَت عليه ما عرضَتْ، فسألَها: مالكِ لا تَعْرِضين عليَّ اليومَ ما كنتِ عرضتِ عليَّ بالأمسِ؟ فأجابَتْه: فارَقَكَ النورُ الذي كان معكَ بالأمسِ، فليسَ لي بكَ اليومَ حاجَةٌ. ولم يَقْرَبْها.

ورأتْ آمنةُ حينَ حملتْ به أنه خرجَ منها نورٌ، رأتْ به قصورَ بُصرى من أرضِ الشام. لكنَّ هذا الزواجَ السعيدَ لم يَتِمَّ، لأنَّ عبدَ الله تُوُفي وآمنَةُ حاملٌ بولدِها، أو كانَ رَضيعاً.

المصادر:

ـ السيرة النبوية ـ ابن هشام: ١/١٤٣.

زواج ابن الفِرِنْد

اسمُه الحارثُ الخزاعيُّ، والمشهورُ بالفِرِنْد. نشأ وابنةُ عمِّه عفراءُ بنتُ الأحمرِ، ممتزجَيْنِ بالأُلْفَةِ إلى أن بَلَغا، فتزوَّجَ بِها. وأقامَا مدَّةً يَنْمو الهَوَى بَيْنَهما، إلى أن عزمتْ يوماً على أن تزورَ أباها، فجهَّزَها إليهِ. فأقامَتْ مدَّةً، وطالتِ المُدَّةُ. وكُلٌّ منهُما يَأبى أَنْ يجيءَ بنفسِهِ؛ فلا هوَ يذهَبُ إلى أهلِها لإحضارِها، ولا هيَ تعودُ مِن تلقاء نَفْسِها.

وزادَتِ الوحشةُ بينَهُما، وحلَفَ أبواهُما ألَّا يأتيَ أحدُهما الآخَرَ، مخافَةَ أن تُزْرِيَ العربُ بهِ[1]. فمرضَ ابنُ الفرندِ من بعدِ عَفراءَ، ومن عاداتِ العربِ، فكتبَ إليها:

صَبَرْتُ على كتمانِ حُبُّكِ بُرْهَةً
ولي منكِ في الأحشاءِ أصدقُ شاهِدِ

هوَ الموتُ إنْ لم تأتِني منكِ رُقْعةٌ
تقومُ لِقَلبي في مقامِ العوائدِ[2]

---

(١) أزرى به: عاتبه وعابه.

(٢) العوائد: الزائرات في المرض، واحدها عائدة.

فأجابَتْه:

كُفِيتَ الذي تَخْشَى وصرتَ إلى المُنَى
ونِلْتَ الذي تَهْوى برُغْم الحواسِدِ
واللَّهِ لولا أن يقالَ تَظَنِّياً
بي السوءُ ما جانَبْتُ فعلَ العوائدِ

فلما قرأ الحارثُ مافي الرقعةِ، وانتشَقَ ريحَها ـ وكانَتْ أعطَرَ أهلِ زمانِها ـ غُشِيَ عليه، فإذا هوَ مَيِّتٌ. فقيلَ لعفراءَ: ما كانَ عليكِ لو أَحْيَيْتِهِ بِزَوْرَةٍ؟ قالتْ: خشيتُ أن يقالَ صَبَوْتُ إليه[1]. ولكنّي قائلةٌ: نَفْسي عن قريبٍ. فلمْ يُشْعَرْ بها إلا وهيَ ميتةٌ.

المصادر:

ـ تزيين الأسواق ـ داود الانطاكي: ١/٢٨٢.

(١) صبوتُ إليه وله: حننتُ إليه.

زواج يزيد من سَلاّمة

كانتْ حَبَّابةُ مولَّدَةً من مُوَلدات المدينةِ لرجلٍ يُعْرف بابنِ رُمَّانة، أو الأحوص، هو خَرَّجَها وأَدَّبَها. وكانتْ حلوةً، جميلة الوجهِ، ظريفةً، حسنةَ الغناء، طيبةَ الصوت، ضاربةً بالعود. وكانتْ في صغرِها تُدعى «العالية». وقد أخذتِ الغناءَ عن ابن سُرَيج، وابنِ مُحْرِزٍ، ومالكٍ، ومَعْبَدٍ، وعن جميلةَ، وعزَّةَ المَيْلاء[1].

وقد أُدْخِلَتْ على يزيدَ بنِ عبدِ الملك في خلافةِ أخيهِ الوليد، وبيدِها دُفٌّ فغنَّتْهُ غناءً أذهله فاشتراها بأربعةِ آلاف دينار. وحينَ علمَ أخوهُ الوليدُ ذلكَ أمرَهُ بأن يرُدّها، فرَدَّها. فاشْتَراها رجلٌ من إفريقيَّةَ[2] ورحلَ بها. لكنَّ يزيدَ ظلَّ مُتَعلقاً بها.

وتزوَّجَ سُعْدَى بنتَ عبدِ الله، وربيحةَ بنتَ محمد بن جعفر، من غيرِ أنْ يَنْسى العاليةَ، إلى أن أفْضَتْ إليه الخلافةُ

(١) هؤلاء أشهر المغنين في العصر الأموي.

(٢) كانت تونس تسمى إفريقية.

سنة ١٠١هـ. وأرادَتْ سُعدى أنْ تُسْعِدَ زوجَها، فأرسلَتْ مولًى لها يبحثُ عنها ويَشْتريها. ومَضَى المولى يبحثُ عنها حتى اجتمَعَ بمولاها، فاشْتَراها منه بمئةِ ألفِ درهمٍ، بعدَ امتناعهِ مِن بيعها، لولا خوفُ المالكِ مِن أخذِها قَهْراً.

ولما وصلتِ العاليةُ إلى سُعدى ألبسَتْها حُلَلاً، ووَهَبَتْها جواهرَ وطيباً كثيراً. ثم قالتْ للخليفة يزيدَ: قد وهبَكَ اللَّهُ المُلْكَ، فهل بقيَ عليكَ شيءٌ؟ وهي تعلمُ ما في نفسهِ. فقالَ: لا. فقالَتْ: بل أنا أعلمُ، فأخبِرْني عَسَى أنْ أوصِلَكَ إليه. فقالَ: العاليةُ. فقالتْ: أوَ تَعْرِفُها إذا رأيْتَها؟ قال: نعم.

فأخذَتْ بيدهِ حتى أدخلَتْهُ عليها، وعَظُمَتْ منزلةُ سُعْدَى عندَهُ. وكانتْ عاهَدَتْ حبابةَ ـ كما أسْماها يزيدُ ـ ألاْ تدَعَ لها حاجةً عندَ الخليفةِ إلا قَضَتْها. وأن يجعلَ الخلافَةَ لولدِها، ففعَلَتْ.

وكانتْ ربيحةُ ـ زوجتُه الثانيةُ ـ قد اشترتْ سَلَّامَةَ ـ وهي أيضاً جاريةٌ كانتْ لمدنيٍّ، وكانَ قد رآها يزيدُ. فوقعَتْ مِن نفسهِ مَوْقِعاً عظيماً. فلما اجْتَمَعتا عندَهُ قالَ: أنا الآنَ كما قيل:

فألقَتْ عَصاها واسْتَقَرَّ بها النَّوَى

كما قَرَّ عيناً بالإيابِ المسافرُ

واقترحَ على حبابةَ وعلى سلامةَ يوماً أنْ تُغَنِّيَ كلٌّ منهُما مافي نفسهِ، ومَن أصابَتْ فَلَها ما تطلبُ. فغنَّتْ سلامةُ فلم تُصِبْ، وغنَّتْ حبابةُ فأصابَتْ بهِ ما في نفسهِ، فقال: احْتَكِمي. فقالتْ: تَهَبُ لي سلامةَ ومالَها. فأبَى وقال: اطْلُبي غيرَها. فأبَتْ إلا هيَ. فقال: أنتِ أَوْلى بها وبمالِها. فغُمَّتْ سَلَّامَةُ، لأنَّها كانتْ أرفعَ مِن حبابةَ زمنَ التعليمِ عندَ معبدٍ، حتى كان يأمُرُها أن تدرِّبَ حبابةَ، فذكَّرَتْها ذلكَ، فقالتْ: لا ترينَ إلا خيراً.

فأَعْتَقَتْها حبابةُ، وقالتْ ليزيدَ: اخْطُبْها مِنِّي. فَخَطَبَها وتَزَوَّجَها.

المصادر:

- الأغاني - أبو الفرج: ١٢٢/١٥.
- تزيين الأسواق - داود الأنطاكي: ٣٠٦/١.
- مصارع العشاق - أبو محمد السراج: ١١٩/١.

زواج بأمر الخليفة

حكى معبدٌ المغني[1] قال: بينما أنا جالسٌ في بيتي إذ طُرِقَ بابي، فقلتُ للغلام: اخرُجْ فانْظُرْ مَن بالبابِ. فخرجَ وعادَ مُسْتأذناً، فأذِنْتُ. فدخَلَ غلامٌ، فوضَعَ بينَ يديَّ ثلاثَ مئةِ دينارٍ وقالَ: غنِّ لي:

باللَّهِ يا طرفيَ الجاني على كَبِدي
لأُطْفِئَنَّ بِدَمعي لوعَةَ الحَزَنِ

لا لا أبو حَنَّ حتى يَحْجبُوا سَكَني
فلا أراهُ، ولو أُدْرِجْتُ في الكَفَنِ

فعملتُ لهما لحناً شَجِياً وغنيتُه بهِ، فأُغْمِيَ عليه، فنَضَحْتُ عليهِ الماءَ. فلما أفاقَ جعلَ يقبِّلُ يديَّ ورجليَّ على أنْ أعيدَ الصوتَ، فقلتُ: أخْشَى أن تموتَ. فقالَ: مَن لي بذلك؟[2] فغنيتُه الصوتَ فخَرَّ مغشِيًّا عليه. فلم أزَلْ أنْضَحُه بالوردِ والطيبِ حتى أفاقَ. فجعلتُ الدنانيرَ بينَ يديهِ وقلتُ:

(١) اسمه معبد بن وهب، ألمع مغني العصر الأموي. نشأ بالمدينة، ثم قصد الشام واتصل بأمرائها، وارتفع شأنه. توفي سنة ١٢٦هـ.

(٢) من لي بذلك؟ أي من يسهِّل لي الموت؟

خُذْها وامضِ عَني. فقالَ: لكَ مثلُها إنْ أعَدْتَه. فشَرِهَتْ عَيني، فقلتُ له: إن أقمتَ عندي، وأكلتَ طعامي حتى تَقْوى نفسُكَ، وأخْبَرْتَني بقصَّتِك، أعَدْتُه. ففعلَ.

وحَدَّثني أنه خرجَ غِبَّ سماءٍ وقد سالَ العقيقُ[1]، معَ فتيةٍ إلى مُتَنَزَّهٍ، فإذا هُم نِسْوَةٌ بينهُنَّ فتاةٌ، قد فَضَحَتِ الشمسَ بعينينِ لا يَرْتَدّانِ إلا باقتناصِ النفسِ. فأوقعتْ به، وعاد مسلوبَ العقلِ. فأقامَ لم يعرِفْ لها خَبراً حتى كادَ أن يقضِيَ. فقالتْ له قرابتُه[2]: لا بأسَ عليكَ، إذا أربعَ الوقتُ[3] خرَجْنا بك أوانَ الفَرَجِ، فلا نعودُ إلا بخبرِها.

ولمّا جاءَ الإبّانُ خرجْنا إلى المتنزَّه، فإذا نحنُ والنِّسْوَةُ كفَرَسَيْ رِهانٍ. فقلتُ لبعضِ قرابتي: قُولوا لهذهِ الجاريةِ: لقد أحسنَ مَن قال:

رَمَتْني بسهمٍ أقصَدَ القلبَ، وانْثَنَتْ
وقد غادَرَتْ جُرْحاً بهِ ونُدوبا

فقالتِ الجاريةُ: قد أحسَنَ مَن أجاب:

بِنا مثلُ ما تَشْكو، فَصَبراً لعَلَّنا
نَرى فَرَجاً يَشْفي السَّقامَ قَريبا

(١) غبّ سماء: إثر هطول المطر، حتى ملأ الوادي.
(٢) قرابته: أقرباؤه.
(٣) أربع: حل الربيع.

فأمسكْتُ عن الجوابِ، وتَبعْتُها حتى عرفْتُ المنزلَ. فكنّا نجتمعُ ونتحادَثُ، إلى أنْ علمَ أهلُها، فحَجَبوها. وخَطَبْتُها فامْتَنَعوا مُحْتَجِّين بالشُّهرةِ. فها أنا على ما تَرى.

قالَ معبدٌ: فغنيتُه الصوتَ ومَضَى. فلما حضرتُ معَ جعفرٍ غنيتُه إيّاهُ، فطرِبَ، وسألَ عنه، فأخبرتُه القصةَ. فأمرَني بإحضارهِ فأحضرْتُه إليهِ. فطيَّبَ قلبَهُ، وركبَ إلى الخليفةِ فحدَّثَه بالحديثِ. فاسْتَحْضَرنا جميعاً، وطلبَ أن أغنِّيَه الصوتَ فغنيتُه فطرِبَ. وكتبَ إلى عاملهِ عَلى الحجازِ بإحضارِ الرجلِ وأهلهِ. فلما حضروا أمْهَرَها الخليفةُ وزَوَّجَها منه.

المصادر:

- تزيين الأسواق - داود الأنطاكي: ١/٣٢٦.

زواج عَبّود

كان في بني إسرائيلَ رجلٌ اسمُه عَبّودٌ، كَلِفَ بابنةِ عَمِّه، حتَّى كان لا يصبِرُ عنها ساعةً، فتزوَّجَ بها، وأقاما مدةً معاً سُعداءَ. ثم ماتَتْ، فاشْتَدَّ وَجْدُه بها، وطارَ عقلُه. فمضَى إلى المسيحِ عليه السلامُ، وسألَه أن يُحْيِيَها له، فقالَ: لا يتيسَّرُ لي إلا أن تَهَبَها مِن عمرِك شيئاً. فقالَ: قد وَهَبْتُها نصفَ عُمري.

فأحياها له، ومَضَيا. وقد لحقَ عَبوداً تعبٌ شديدٌ، فَجَلسا يَسْتريحانِ من عناءِ الطريقِ، فوضَعَ رأسَهُ على رُكْبتها فنامَ. فمرَّ ملكُ الناحيةِ، فرآها، فعلِقَتْ بقلبِه، وعلِقَ هو أيضاً بقلبها، فعرضَ عليها أنْ تكونَ معه، فأجابَتْه، فحمَلَها في قُبَّةٍ.

وانْتَبَه عبودٌ فلم يجدْ أحداً، فقامَ مَرْعوباً، فوجَدَ قوماً يَنْعُتون حُسْنَها، فسألَهم عنها، فأخبروهُ أنها معَ الملكِ. فَلَحِقَها، وجعلَ يذكّرُها بما صنَعَ، وهي ساكتةٌ فقالَ لها: قد كنتِ مُتِّ، وسألتُ المسيحَ في إحيائِكِ، ووَهَبْتُك نصفَ عُمري على أن تكوني معي، فحيثُ لم تَرْضَيْ، فَرُدِّي عليَّ

ما وهبتُكِ. فقالتْ: قَد رَدَدْتُه. فما خرجَتِ الكلمةُ مِن فِيها حتى ماتت.

المصادر:

- تزيين الأسواق - داود الأنطاكي: ٢/١٩.

زواج صخر

صخرُ بنُ عمرٍو أخو الخنساءِ كانَ من أشجعِ العربِ وأكرمِهم وأجملِهم. وقد تزوَّجَ سَلمى بنتَ عوفِ بنِ ربيعةَ الرِّياحيِّ. وقد عاهَدَها على ألا تتزوَّجَ بعدَهُ، كما عاهَدَها على ألا يتزوَّجَ بعدَها. وكانَ يقولُ إذا نظرَ إليها: لا أكرهُ الموتَ، إلا أنَّه يفرِّقُ بيني وبينَ هذهِ. وكانَ يحبُّها حُبًّا جَمًّا.

فلما كانَ يومُ الكُلابِ المشهور، وهو اليومُ الذي تحارَبَ فيهِ بنو عوفٍ وبنو الحارثِ، الْتَقَى صخرٌ مع ربيعةَ الأسدي، فطعَنَ ربيعةُ صخراً، وكان رمحُ صخرٍ قصيراً، فأصابَه ربيعةٌ، فأدخَلَ في بطنِهِ حَلَقاً منَ الدرعِ، فاندمَلَ عليهِ، حتى شُقَّ عنهُ بعدَ سنين.

وقد مرضَ صخرٌ من هذهِ الطعنةِ، وطالَ عليه المرضُ أكثَرَ من عام. وكانت أمُّه تأتيهِ وتلاطفُه، في حين أنَّ سلمى قصَّرَتْ في خدمتهِ، وملَّتْ من مرضتهِ. وقد سمعَ صخرٌ امرأةً تسألُ زوجَتَه: كيفَ بَعْلُكِ يا سَلمى؟ فقالتْ: لا حَيٌّ فيُرْجَى، ولا مَيْتٌ فَيُنْعَى، لَقِينا منهُ الأمَرَّيْنِ. فتألمَ كثيراً.

وسألتْ يوماً امرأةٌ أمَّ صخرٍ: كيفَ حالُ صخرٍ؟ فقالتْ: نحنُ بخيرٍ ما دُمْنا نَرَى وجههُ. فقالَ:

أرَى أمَّ صخرٍ لا تَمَلُّ عِيادتي
ومَلَّتْ سُلَيْمى مَضْجَعي ومَكاني

وما كنتُ أخشَى أنْ أكونَ جِنازَةً
عليكِ ومَن يغترُّ بالحَدَثانِ

فأيُّ امرىءٍ ساوَى بأمٍّ حليلةً
فلا عاشَ إلا في شَقًّا وهَوانِ

وحُكي أنه جلسَ يوماً ليستريحَ، وقد رُفِعَ لهُ سِجْفُ البيتِ، فرأى سَلمى واقفةً تحادثُ رجلاً من بَني عَمِّها، وقد وضعَ يدَهُ على عَجِيزتها، فسمعَهُ يقولُ لها: أيُباعُ هذا الكَفَلُ؟ فقالتْ: عن قريبٍ.

فقالَ صخرٌ لأمِّه: عليَّ بِسَيفي لأنظُرَ هل صَدِيءَ أم لا؟ فأتَتْهُ بهِ، فجرَّدَهُ وهَمَّ بقتلِ سَلمى. فلمّا دخلَتْ رفَعَ السيفَ فلم يَسْتَطع حملَهُ، فبكى.

ولمّا اشْتَدَّ غَمُّه وطالَ مرضُه نَتَأتْ قطعةٌ موضعَ الطَّعنة. فقالوا له: لو قَطَعْتَها لرجَوْنا أنْ تبرأ. فقالَ: شأنَكُم. فأشفَقَ عليهَ بعضُهم فنهاهُم، فأبى وقال: الموتُ أهونُ عليَّ ممّا أنا

فيهِ. فأَحْمَوْا شفرةً فأدخلوها فيها وقَطعوها، فماتَ. وسرعانَ ما تَزَوَّجَتْ سَلمى بعدَهُ، ناسيةً عهدَهُ لها.

المصادر:

- الأغاني - أبو الفرج: ١٥/٧٦.
- تزيين الأسواق - داود الأنطاكي: ٢/٤٢.
- أخبار النساء - ابن قيم الجوزية: ١٣٠.
- مصارع العشاق - أبو محمد السراج: ١/١٦١.

زواج المأمون من بوران

المأمون هو خليفةٌ عباسيٌّ ابنُ هارونَ الرشيدِ، تسلَّمَ الخلافَةَ بعد مقتلِ أخيهِ محمدٍ الأمينِ سنة ١٩٨هـ. وفي سنة ٢٠٩هـ أملكَ بخديجةَ بنتِ الحسنِ بنِ سهلٍ وزيرِهِ الفارسيّ، وكانَتْ تُدعى بوران[١].

ونثر الحسنُ في ذلك الإملاكِ منَ الأموالِ ما لم ينثُرْهُ ولم يفعلْهُ ملكٌ قطُّ في جاهليةٍ ولا في إسلامٍ؛ فقد نثرَ على الهاشميينَ والقوادِ والكتَّابِ والوجوهِ بنادِقَ مسكٍ فيها رِقاعٌ بأسماءِ ضياعٍ وأسماءِ جوارٍ وصفاتِ دوابَّ، وغيرَ ذلك. فكانتِ البندقةُ، إذا وقعَتْ في يدِ الرجُلِ فَتَحها، فقرأ ما بها، فيجدُ على قدرِ إقبالهِ وسعودهِ فيها. فيَمْضِي إلى الوكيلِ الذي نُصِّب لذلك، فيقولُ له: ضيعَةٌ يقالُ لها فلانةُ الفلانيةُ من طَسُّوجِ كذا من رسْتاقِ كذا[٢]، وجاريةٌ يقالُ لها فلانةُ الفلانيةُ، ودابَّةٌ صفتُها كذا. ثم نثر، بعد ذلك على سائرِ الناسِ الدنانيرَ

(١) بوران: اسم فارسي معناه المطر الغزير.

(٢) طسّوج: ناحية أو محافظة. رستاق: قرية، وكلاهما فارسي.

والدراهمَ، ونوافِجَ[١] المسكِ. وبَيْضَ العنبر.

وأنْفَقَ المأمونُ على قوادِهِ وجميعِ أصحابِهِ، ومَن كان تبعَهُ مِن جنودِهِ أيامَ مقامِهِ عندَه، حتَّى المُكارينَ[٢] والحمالينَ والملاحينَ، وكلِّ مَن ضمَّه العسكرُ من تابعٍ ومتبوعٍ مرتزقٍ وغيرِهِ، فلم يكنْ أحدٌ منَ الناسِ يَشْتري شَيئاً في عسكرِ المأمونِ مِمّا يطعَمُ، ولا ممّا تعتلفُهُ البهائم.

ولما دخلَ المأمونُ ببورانَ فَرَشَ لها الحسنُ بنُ سهلٍ حَصيراً من ذهب وأقامَ المأمونُ عندَ الحسنِ سبعةَ عشرَ يوماً، لم تنقطِع الهباتُ خلالَها مُطلقاً. ثم سألَ المأمونُ الحسنَ: حوائجك يا أبا محمدٍ؟ قال: نعمَ يا أميرَ المؤمنين، أسألُكَ أنْ تحفظَ عليَّ مَكاني مِن قلبك؛ فإنَّه لا يَتَهيأ لي حفظُه إلا بِكَ. فأمرَ المأمونُ بحملِ خراجِ فارسَ وكورِ الأهوازِ إليهِ سنةً.

وسأل المأمونَ حمدونةَ بنتَ عفيفٍ عن مقدارِ ما أنْفَقَ على بورانَ، فقالتْ: أنفقتَ خمسةً وعشرينَ ألفَ ألفِ درهمٍ.

ماتَ المأمونُ سنة ٢١٨هـ، بينما ماتَتْ بورانُ سنة ٢٧١هـ.

---

(١) نوافج: واحدها نافجة، وهي السُّرَّة الصغيرة للإنسان أو الحيوان. واستخدمت بمعنى الصرَّة الصغيرة التي يوضع فيها المسك.

(٢) المكاري: الذي يؤجر الدابة.

المصادر:

- مروج الذهب ـ المسعودي: ٤/ ٣٠.
- تاريخ الخلفاء ـ السيوطي: ٢٨٦.
- العقد الفريد: ابن عبد ربه (تحقيقي): ٥/ ١٠٨.
- أعلام النساء ـ عمر رضا كحالة: ١/ ١٥٩.

زواج حَمدونة

محمدُ بنُ صالحٍ العلويُّ الطالبيُّ[1] زارَ إبراهيمَ بنَ المُدَبِّر يوماً بعدَ أن أُطْلِقَ من الحبسِ، وقالَ له: إني أريدُ المُقامَ عندَكَ اليومَ على خَلْوةٍ، لأُبُثَّكَ من أمرِي شيئاً لا يصلحُ أنْ يسمعَهُ غيرُنا، فقالَ إبراهيمُ: أَفْعَلُ. وصرَفَ مَن كان بحضرتهِ. فلمّا اطمأنّ وأكلا قال:

أُعْلِمُكَ أني خرجتُ في سنةِ كذا وكذا، ومعي أصحابي على القافلةِ الفلانية، فقاتلَنا مَن كانَ فيها، فهزَمْناهُم ومَلَكنا القافلةَ. فبَيْنا أنا أحوزُها وأنيخُ الجمالَ، إذ طلعتْ عليَّ امرأةٌ من سِجافِ هَوْدَجها، فأضاءَ منها الموضعُ ولا إضاءتُه بالشمس، فقالت: يا فتى، إنْ رأيتَ أنْ تدعُوَ لي بالشريفِ المتولِّي أمرَ هذا الجيشِ. فقلتُ: وقد رأيتهِ وسمعَ كلامَك. فقالتْ: سألتُكَ بحقِّ الله وحقِّ رسولهِ ﷺ أنتَ هو؟ فقلتُ: نعم وحقِّ الله وحق رسوله إني لَهُوَ.

---

(١) محمد صالح العلوي شاعر من النبلاء، ولي إمارة المدينة للواثق سنة ٢٢٩هـ وعزله المتوكل. وتوفي سنة ٢٤٨هـ. وقد سجنه المتوكل ثم أطلق سراحه.

فقالتْ: أنا حمدونةُ بنتُ عيسى بنِ موسى بنِ أبي خالدٍ الحَرِّيِّ، لأبي محلٌّ من سلطانهِ، ولنا نعمةٌ إن كنتَ ممن سمعَ بها، فقد كفاك ما سمعتَ. وإن كنتَ لم تَسمع بها فسَلْ عنها غَيري. ووالله لا استأثرتُ عنكَ بشيءٍ أملكُه، ولكَ بذلك عهدُ الله وميثاقُه عليَّ. وما أسألُكَ إلا أن تَصُونني وتَسْتُرني. وهذه ألفُ دينار معي لِنَفَقتي، فخُذْها حَلالاً. وهذا حَليٌّ عليَّ من خمسِ مئةِ دينارٍ فخذهُ وضَمِّنِّي[1] ما شئتَ بعدَه، آخُذُه لكَ من تجارِ المدينةِ أو مكةَ أو أهلِ الموسمِ، فليسَ منهم أحدٌ يمنعُني شَيئاً أطلبُه، وادفَعْ عني، واحْمِني من أصحابِكَ، ومِن عارٍ يلحقني.

فوقَعَ قولُها مِن قلبي مَوْقعاً عظيماً، فقلتُ لها: قد وهبَ اللَّهُ لكِ مالكِ وجاهَك وحالكِ، ووهبَ لكِ القافلةَ بجميعِ ما فيها. ثم خرجتُ فناديتُ في أصحابي، فاجْتَمعوا فناديتُ فيهم: إني قد أَجَرْتُ هذه القافلةَ وأهلَها، وخفرتُها وحميتُها. ولها ذِمَّةُ الله وذِمَّةُ رسولهِ وذمَّتي. فمن أخذَ منها خيطاً أو عقالاً فقد آذَنْتُه بحربٍ، فانْصَرِفوا معي. وانصرَفْتُ.

فلما أُخِذْتُ وحُبست، بينا أنا ذاتَ يومٍ في مَحْبسي إذ جاءني السجّانُ وقال لي: إنَّ بالبابِ امرأتينِ تزعمانِ أنهما من أهلك، وقد حُظِرَ عليَّ أنْ يدخُلَ عليك أحدٌ، إلا أنهما

(١) ضَمِّنِّي: عاهدني.

أَعْطَتاني دُمْلُجَ ذهبٍ[١]، وجَعَلتاه لي إنْ أَوْصَلتهما إليك. وقد أذنتُ لهما، وهما في الدِّهليز، فاخرجْ إليهما إن شئت.

ففكرتُ فيمن يَجِيئني في هذا البلد، وأنا به غريبٌ، لا أعرفُ أحداً، ثم قلتُ: لعلهما من ولدِ أبي أو بعضُ نساء أهلي. فخرجتُ إليهما، فإذا بِصاحبتي. فلمّا رأتْني بكتْ لِما رأتْ من تغيُّرِ خَلْقي، وثِقَلِ حديدي. فأقبلتْ عليها الأخرى فقالتْ: أهوَ هوَ؟ فقالتْ: إيْ واللَّهِ، إنه لهوَ هوَ. ثم أقبلتْ عليَّ فقالتْ: فداكَ أبي وأمي، واللَّهِ لو استطعتُ أن أقِيَكَ مما أنتَ فيه بنفسي وأهلي لفعلتُ، وكنتَ بذلك مني حَقيقاً. ووااللَّهِ لا تركتُ المعاونةَ لك، والسعيَ في حاجَتِك، وخلاصِكَ بكلِّ حيلةٍ ومالٍ وشفاعةٍ. وهذه دنانيرُ وثيابٌ وطيبٌ، فاستعِنْ بها على مَوْضِعك، ورسولي يأتيك في كلِّ يومٍ بما يُصْلحك، حتى يفرِّجَ اللَّهُ عنك. ثم أخرجتْ إلي كسوَةً وطيباً ومِئتي دينارٍ. وكان رسولُها يأتيني في كلِّ يومٍ بطعامٍ نظيفٍ، وتُواصل بِرَّها بالسجانِ، فلا يمتنعُ من كلِّ شيءٍ أريدُه.

فمنَّ اللَّه بخلاصي. ثم راسَلْتُها فخطبْتُها، فقالت: أمّا مِن جهتي فأنا لك مُتابعةٌ مُطيعة، والأمرُ إلى أبي. فأتيتُه فخطبتُها إليه، فردَّني وقالَ: ما كنتُ لأحقِّقَ عليها ما شاعَ في الناسِ عنك في أمرِها، وقد صَيَّرْتَها فضيحةً. فقمتُ من عندِهِ

(١) الدملج: حلي يلبس في المعصم.

منكِّساً مُنْتحياً، وقلتُ له في ذلك:

رَمَوْني وإيّاها بشنعاءَ هُمْ بها
أحَقُّ، أدالَ اللَّهُ منهم فعجَّلا[1]

بأمرٍ تركناهُ وربِّ محمدٍ
عِياناً، فإمّا عفةٍ أوتَجَمُّلا

فقالَ له إبراهيمُ: إنَّ عيسى صنيعة أخي، وهو لي مطيعٌ، وأنا أكفيكَ أمره. فلمَّا كان من الغد لقيت عيسى في منزله. وقلتُ له: قد جئتُكَ في حاجةٍ لي. فقال: مَقْضيَّةٌ، ولو كنتَ استعملتَ ما أحبُّه لأمَرْتَني فجئتُك، وكانَ أسرَّ إلي. فقلتُ له: قد جئتُك خاطباً إليك ابنتَكَ. فقال: هي لكَ أمَةٌ، وأنا لك عبدٌ، وقد أجبتُك. فقلتُ: إني خطبْتُها على مَن هو خيرٌ مني أباً وأماً، وأشرفُ لك صِهراً ومُتَّصلاً، محمدُ بنُ صالحٍ العلويُّ. فقال أبوها: يا سيدي، هذا رجلٌ قد لَحِقنا بسببهِ ظِنَّةٌ، وقيلتْ فينا أقوالٌ. فقلتُ: أفليسَتْ باطلةً؟ قال: بلى والحمدُ لله. قلتُ: فكأنها لم تُقَلْ، وإذا وقعَ النكاحُ زالَ كلُّ قولٍ وتَشْنيع.

ولم يزلْ إبراهيمُ يَرْفُقُ بهِ حتى أجابَ. وبعثَ إلى محمدِ بنِ صالحٍ فأحضرَهُ. وما برحَ من مكانهِ حتى زوَّجَه،

(١) أدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكرة لهم عليه.

وساقَ الصِّداقَ[1] عنه. فمدَحَه محمدُ بنُ صالح بقصائدَ عديدةٍ لمساعدتهِ في هذا الزواج.

المصادر:

- الأغاني: ١٦/ ٣٦٠.
- تزيين الأسواق - داود الأنطاكي: ١/ ٣٣٣.
- أعلام النساء - عمر رضا كحالة: ١/ ٢٩٤.

(١) وردت بكسر الصاد وفتحها.

زواج عبدَيْن

عشِقَ عبدٌ أسودُ عندَ رجلٍ بالمدينةِ جاريةً سوداءَ لرجلٍ آخَرَ. وكان العبدُ يواصِلُ الجاريةَ سِرًّا. فلما علمَ مَولاها جاءَ إلى مولى العبدِ، فشكا إليه تواصُلَ العبدِ بجاريتهِ. فضربَ الرجلُ عبدَه وسجنَه، فتوَلَّهَ وطارَ عقلُه.

ثم إنَّ الرجلَ رقَّ لحالِ عبدهِ، فدخلَ عليه في سجنهِ وقال لهُ: ما هذا الحالُ؟ قد فَضَحْتَنا بهذهِ السَّوداءِ، فهلْ عندَها ما عنْدَكَ؟ فبكى العبدُ وأنشدَ:

كِلانا سَواءٌ في الهَوَى، غيرَ أنَّها
تجلَّدُ أحياناً وما بي تجلُّدُ

تخافُ وعيدَ الكاشِحينَ، وإنَّما
جُنوني عليها حين أُنْهَى وأُوعَدُ

فتألَّمَ سيدُه، وحلَفَ لا يبيتَنَّ حتى يجمَعُ بينَهُما، فاشْتَرى الجاريةَ من مالكها باثْنَي عشرَ ديناراً، وزوَّجَها منه.

المصادر:

- تزيين الأسواق - داود الأنطاكي: ١/ ٣٤٠.

زواج ابن دأب

حُكي عن ابنِ دأبٍ أنه مرضَ مَرضاً شديداً، وطالَ به الأمرُ. فدَعَوْا له أطباءَ الروم، فعالجوهُ بضروبٍ منَ العلاجِ، فلم يُؤَثِّر فيه شيءٌ. فأمروا أهلَه أنْ يُوكِلوا به امرأةً تَسْقيه من الخمرِ دونَ السكرِ، لعلَّه يبوحُ بما عندَهُ فأرسَلَ إليه عمُّه بجاريةٍ، فلما سَقَتْه وغنَّتْ عنده، أشَدَ يخاطبُ الجاريةَ المغنيةَ وحاضِنةً كانت له، يقولُ:

دَعُوني لِما بي وانْهَضُوا في كِلاءَةٍ[1]
منَ اللَّهِ قد أيقنتُ أنْ لستُ باقيا

وأنْ قد دَنا مَوتي وحانَتْ مَنِيَّتي
وقد جلبَتْ عَيني عليَّ الدَّواهيا

أموتُ بشوقٍ في فؤادٍ مبرِّحٍ
فيا ويحَ نَفْسي مَن بهِ مثلُ ما بِيا!

فأعْلموا عمَّهُ بذلك، فبعثَ إليه بجاريةٍ ظريفةٍ كثيرةِ الأدب. فاحتالت عليه بِلطفها حتى استخرَجَتْ ما عندَهُ.

---

(١) كلأه الله كلاءةً: حرسه وحفظه.

فأخبرها أنه رأى جاريةَ أختهِ في نومهِ فعشِقَها، فأصابَه هذا الحالُ. فأعلمتِ الجاريةُ أختَهُ، فوهَبَتْ له الجاريةَ، فتزوَّجَها، فبرىءَ مِن عِلَّته.

المصادر:

- مصارع العشاق ـ أبو محمد السراج: ٢/ ٢٧.
- تزيين الأسواق ـ داود الأنطاكي: ١/ ٣٤٠.

زواج في السفينة

حُكي أنَّه كان في بغدادَ رجلٌ من ذَوي النِّعم، فعشقَ قينةً على أوفرِ ما يكونُ من الجمال والمعرفة بالغناءِ والطرب. فأنفقَ عليها ما معَهُ حتى ضاقَ حالُه. فأشارَ عليه بعضُ أصدقائه أن يأذَنَ لها في الغناءِ عندَ الناس، فإنها مطلوبةٌ، ويحصلَ له بذلك الثروةَ. فغُمَّ لذلك، وأخبرَهُ أنَّ الموتَ عنده أسهلُ من ذلك.

وقالتْ له: الرأيُ أن تَبِيعني، فتحصَلَ من ثَمني على غِناك، وأكونَ أنا في ثروةٍ؛ فإنه لا يَشْتري مِثلي إلا غنيٌّ. فحضَرَ بها السوقَ. فاشْتَراها هاشميٌّ من أهل البصرة بألفٍ وخمسِ مئةِ دينار. فلما قبضَ المالَ وتفارقا. صارَ كلٌّ منهما على أقبحِ حالٍ من البكاء. واجتهدَ في الإقالةِ[1] فما ظَفِر.

قال: فخرجتُ لا أدري إلى أينَ أذهبُ؛ إذ لا يمكنُني الدخولُ إلى البيت وقد أَوْحَش منها. فدخلتُ مسجداً، فجعلتُ الكيسَ تحتَ رأسي ونمتُ. فما انتبهْتُ إلا وشابٌّ قد أخذَ

(١) الإقالة: فسخ العقد.

الكيسَ. فقمتُ لأعْدُوَ خلفَه، فإذا برجلي مشدودةٌ، قد ربطَها السارقُ، فما تَخَلَّصتُ من الحبل إلا وقد ذَهَب.

فاشتَدَّ ما بي، فجئتُ نهرَ دجلةَ، فلفَفْتُ وَجْهي، وألقيتُ نَفْسي في الماء طالباً أن أغرقَ. فاستنقَذَني الحاضرون ظانِّينَ أني وقعتُ غَلَطاً. فلما أخبرتُهُم بِقِصَّتي، فمنهُم من عنَّفَ، ومنهم من رَحِمَ. فخلا بي شيخٌ منهم فوَعَظَني وقال: لستَ أولَ من افتقرَ بعد غنًى. أمَا كفاكَ ذهابُ مالكَ حتى تُذْهب نفسَكَ وتصيرَ في النار؟

فسكَّن ما بي قليلاً، ثم عاوَدَني القلقُ، فأخبرتُ صديقاً لي، فأعطاني خمسينَ درهماً، وأشارَ عليَّ أن أخرجَ إلى بغدادَ، فعسى أن أجِدَ مَن أكتبُ عندَهُ من الأكابرِ لحسنِ خَطِّي. فعزمتُ على واسطٍ. لأنَّ لي بها صديقاً من الكتَّاب. فجئتُ فرأيتُ زَلّالاً[1] مُهَيَّأً، فطلبتُ النزولَ معهم.

فقالوا: نحملُكَ بدرهمينِ، ولكنَّ الزَّلالَ لهاشميٍّ لا يريدُ معَهُ غَريباً. فتزَيَّ بِزِيِّنا كأنَّك بعضُ الملاحين. فوقَعَ بقلبي أنَّ الزَّلّالَ للذي اشْتَرى جاريتي، فأتَيتُ حينئذٍ بصُوْرتِها إلى واسطٍ. فاشتريتُ الجُبَّةَ ولبسْتُها كالملاّحينَ. فما وقفتُ إلا وجارِيَتي قد أقبلَتْ ومَوْلاها. فضُرِبَتْ لها سِتارة.

(١) الزَّلّال: ضرب من السفن يزلّ على الماء كالزلّاقة.

فلمّا انْحَدروا وجاءَ العَشاءُ، وأكلوا وشربوا، قال الهاشميُّ للجارية: إلى كَم هذا الحزنُ والمُدَافَعَةُ عن الغناء؟ أأنتِ أولُ من فارقَتْ مَوْلاها؟ وألَحُّوا عليها، فأخَذَتِ العودَ وغنَّتْ، ثم غلَبَ عليها البكاءُ، ونهضَتْ فانْتَفَضَت وصُرِعت. فنَضَحوا عليها الماءَ، وأدَّنوا في أُذُنِها فأفاقَتْ. ولم يَزالوا يتلطَّفُون بها حتى عادَتْ، فغنَّتْ.

فوقَفَتْ أُشْهِدُ بالذين أُحِبُّهم
وكأنَّ قلبي بالشِّفارِ يُقَطَّعُ

فدخلتُ دارَهُمُ أسائلُ عنهُمُ
والدارُ خاليَةُ المنازِلِ بلقَعُ[1]

فشهَقْتُ، فكادَتْ نَفْسي تَتْلَفُ، وصُرِغْتُ. فقالوا: كيفَ حَمَلْتُم مَجنوناً؟ اطْرِحوه. فلَحِقَني أمرٌ عظيمٌ، فتصبَّرْتُ. ولما شارَفَ القومُ المنزلَ في بعضِ الطريقِ، أوْقَفوا الزَّلالَ وصَعِدوا يَتَنَزَّهون.

وخَلا الزلالُ، فعَمَدْتُ على غَفلةٍ إلى العودِ، فأصلحْتُه على طريقةٍ معروفةٍ بَيْني وبَيْنَها. فلما رَجَعوا ـ وكانَ الوقتُ مُقْمراً ـ تَلَطَّفوا بها وقالوا: ترينَ ما نحنُ عليهِ في هذا الوقتِ، فباللَّهِ عليك إلا ما انْشَرَحْتِ معنا. فأخذَتِ العودَ، فشهقَتْ

(١) الشفار: السكاكين.

شهقةً مُنكرةً، ثم قالتْ: هذا العودُ على طريقةٍ كانَ مولايَ يحبُّها، ويضربُ بها معي، وإنَّه لَمَعَنا.

فقالوا لها: واللَّهِ لو كانَ معنا ما امْتَنَعْنا عن عِشْرتهِ ليخِفَّ ما بكِ. فقالتْ: هو مَعَنا لا محالَةَ.

فقالوا للملاَّحينَ: هَل حَمَلْتم أحداً؟ وأشفقْتُ أن ينقطِعَ السؤالُ. فقلتُ: أنا يا سيدي. فأحْضَرني وقال: واللَّهِ إني ما وَطِئْتُها، وأنا رجلٌ قد وسَّعَ اللَّهُ عليَّ. وما أخذْتُها إلا لسماعِ غنائها. فكُنْ معنا إلى منزلنا، فأُعْتِقَها وأزوِّجَكَ بها، ولا أريدُ منك إلا أنْ تُحْضِرَها كلَّ ليلةٍ وراءَ ستارةٍ، فنسمعَ غناءَها وتَنْصرف. فقلتُ فرحاً: كيفَ أمنَعُ ذلك عنكَ، وأنت سببُ حياتي؟ فقال للجاريةِ: أرضِيتِ بذلك؟ قالتْ: نَعم. وشكرتْهُ وزادَ سرورُها، فجعلَتْ تُغني وأنا أقترحُ عليها الأصواتَ. فتضاعَفَ سرورُ الرجل.

ودُمْنا على ذلك حتى بَلَغْنا نهرَ مَعْقِل ليلاً، ونحنُ ثَمِلونَ. فصَعِدْتُ حتى تركتُ الزلالَ لقضاءِ الحاجةِ، فأخَذَني النومُ، ولم يدْروا بي حتى سافروا. فأفَقْتُ بِحَرِّ الشمسِ، فلم أجِدْهُم. وعُدْتُ إلى المِحْنَة. فجازَ بي «سُمَّارِيَّة»[1]، فنزلتُ معهم إلى البصرة. فدخَلْتُها ولم أعرِفْ بها مَوْضعاً ولا أحداً. ولم أكُنْ سألتُ الرجلَ عن اسمهِ ولا عن موضعهِ. فرأيتُ

(١) السمارية: ضرب من السفن.

رجلاً من بغدادَ ماراً، فقمتُ لأشْكُوَ إليه حالي، ففاتَني فتبِعْتُه حتى عرفتُ موضعه. وجئتُ إلى بَقّالٍ، فأخذتُ منه ورقةً لأكتُبَ حالي إلى الرجلِ. فاستحسَنَ البقالُ خَطّي، واسْتَرَقَّ حالي، وسألَني عنه، فلم أشْرَحْ له أكثرَ من أنَّه لم يبقَ في يدي شَيء.

فقالَ: هل لكَ أن تكتُبَ عِنْدي كلَّ يومٍ بنصفِ درهم وما تحتاجُ إليه، فتضبِطُ مالي؟ فأجبْتُه. فرأى بعدَ شهرٍ الزِّيادَةَ بضَبْطي وحِفْظي ما كان يُسْرق له، فزادَ في إكرامي فزَوَّجني بعدَ حَوْلٍ بابنتهِ، وأَشْرَكني في حالهِ. غيرَ أنِّي في خلالِ ذلك كنتُ منكسِرَ النَّفْس، حزينَ القلب.

فلما كانَ ذاتَ يومٍ رأيتُ الناسَ مُجتازين بأنواعِ الزينة، فسألتُ عن ذلك فقيلَ: عيدُ الشَّعَّانين[1] للنصارى، والناسُ تخرجُ للفُرْجة. فوقَعَ في نفسي أن أخرجَ معهم، وأنْ عَسَى أن أظفَرَ بأصحابي. فاستأذنْتُ الرجلَ، فأصلَحَ لي ما أحتاجُ إليه، وخرجت. فما وصلْتُ إلا والزلالُ بعينهِ في أواسطِ الناسِ، فلم أملِكْ أنْ طرتُ إليهم. فحينَ رَأوني فَرِحوا بي وقالوا: نحنُ منذُ فَقَدْناك شَكَكْنا أنك غرقْتَ فخرجَتِ الجاريةُ، فكسَرَتِ العودَ، وجَزَّتْ شَعْرَها. فلما وَصَلنا البصرةَ خَيَّرْناها فيما تُريد، فاختارَتْ لبسَ السَّواد، وتمثيلَ قبرٍ تجلسُ عندَهُ تَبكي.

(١) عيد الشعانين (وبالسين) عيد الأحد قبل الفصح. والكلمة عبرية.

ثم أَخَذوني، وأَدْخلوني عليها، وهيَ على تلك الحالةِ. فلمّا رأَتْني شهقَتْ شهقَةً ما شَكَكْتُ في مَوتِها. فلما أفاقَتْ قال مولاها: قد وهبتُها لكَ. قلتُ: لا ولكنِ افعلْ ما تقدَّمَ منَ العِتْقِ والتَّزْويج.

ففعَلَ بالشروطِ السابقةِ، وأعطاني ثياباً وخمسَ مئةِ دينارٍ وقال: هذا مقدارُ ما كنتُ أُجْريهِ عليكَ إلى اليوم، وهو مستمِرٌّ لك. فجئتُ إلى البقّالِ، فأعلمْتُه بذلك، وطلَّقْتُ ابنَتَهُ، وتزوَّجْتُ الجاريةَ، وأقمتُ معها في أحسنِ حال.

المصادر:

- تزيين الأسواق - داود الأنطاكي: ١/٣٤٣.

زواج عِنينٍّ

حُكِيَ أنَّ جعفرَ بنَ يحيى[1]، حينَ قدمَ البصرةَ معَ الرشيدِ، قالَ لإسحاقَ بنِ إبراهيمَ[2]: قد بَلَغني أنَّ هنا جاريةً لم يُرَ مِثْلُها، لكنَّ مَولاها لا يُريها إلا في بيتِهِ، فاخرُجْ بنا ننظُرْ إليها ونَسْمَعْها. فخَرَجْنا والنخاسُ[3] مستخفِينَ حتى طَرَقْنا البابَ، فخرَج شابٌّ متغيِّرُ اللونِ في ثوبٍ خَشِنٍ، فأدْخَلْنا داراً خَرِبةً، ففرَشَ لنا حَصيراً وأجْلَسَنا ورحَلَ. فخرجَتْ جاريةٌ بذلك الثوب، إلا أنها تفوقُ الشمسَ حسناً وجَمالاً. فأخذتِ العودَ وغنَّتْ:

إنْ يُمْسِ حبلُكَ بعدَ طولِ تواصُلٍ
خَلِقاً[4] وبيتُكَ مُوحِشاً مَهْجورا

---

(١) هو جعفر بن يحيى البرمكي وزير هارون الرشيد، قتله الرشيد حين نكب بالبرامكة سنة ١٨٧هـ.

(٢) إسحاق بن إبراهيم الموصلي، من أشهر ندماء الخلفاء، وعالم بالموسيقا والغناء، وراوية للشعر وله مصنفات. توفي سنة ٢٣٨هـ.

(٣) النخاس: بائع الرقيق.

(٤) خلقاً: ممزقاً.

فلقدْ أراني، والجديدُ إلى البِلَى
دَهْراً بوَصْلك راضِياً مَسْرورا

كنتَ المُنَى وأعزَّ مَن وطىءَ الثَّرى
عِندي، وكنتُ بذاكَ منكَ جَديرا

ثم غَلَبها البكاءُ حتى مَنَعَها الغناءَ، فنهضَتْ إلى البيتِ تعثُرُ بالقميصِ. فَسِمعْنا لهما بكاءً وشَهيقاً. ثم خَفَتَتْ أصواتُهما، حتى ظَنَنّا أنهما قُبِضا[1]. ثم خرجَ الشابُّ بالثوب عينهِ وقال: أُشْهِدُكم أنها حُرَّةٌ، وأريدُ أن تُزَوِّجوني بها، فَفَعلوا.

وغُمَّ جعفرٌ لِفَواتِها وقال للشابِّ: ما حَمَلك على هذا؟ قال: حَديثي طويلٌ، إنْ شئتَ حَدَّثْتُكَ بهِ. قال: قُلْ. فقال:

أنا ابنُ فلان وقد كنّا من ذَوِي النِّعَم، وهذا يَعْرفُ ذلك، وأشارَ إلى النَّخَّاس. وكانتْ هذه الجاريةُ لأمي، فنشأتُ أنا وإياها، فأُدْخِلنا المكتَبَ، فبَرَعْنا في الأدبِ. وأُخرِجَتْ هي لِتَعليم الغناءِ، فلم أُطِقْ فِراقَها فصِرْتُ معها. فلما بَرعتْ فيه طلبَتْ أمي بيعَها. فأيقنْتُ بالموتِ، فصَدَقْتُها الخبرَ ومَدى حُبِّي لها، فوهَبَتْها لي وجَهَّزوها لي، ودخلتُ بها، بعد أن امتنعْتُ من زواجِ بناتِ الأكابر.

(١) قبضا: توفيا.

وأظهرتُ الزهدَ والعفَّةَ، كلُّ ذلك لقصورِ شَهْوَتي عليها[1]، والناسُ يظنونَهُ عِفَّةً. فأقَمْنا في أرغدِ عيشٍ إلى أن ماتَ أبي. فلم أحفَظِ النِّعمةَ، فأنفقْتُ الأموالَ، وأكثرتُ مِن الهباتِ، وأسرفْتُ حتى لم يَبْقَ عندي إلا هذا الثوبُ أتَناوَبُه أنا وإياها. فأشفقْتُ عليها، فقلتُ لها حينَ دخلَ الخليفةُ: الرأيُ أنْ أبيعَكِ، وأعلمُ أني هالِكٌ إثْرَ ذلك، ولكنِّي أختارُ أن تَعيشي بخيرٍ. فلما عُرِضَتْ عليكم ودخلَتْ إليَّ قالت: لو كانَ عندَكَ منِّي ما عندِي منكَ ما ذكرتَ بَيْعاً. فقلتُ: أتُحبين أن أُعْتِقَك وأتزوَّجَ بكِ، وتُقِيمي مَعي على هذا الحالِ، وعلى ما أنا عليهِ من عجزٍ؟ فقالتْ: إنْ كنت صادقاً في الحبِّ فافعلْ. فخرجْتُ وفعلتُ ذلك. فعَذَرَه جَعفر.

قال إسحاقُ: فلمّا ركبنا قلتُ لجعفرٍ: أنتَ تبذُلُ الأموالَ، وتُغْني المحاويجَ، أفلا تَرِقُّ لهذا؟ قال: بلى. ولكنْ قد غِبْتُ لِفَوْتِ الجارية. ثم التفَتَ إلى النَّخَّاس وقال: كم صَحِبْتَ منَ المال؟ قال: ثلاثةَ مئةِ ألفِ دينارٍ. قال: ادْفَعْها إليه، ومُرْهُ أنْ يأتِيَني غداً.

فلمّا أعطاهُ النخاسُ المالَ، وأخبرَهُ أنَّ الذي كان عندَهُ جعفرٌ، وأنَّه يدعوه إليهِ، كادَ أن يطيرَ فَرَحاً. وأقبلَ إليه منَ الغدِ، وقد تزَيَّنَ. فأخْبَرَ جعفرٌ به الخليفةَ، فأجْرى عليه رِزْقاً،

(١) يشير العاشق إلى أنه عِنِّين لا يقدر على النكاح.

وجعلَه منَ الكتّاب لما رأى عندَهُ من الظَّرْفِ والأدب، وأمرَ كُلاً منَ العسكرِ أنْ يُهادِيَه، فَفَعلوا. وأقامَ في النِّعَم.

المصادر:

- تزيين الأسواق - داود الأنطاكي: ٣٤٦/١.

زواج مملوكة

أم المقتدر

حُكِي أنَّ بعضَ التجار قدَّمَ لأصدقائهِ سِكْباجاً[1]، وأبى أنْ يأكُلَ مَعَهم، فامْتَنَعوا لأجلهِ، فقالَ: كُلوا، فلولا أذًى يَلْحَقُ بي منه لأكلْتُ. ثم عاوَدَ نفسَه، وقالَ: أتحمَّلُ وآكلُ.

فلمَّا فَرَغوا جِيءَ بالغَسُول، فغسَلَ يدَهُ أربعينَ مرةً، فقالوا له: أبِكَ وسواسٌ؟ قال: لا، ولكنَّ هذا الأذى الذي قلتُ لكم، وله حديثٌ عجيب. قالوا: وما هو؟

قال: أوصاني أبي ـ وكانَ من ذَوي النِّعم، ولا وارثَ له غيري ـ أنْ أحسِنَ الإنفاقَ والتكسُّب، وأنْ أسبِقَ إلى السوق وأتْجُرَ فيه، فحفظتُ ما قال. فكانَ ربَّما يأتي ذو حاجةٍ في وقتٍ، ولا يجدُ غَيري، فأقْضِيها، فأكتسِبُ بذلك مالاً وجاهاً. فبينما أنا يوماً جالسٌ في السوق سَحَراً، إذا امرأةٌ على حمارٍ، وخادمٌ يُمْسِكه. فنزلَتْ عندي، فرحَّبتُ بها، فرأيتُ نعمةً وشَكلاً بَهَراني، فقلتُ: ماذا تريدين؟ قالتْ: ثياباً صفَتُها كذا.

---

(١) السكباج: مرق اللحم والخل والفاكهة المجففة مع البرغل (فارسية).

فقلتُ: اجلسي حتى يتكامَلَ الناسُ، وقد أَذْهَبت عَقلي، وأطارَتْ لُبّي. فجمعتُ لها ثياباً بخمسةِ آلافِ درهم، فأخَذْتَها وانصرفَتْ، ولم تُعْطني شيئاً. ولم أُفِقْ من دَهْشتي أَن أقولَ لها في ذلك. ووقَعَ عندي أنها محتالةٌ. فقلتُ: أبيعُ ما عندي وأعطي الناس، وألزمُ بيتي. فمضى على ذلك أسبوع فبينا أنا جالس إذ أقبلت على العادة. فقمت وأجلستها، ونسيت ما كان عندي. فقالت: أبطأنا عليك. فقلت: رفع الله قدرك عن هذا. فأخرجتِ المال جميعه ودفعته لي، فأعطيته لأربابه، مع ما ربحتُ في ذلك.

ثم طلبت ثياباً بألف دينار، فأخذتها ومضت. فعاودني ما مضى، فأبطأت فقلت: والله هذه حيلة، أوفت خمسة آلاف درهم، وأخذت ألف دينار، ثم طالت غيبتها شهراً وطالبني الناس، فعزمت على بيع عقاري ومالي لأدفع للتجار، وإذا هي قد أتت على العادة ونزلت عندي. فأُنسيت ذلك.

فأخرجت المال جميعه، وطلبت غيره فشاغَلتها بإحضار التجار. فقالت: هل لك زوجة؟ فقلت: لا والله. وطمعت فيها، فأخذت خادمها على خلوة، وأرغبته في أن يكلمها. فضحك وقال: هي واللَّهِ أعشقُ منك لها. فرجعت وكلمتها في ذلك. فضحكت وقالت: الخادم يأتيك برسالتي. ومضت ولم تأخذ شيئاً؛ إذ لم يكن بها حاجة من الأصل إلا العشق.

فما كان بعد أيام حتى جاء الخادم، فأكرمته. وشرح لي أنها مملوكة أم المقتدر[١]، وقد رغبت في جعلها قهرمانة[٢]. فلما تألفت بك وأحبتك، مضتْ إلى أمِّ المقتدرِ، فشكَتْ إليها حُبَّك، ورغبتْ إليها أن تزوِّجَها بك، فأبَتْ دونَ أن تَراك. وقد أخَذوا في حيلةٍ يُدْخلونك بها إليها. فإنْ تَمَّتِ الحيلةُ تَمَّ أمرُكَ، وهي أن تجلسَ الليلَة بمسجدِ كذا. فمضيتُ إليه.

فلما كانَ السحرُ أقبلَ خُدّامٌ معهم صناديقُ، فوضَعوها. وإذا أنا بالخادم والجاريةِ. فأدْخلوني في صندوقٍ منها، وجَعلوا في الباقي ثياباً، وحَملوها إلى الدار. فكلَّما جازوا بطبقةٍ منَ البوّابينَ، يريدونَ أن يُفَتشوا الصناديقَ، منعَتْهم الجاريةُ، حتى عارضَ خادمٌ وقال: لا بدَّ من تفتيشِ هذا الصندوقِ. فأدْرَكني من الخوفِ، ما انسابَ البولُ مني. فصاحَتِ الجاريةُ: أفسَدْتَ المتاعَ، وكسرتَ عليهِ أوانيَ ماءِ الورد! فقال: اذْهَبي.

فمضَوْا حتى أخْرجوني في خَلْوةٍ. وجعلتِ الجاريةُ تُطْعمني وتَسْقيني، حتى أتَتْني يوماً، فعرَضَتْني على السيدةِ، فرضِيَتْني لها. فاحتالتْ في خُروجي إلى بابِ الخلافة، وأمَرَتْني بأن أتزيَّنَ في أحسنِ زينةٍ، ففعلتُ. فأخَذوني وأجْلسوني في

(١) المقتدر هو الخليفة العباسي الثامن عشر، توفي سنة ٣٢٠هـ. وأمه رومية ذات سطوة، وكانت تجلس للمظالم.

(٢) القهرمان: رئيس الخدم، ووكيل الحسابات، والكلمة عربية وفارسية مركبة.

بيتٍ، وجَعلوا يَدخلون ويَخرجون، ويَذْكرون أنَّ هذا وقتُ زفافِ فلانةٍ على البَزّاز[١]، ويَذكرون صاحِبَتي. ففرحتُ فرحاً أطارَ عَقلي.

غيرَ أني جعتُ جُوعاً أحرقَ أحشائي. واستطعَمْتُ الخدامَ فلم يُطعموني، لأنَّهم لم يَعْرفوني. حتى جاءَ خادمَ يَعْرفني، فشكوتُ إليه الجوعَ، فقدَّمَ لي سِكباجاً، فأكلتُ وغسلتُ يَدي غَسلاً ظننتُ معه النَّقاءَ. فلما خَلَوْتُ بها رَفَسَتْني وقالت: عجبتُ كيف تُفْلِحُ وأنتَ عاميٌّ سَفَلة! وهمَّتْ بالخروج، فتعلَّقْتُ بها وأخبرْتُها القصَّةَ. ثم قلتُ: يلزَمُني صومُ الأبد، والحجُّ ماشياً، والطلاقُ، والعتاقُ، وصدقةُ مالي، ألّا آكُلَها بعدَ اليومِ إلا وأغسِلُ يدي أربعينَ مرةً.

فضحكتْ ودعَتْ بطعام وشراب، فأكَلْنا وشَرِبنا. ولمّا مضَى أسبوعٌ أعْطَتْني مالاً، وأمَرَتْني أن أشتريَ به داراً. فاشتريتُ وتَحَوَّلنا، وقد صحبتْ نعمةً عظيمةً، فأقَمْنا على أحسنِ حال.

المصادر:

- تزيين الأسواق - داود الأنطاكي: ١/٣٥١.

(١) البزاز: بائع الثياب.

زواج عمر بن أبي ربيعة

كانَ عمرُ بنُ أبي ربيعةَ الشاعر يَهْوى كَلْثَمَ بنتَ سعدٍ المخزوميّةَ، ويُمَنِّي النفسَ بلقائها. فأرسلَ إليها رسولاً[1]، فضَرَبَتْها، وأوجَعَتْها في حَلقها، وأَحْلَفتها ألّا تُعاوِدَ. ثم أعادَها ثانيةً، ففعلتْ كَلْثَمُ بالرسولِ مثلَ ذلك، فتحاماها رسُلُ عمر.

فابتاعَ أمةً سوداءَ لطيفةً رقيقةً، وأتى بها منزلَهُ، فأحسَنَ إليها وكساها وآنَسَها، وعرَّفَها خبرَهُ، وقال لها: إنْ أوصلتِ لي رُقعةً إلى كلثمَ، فقرأتْها فأنتِ حُرَّةٌ، ولك معيشَتُك ما بقيتِ. فقالتْ: اكتبْ لي مُكاتَبَةً[2]، وأكتبْ حاجَتَك في آخِرِها. ففعَلَ ذلك.

فأخذَتْها ومضَتْ بها إلى بابِ كلثمَ فاستأذنَتْ، فخرجَتْ إليها أمَةٌ لها، فسألَتْها عن أمرِها، فقالتْ: مكاتَبَةٌ لبعضِ أهلِ مولاتِكِ، جئتُ أَسْتَعينها في مُكاتَبَتي. وحادَثَتْها وناشَدَتْها،

(١) الرسول: تطلق على المذكر والمؤنث والمثنى والجمع.

(٢) المكاتبة: أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه منجّماً (أي مقسطاً)، فإذا أدّاه صار حراً.

حتى ملأتْ قلبَها. فدخلَتْ إلى كلثمَ وقالت: إنَّ بالبابِ مُكاتبةً لم أرَ قطُّ أجملَ منها، ولا أكملَ ولا آدَبَ. فقالتْ: ائْذَني لها. فدخلَتْ، فسألَتْها: مَن كاتَبَكِ؟ قالت: عمرُ بنُ أبي ربيعةَ الفاسقُ، فاقرئي مكاتبتي. فمدَّتْ يدَها لتأخُذَها، فقالتَ الأمةُ لها: لي عليكِ عهدُ الله أنْ تَقْرئيها، فإنْ كان منكِ إليَّ شيءٌ مما أحبُّه، وإلا لم يَلْحَقني منك مكروهٌ. فعاهَدَتْها وفَطِنَت. وأعْطَتْها الكتابَ، فإذا أولُه:

مِن عاشقٍ صَبٍّ يُسِرُّ الهَوَى
قد شَفَّه الوجْدُ إلى كلثمِ

رأتْكِ عَيْني فَدَعاني الهَوَى
إليكِ للحَيْنِ ولم أعْلَمِ

قَتَلْتِنا، يا حَبَّذا أنتُمُ،
في غيرِ ماجُرْمٍ ولا مَأثَمِ

ثم قال:

وجالِسيني مَجلساً واحداً
من غيرِ ما عارٍ ولا مَحْرَمِ[1]

وخَبِّريني ما الذي عندكُم
باللَّهِ في قَتْلِ امرئٍ مَسلمِ؟

(١) المحرم: الحرام.

فلما قرأتِ الشعرَ قالتْ لها: إنه خَدَّاعٌ مَلِقٌ[١]، وليسَ لِما شكاهُ أصلٌ، فقالتِ الأمةُ: يا مَولاتي، فما عليكِ مِن امتحانهِ؟ قالتْ: قد أذِنْتُ له، وما زالَ حتى ظفِرَ بِبُغْيته، فقولي لهُ: إذا كانَ المساءُ فليجلسْ في مَوضع كذا وكذا حتى يأتِيَهُ رسولي.

فانصرفتِ الجاريةُ فأخبرَتْهُ، فتأهَّبَ لها. فلما جاءَهُ رسولُها مَضَى معه حتى دخلَ إليها، وقد تَهَيَّأت أجملَ هيئةٍ، وزيَّنَت نفسَها ومجلسَها، وجلسَتْ له مِن وراء سِتْرٍ، فسلَّمَ وجلس. فتركتْه حتَّى سكنَ، ثم قالَتْ له: أَخْبرني عنكَ يا فاسِقُ، ألست القائلَ:

هَلاَّ اسْتَحَيْتِ فَتَرْحَمي صَبّا
صَدْيانَ لم تَدَعي له قَلْبا[٢]

جشِمَ الزيارةَ في مَوَدَّتِكم
وأرادَ ألا تُرْهِقي ذَنْبا[٣]

لا تَجْعَلَنْ أحداً عليكَ إذا
أحبَبْتَهُ وهَوِيتَه رَبّا

(١) ملق: لا يوثق به.

(٢) الصب: ذو الولع الشديد، العاشق، الصديان: الشديد العطش.

(٣) جشم الأمر: تكلفه بعد مشقة.

وصِـلِ الـحـبـيـبَ إذا شُـغِـفْـتَ بـهِ
واطْـوِ الـزِّيـارَةَ دونَـه غِـبّـا[١]

فقال لها: جُعَلْتُ فِداكِ! إنَّ القلبَ إذا هَوِيَ نطقَ اللسانُ بِما يَهْوى. فمكثَ عندَها شَهراً لا يَدْري أهلُه أينَ هو، ثم استأذَنَها في الخروجِ، فقالتْ له: بعدَ أنْ فَضَحْتَني! لا واللَّهِ لا تخرُج إلا بعدَ أنْ تَتَزَوَّجني. ففعَلَ وتَزوَّجَها، فولَدَتْ منه ابنينِ أحدُهما جُوانٌ، وماتَتْ عندَه.

المصادر:

- الأغاني - أبو الفرج: ١/٢٠٤.

(١) غباً: عاقبة وبُعداً.

زواج بنات ذي الإصبع[1]

كانَ لذي الإصبعِ أربعُ بناتٍ، وكنَّ يُخْطَبْنَ إليه، فيَعْرِض ذلك عليهنَّ فيَسْتَحينَ ولا يُزَوِّجُهُنَّ. وكانتْ أمهُنَّ تقولُ: لو تُزَوِّجُهن! فلا يفعَلُ.

فخرجَ ذاتَ ليلةٍ إلى متحدَّثٍ لهُنَّ، فاستَمَع عليهِنَّ وهنَّ لا يَعْلَمْن، فقُلْنَ: تعالَيْنَ نَتَمَنَّى ولْنَصْدُق. فقالتِ الكبرى:

ألا ليتَ زَوجي من أناسٍ ذَوي غنًى
حديثُ الشَّبابِ طيبُ الريحِ والعطرِ

طبيبٌ بأدواءِ النساءِ كأنَّه
خليفةُ جانٍ لا ينامُ على وِتْرِ

فقلْنَ لها: أنتِ تحبينَ رجلاً ليسَ من قومك. وقالتِ الثانيةُ:

ألا هَلْ أراها ليلةً وضَجِيعُها
أشَمَّ كنصلِ السَّيفِ غيرُ مُبَلَّدِ

(١) هو حُرثان بن الحارث العدواني، شاعر فارس في العصر الجاهلي.

لَصُوقٌ بأكبادِ النساءِ، وأصلُهُ
إذا ما انْتَمى من سِرِّ أهلي ومَحْتِدي[١]

فقُلْنَ لها: أنتِ تحبينَ رجلاً من قومك. وقالت الثالثة:

ألا ليتَهُ يَمْلا الجِفانَ لِضِيفهِ
لهُ جفنةٌ يَشْقَى بها النِّيبُ والجُزْرُ[٢]

له حَكَماتُ الدهرِ من غيرِ كَبْرَةٍ
تَشينُ ولا الفاني ولا الضَّرِعُ الغمرُ[٣]

فقلن لها: أنت تحبين رجلاً شريفاً. وقلن للصغرى: تمني. فقالت: ما أريدُ شيئاً. فقلْنَ لها: واللَّهِ لا تَبرحينَ حتى نعلَمَ مافي نفسِكِ. قالتْ: زوجٌ من عُود خيرٌ من قعود.

فلما سمعَ ذلك أبوهُنَّ زَوَّجَهُنَّ أربعتهُنَّ. فمكثْنَ برهةً ثم اجتمعْنَ إليه، فقالَ للكبرى: يا بُنَيَّةُ، ما مالُكُم؟ قالت: الإبلُ. قال: فكيفَ تجدونَها؟ قالت: خيرَ مال؛ نأكلُ لحومَها مُزَعاً[٤]، ونشربُ ألبانَها جُرَعاً، وتحملُنا وضَعيفَنا معاً. قال: فكيفَ تجدينَ زوجَك؟ قالت: خيرَ زوجٍ؛ يُكرمُ الحليلةَ،

(١) المحتد: الأصل.
(٢) النِّيب: جمع ناب وهي الناقة المسنَّة، قيل لها ذلك لطول نابها. الجزر: جمع جزور، وهي الناقة المجزورة، أي المذبوحة.
(٣) الضَّرع: الضعيف. الغمر (مثلث الغين): من لم يجرب الأمور.
(٤) المزعة: القطعة من اللحم.

ويُعطي الوسيلَةَ[١]. قال: مالٌ عميمٌ، وزَوجَ كريم.

ثم قال للثانية: يا بنيةُ، ما مالُكم؟ قالت: البقرُ. قال: فكيف تجدونَها؟ قالت: خيرَ مالٍ؛ تألفَ الفِناءَ، وتُوَدِّكُ[٢] السِّقاءَ، وتملأ الإناء، ونساءٌ في نساء. قال: فكيفَ تجدينَ زوجَك؟ قالت: خيرَ زوجٍ؛ يكرمُ أهلَه، ويَنْسى فضلَهُ. قال: حظيتِ ورضيتِ.

ثم قال للثالثةِ: ما مالُكُم؟ قالتِ: المِعْزَى. قال: فكيف تجدونَها؟ قالت: لا بأسَ بها، نُولِدُها فُطُماً، ونَسْلَخُها أَدَماً[٣]. قال: فكيفَ تجدينَ زوجَك؟ قالت: لا بأسَ به، ليسَ بالبخيلِ الحَكِرِ[٤]، ولا بالسَّمْحِ البَذِرِ. قال: جَدْوَى[٥] مُغْنِية.

ثم قالَ للرابعةِ: يا بنيةُ، ما مالُكم؟ قالتِ: الضأنُ. قال: وكيفَ تجدونَها؟ قالتْ: شَرَّ مالٍ؛ جُوفٌ[٦] لا يَشْبَعْنَ، وهِيمٌ[٧] لا يَنْقَعْنَ، وصُمٌّ لا يَسْمَعن، وأمرَ مُغْوِيَتَهُنَّ يتبَعْنَ.

(١) الوسيلة: ما يُتقرب به إلى الخير.
(٢) تودك السقاء: تجعل فيه الودك، وهو الدسم.
(٣) الأديم: الجلد أو الأحمر منه، أو مدبوغه. والأدم اسم جمعها.
(٤) الحكر: المستبد بالشيء.
(٥) الجدوى: النفع والغَناء.
(٦) جوف: عظام الأجواف، وهي البطون.
(٧) هيم: عطاش. لا ينقعن: لا يروين.

قال: فكيفَ تجدينَ زوجَكِ؟ قالت: شرَّ زوجٍ؛ يُكرمُ نفسَهُ، ويُهين عرسَه، قال: أَشْبَهَ أمراً بعضُ بَزِّه[1]. أي أن ماله مثله.

المصادر:

- الأغاني - أبو الفرج: ٣/ ٩٤.
- جمهرة الأمثال - الحسن العسكري: ١/ ٥٠٣.
- مجمع الأمثال - الميداني: ١/ ٣٢٠.
- زهر الاكم - الحسن اليوسي: ٣/ ١٤٦.
- أخبار النساء - ابن قيم الجوزية: ٨٥.

(١) مثل قاله سهيل بن عمرو. وقيل: بل قائله ذو الإصبع (المستقصى: ١/ ١٨٧، مجمع الأمثال: ١/ ٣٣٠).

زواج الفرزدق من النَّوار

خطب النوار بنتَ أعْيَن المُجاشِعِيَّة رجلٌ من قومِها، فجعلتْ أمرَها إلى الفرزدقِ، وكانَ ابنَ عمِّها دِنْيَةً[1]، ليزوِّجَها منه. فأشهَدَ عليها بذلك، وبأنَّ أمرَها إليهِ شُهوداً عُدولاً. فلما أَشْهَدَتْهم على نفسها قال لهم الفرزدقُ: أُشْهِدُكم أني قد تزوَّجْتُها. فمنعَتْه النَّوارُ نفسَها، وخرجَتْ إلى الحجازِ إلى عبدِ الله بنِ الزُّبير، فاسْتَجارت بامرأتهِ بنتِ مَنظور بن زَبَّانَ. وتبعَها الفرزدقُ واستجارَ بحمزةَ بن عبد الله بن الزبير، وقال يمدحه:

يا حمزَ هَل لك في ذي حاجةٍ غَرِضَت
أنضاؤُهُ بمكانٍ غيرِ مَمْطورِ[2]

فأنتَ أولى قريشٍ أنْ تكونَ لها
وأنتَ بينَ أبي بكرٍ ومنظورِ

وجعلَ أمرُ النوار يَقْوى وأمرُ الفرزدقِ يَضْعف، فقالَ في

(١) ابن عم دنية: ملصوق النسب.
(٢) غرضت: ملت وضجرت.

ذلك:

أمّا بنوهُ فلم تنفَعْ شفاعَتُهم
وشُفِّعت بنتُ منظورِ بنِ زَبّانا

ليسَ الشفيعُ الذي يأتيكَ مُؤْتَزراً
مثلَ الشفيعِ الذي يأتيك عُريانا

وقالَ ابنُ الزبير للفرزدق: ما حاجتُك بها وقد كَرِهَتْك؟ كُن لها أكْرَهَ، وخَلِّ سبيلها. فخرجَ وهو يقولُ: ما أمرني بطلاقِها إلا ليثِبَ عليها. فلبغَ ذلك ابنَ الزبير، فخرجَ وقد استهَلَّ هِلالَ ذي الحَجَّة، ولبسَ ثيابَ الإحرام، يريدُ البيتَ الحرامَ، فألْفَى الفرزدَقَ ببابِ المسجدِ عندَ الباعةِ، فأخَذَ بعنقِهِ فغَمَزَها، حتى جعلَ رأسَه بينَ رُكْبتيهِ، واستشهَدَ ببيتِ جَعفرِ بنِ الزَّبير:

لقد أصبحتْ عِرْسُ الفرزدقِ ناشِزاً
ولو رَضِيَتْ رَمْحَ استهِ لاسْتَقَرَّتِ

وقال له: أيا ألأمَ الناس! وهَل أنتَ وقومُك إلا جاليةُ العرب! ثم دخلَ ابنُ الزبير إلى النِّوارِ فقالَ لها: إنْ شئتِ فَرَّقْتُ بينَكِ وبينَهُ، ثم ضَرَبْتُ عنقَه. وإنْ شئتِ أمْضَيْتِ نِكاحَهُ، فهو ابنُ عَمِّكِ، وأقربُ الناسِ إليك، وكانت امرأةً صالحةً، فقالت: أوَ ما غيرُ هذا؟ قال: لا. قالتْ: ما أُحِبُّ أن يُقْتَلَ،

ولكنِّي أُمْضي أَمْرَهُ، فلعلَّ الله أن يجعلَ في كُرْهي إيّاه خَيراً، فمضَتْ إليه، وخرجَتْ معَه إلى البصرةِ. وماتَتِ النوارُ مطلَّقَةً منه، وصَلى عليها الحسنُ البصري.

المصادر:

- الأغاني: ٣/٣٦٣، و٩/٣٢٨، و٢١/٢٨٦.
- العقد الفريد - ابن عبد ربه: ٦/٩٧ وما بعدها.
- الشعر والشعراء - ابن قتيبة: ٣٨٦.
- أعلام النساء - عمر رضا كحالة: ٥/١٩٣

زواج عديّ من هند

أبَى النعمانُ بنُ المنذرِ أن يزوِّجَ ابنتَه هِنداً من كسرى، فاسْتَدعاه إليه فقتلَهُ، وبسببِ ذلك وحفاظاً على شرفِ العرب جَرت معركةُ ذي قارٍ قُبيلَ الإسلام. وكانَ الشاعرُ عديُّ بنُ زيدٍ يَهْوَى هندَ بنتَ النعمان.

وكان سببُ عشقهِ إيّاها أنَّ هنداً كانتْ من أجملِ نساءِ أهلِها وزَمانِها، وأمُّها ماريةُ الكِنْديةُ. فخرجَتْ في خميسِ الفِصْح[1]، وهو بعدَ السَّعَّانين بثلاثةِ أيام، تتقرَّبُ في البِيعَة، ولها حينئذٍ إحدى عشرةَ سنةً، وذلك في مُلك المنذرِ أبي النعمان. فاتفَقَ دخولُها البيعةَ حين دخلَها عديٌّ ليتقرَّبَ. وكانتْ مديدةَ القامة، عبلةَ الجسم[2].

فرآها عديٌّ وهي غافلةٌ، فلم تَنْتَبه له حتى تأمَّلَها. وقد كانَ جَواريها رأيْنَ عدياً وهو مُقْبِلٌ، فلم يَقُلْنَ لها ذلك، كي يَراها عديّ. وإنما فعلْنَ هذا من أجلِ أَمَةٍ لهندٍ يقال لها ماريَّةَ،

(١) ويطلق عليه اليوم خميس العهد. وهو عيد يعمل قبل الفصح بثلاثة أيام. والفصح بدؤهم بالإفطار وأكل اللحم، وصومهم ثمانية وأربعون يوماً.

(٢) العبلة والعبلاء: الممتلئة الجسم.

وقد كانتْ أحبَّتْ عدياً، فلم تدرِ كيفَ تأتي لَهُ. ولما رأتْ هندٌ عدياً يَنْظر إليها شَقَّ ذلك عليها، وسبَّتْ جَوارِيَها، ونالَتْ بعضَهُنَّ بالضرب.

فوقعَتْ هندٌ في نفسِ عدي، فلبثَ حَوْلاً لايُخْبر بذلك أحداً. فلما كانَ بعدَ حولٍ، وظنَّتْ ماريةُ أن هنداً قد أضربَتْ عَمّا جَرى، وَصَفَتْ لها بيعةَ توما، ووصفَتْ لها مَن فيها منَ الرَّواهِبِ، ومَن يأتيها من جواري الحيرة، وحُسْنَ بنائها وسُرُجِها. وقالتْ لها: سَلي أمَّكِ الإذْنَ لك في إتْيانِها. فسألَتْها ذلك فأذِنَتْ لها. وبادرَتْ ماريةُ إلى عديٍّ فأخبرَتْهُ الخبرَ. فلبسَ يَلْمَقاً[1] مُذْهَباً لم يُرَ مثلُه حُسناً. وكانَ عديٌّ حَسَنَ الوجهِ، مديدَ القامةِ، حلوَ العينينِ، حسَنَ المَبْسِمِ، نقيَّ الثَّغر.

وأخذَ معه جماعةً من فتيانِ الحيرةِ، فدخلَ البِيعَةَ. فلما رأتْه ماريةُ قالتْ لهندٍ: انْظُري إلى هذا الفَتَى! فهو واللَّهِ أحسَنَ مِن كلِّ ما تَرَيْنَ منَ السُّرُجِ وغيرِها! قالتْ: ومَن هو؟ قالت: عديُّ بنُ زيدٍ. قالتْ: أتخافِينَ أنْ يَعْرِفَني إنْ دَنَوْتُ منه لأراهُ من قريبٍ؟ قالتْ: ومِن أينَ يعرفُكِ وما رآكَ قَطُّ؟ فدنَتْ منه، وهو يمازِحُ الفتيانَ الذينَ معَهُ، وقد بَرَعَ عليهم بجمالهِ، وحُسْن كلامهِ وفصاحتهِ، وما عليهِ منَ الثيابِ. فذُهِلت لما رأتْهُ،

(١) اليلمق: قباء، والكلمة تركية جاءتنا عن الفارسية.

وبُهِتَتْ تنظرُ إليه.

وعرفَتْ ماريةُ ما بِها، وتَبَيَّنَته في وجهها فقالت لها: كَلِّميه. فكلَّمَتْه وانصرفَتْ، وقد تبعَتْهُ نفسُها وهَوِيَتْه، وانصرفَ عديٌّ بمثلِ حالها. فلما كان الغدُ تعرَّضَتْ له ماريةُ. فلما رآها هَشَّ لها، وكان قبلَ ذلك لا يكلمُها، وقال لها: ما غَدا بكِ؟ قالت: حاجةٌ إليكَ. قال: اذْكُريها، فواللَّهِ لا تَسأليني شيئاً إلا أعطيتُكِ إياه. فعرَّفَتْه أنها تهواهُ، وأنَّ حاجَتَها الخلوةُ به، على أن تحتالَ له في هندٍ، وعاهَدَتْه على ذلك. فأَدْخَلها حانوتَ خَمّار في الحيرةِ، ووقَعَ عليها. ثم خرجَتْ فأتَتْ هنداً، فقالتْ: أمَا تشتهينَ أن تَرَيْ عدياً؟ قالت: ومَن لي بهِ؟ قالت: أعِدُه مكانَ كذا وكذا في ظهرِ القصرِ، وتُشْرِفين عليهِ. قالتْ: افْعَلي.

فواعَدَتْه إلى ذلك المكانِ فأتاهُ، وأشرفَتْ هندٌ عليه، فكادَتْ تموتُ وقالَتْ: إنْ لم تُدْخِليهِ إلي هلكْتُ. فبادرَتِ الأمةُ إلى النُّعمانِ فأخبرتْهُ خَبَرَها وصدقَتْه، وذكرتْ أن هنداً قد شُغِفَت به، وأنَّ سببَ ذلك رؤيتُها إياهُ في يومِ الفصحِ، وأنه إنْ لم يَتَزَوَّجها به افْتُضِحت في أمرهِ أو ماتَتْ. فقالَ لها: ويلكِ! وكيفَ أبدؤه بذلك؟ فقالت: هو أرغَبُ في ذلك مِن أنْ تَبَداه أنتَ. وأنا أحتالُ في ذلك من حيثُ لا يعلمُ أنك عرفتَ أمرَهُ.

وأتَتْ عَدِياً فأخبرتْهُ الخبرَ، وقالتْ: ادْعُهُ، فإذا أخذَ

الشرابُ منه فاخْطُب إليه هنداً، فإنَّه غيرُ رادِّك. قالَ: أَخْشى أن يُغْضِبه ذلك، فيكونَ سببَ العداوة بيننا. فقالت لعدي: ما قلتُ لك هذا حتى فرغْتُ منه معَهُ. فصنَعَ عديٌّ طعاماً، واحتفَلَ فيه. ثم أتى النعمانَ بعدَ الفصح بثلاثةِ أيام، فسألَهُ أن يتغَدَّى عندَهُ هو وأصحابُه، ففعَلَ. فلما أخذَ منه الشرابُ خطبَ هنداً إلى النعمانِ، فأجابَهُ وزوَّجَه، وضَمَّها إليه بعدَ ثلاثةِ أيام. وظلَّتْ معَ عديّ حتى قتلَهُ النعمان.

فترهَّبَتْ هندٌ حُزناً على عديّ، وحبَسَتْ نفسَها في الدَّير المعروفِ بديرِ هندٍ، بظاهرِ الحيرة، وظلَّتْ فيه حتى ماتَتْ. وكانت وفاتُها إبَّانَ إمارةِ المغيرةِ بنِ شُعبةَ على الكوفة. وقد زارَها المغيرةُ فسألَتْه: ما جاءَ بكَ؟ فقال: جئتُكِ خاطباً. قالتْ: والصَّليبِ لو علمتُ أنَّ فيَّ خَصلةً من جمالٍ أو شبابٍ رَغَّبَتْك فيَّ لأجَبْتُك، لكنَّكَ أردتَ أن تقولَ في المواسم: ملكْتُ مملكةَ النعمانِ بنِ المنذر، ونكَحْتُ ابنتَه. فبِحَقِّ معبودِكَ أهذا أردْتَ؟ قال: أيْ واللَّهِ. قالتْ: فلا سبيلَ إليه. فانصرَفَ المغيرةُ.

المصادر:

- الأغاني: ٢/١٢٨.
- أعلام النساء - عمر رضا كحالة: ٥/٢٥٩.
- معجم البلدان - ياقوت الحموي (دير هند الصغرى).

زواج النضِّيرة بنت ضَيْزَن

زَعَموا أنَّ ملكاً من ملوكِ الجزيرةِ الشامية وشِماليِّ العراق اسمُه الضَّيْزَنُ بنُ معاويةَ بنِ عَبيدٍ من عربِ قُضاعةَ، نزلَ «الحَضْرَ» وهي مدينةٌ بإزاءِ تكريتَ قربَ الموصل. وهي مبنيةٌ بالحجارةِ المُهَنْدَمة: بيوتُها وسقوفُها وأبوابُها. وسوَّرها الضيزنُ فبنَى على أسوارِها ستينَ بُرجاً، وشادَ القصور. وكانَ يمرُّ بها نهرُ الثرثار، وكان نَهراً عظيماً، تسيرُ فيه السفن. وأمرَ السَّحَرَةَ فطَلْسَموها[1]، بحيث لا يقدرُ على فَتْحها ولا هَدْمِها إلا بدمِ حمامةٍ ورقاءَ مخلوطاً بدمِ حيضِ امرأةٍ زرقاء.

وتجمَّعَ لديهِ بنو الأَجْرام وقبائل قضاعة. فكان يغيرُ بهم على بلادِ فارس، فغِنمَ كثيراً، وفتحَ مدينةً من مدنِ فارسِ، فأصابَ أختاً لكسرى سابور الجنود، واسمُها «ماه»[2]، وفتَكَ بأهلها. فاغتاظَ سابور من الضَّيزن، واتَّجه بجيشِهِ نحو الحَضْر، فامتنعَتْ عليه. فحاصَرَها أربع سنواتٍ دونَ أن يَظْفر بها.

وكانَ للضَّيزنِ ابنةٌ وُصفت بالجمالِ والمكرِ والدَّهاء،

---

(١) طلسمها: وضع لها سراً مكتوماً، واللفظة يونانية.

(٢) ماه: أي القمر بالفارسية.

وكانتْ من أجملِ أهلِ زمانها. وقد عَرَكَت[١] في أواخِرِ أيامِ الحصار، فأَخْرَجَها أبوها إلى الرَّبَض[٢]. وكذلك كانوا يفعلونَ بِنسائِهم إذا حِضْنَ، خوفاً من فَكِّ الطِّلَّسْم بدمِ حيضِهِنَّ ونظرتِ النضيرةُ من مَوْضعها إلى سابورَ ـ وكانَ من أجملِ أهلِ زمانهِ ـ فأحبَّتْهُ ورآها وعَرَفَ أنها الأميرةُ النضيرةُ، فَعِشقَها كما عَشِقَه، وتَبادَلا النظراتِ، ثم المُراسلات.

ومن شِدَّةِ هَواها أرسَلَتْ إليه يوماً: ما تجعلُ لي إنْ دَلَلْتُك على ما تهدِمُ به السورَ وتفتَحُ المدينةَ؟ كان سابورُ في تلك الأيام يستعدُّ لِلْعَودةِ بعدَ عجزِهِ، فرأى بكلامِ النضيرةِ بريقَ أملٍ. فأرسَل إليها: أحكِّمُكَ، وأرْفَعُك على نسائي، وأخُصُّك بنفسي دونَهُنَّ. فقالت له: عليكَ بحمامةٍ مطوَّقَةٍ ورقاءَ، واكتُبْ في رِجلها بحيضِ جاريةٍ بكرٍ زرقاءَ. ثم أرْسِلها، فإنها تطيرُ وتقعُ على سورِ المدينةِ فيتداعَى، وهذا هو الطِّلَّسْمُ وحلُّه.

ففعلَ سابورُ ما قالَتْه، وتأهَّبَ لدخولِ المدينة. وقالتْ له: أنا أسْقي الحرسَ الخمر، فإذا صُرعوا فاقْتُلْهم وادخُلِ المدينةَ. فتداعَى سورُ المدينةِ، وفَتَحها عَنْوَةً، وقتلَ الضيزنَ، وأفْنَى قضاعةَ. واحتملَ النضيرةَ بنتَ الضَّيزن، فأعرَسَ بها بعينِ التَّمر[٣].

(١) الربض: ظاهر المدينة، وما حولها من الخارج.

(٢) عركت: حاضت.

(٣) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة.

فلم تَزَلِ النَّضِيرَةُ تتضَوَّرُ[١] من خَشانةٍ في فُرُشِها، وهيَ من حريرٍ محشُوٍّ بالقَزِّ. فالتُمِسَ ما كانَ يُؤذيها فإذا هيَ ورقَةُ آسٍ مُلْتَصقة بعُكْنَةٍ[٢] من عُكَنِها قد أَثَّرت فيها. فغضِبَ سابورُ وقال لها: ويحَكِ! بأيِّ شيءٍ كانَ أبوكِ يَغْذُوكِ؟ قالتْ: بالزُّبْدِ والمُحِّ[٣] وشُهْدِ الأبكارِ من النَّحل وصَفْوة الخمر. فقالَ لها: أنتِ ما وَفَيْتِ لأبيكِ مع حُسْن هذا الصَّنيعِ، فكيفَ تَفِينَ لي أنا؟

فأمرَ بفرسينِ جَمُوحَيْنِ، فرُبِطَت ذوائبُها في ذَنَبيهما. ثم اسْتَرْكَضهما، فَقَطَّعاها قِطَعاً، فضَرَبَتِ العربُ في ذلك مثلاً.

المصادر:

- الأغاني ـ أبو الفرج: ٢/ ١٤٠.
- معجم البلدان ـ ياقوت الحموي (مادة الحضر).
- تاريخ الطبري: ج ١.
- أعلام النساء: ٥/ ١٧٨.
- أخبار النساء ـ ابن قيم الجوزية: ١٣٢. (على رواية أن اسم الضيزن هو الساطرون).
- مصارع العشاق ـ أبو محمد السراج: ٢/ ١٩٦.

(١) تتضور: تتلوّى ألماً.

(٢) العكنة: ثنية الخاصرة. الآس: اسم شجرة عطرة الورق.

(٣) المحّ: صفار البيض.

زواج عائشة بنت طلحة

عائشةُ بنتُ طلحةَ بنِ عُبيدِ الله، أبوها أحدُ المبشَّرين العشرةِ بالجنة، وجدُّها لأمها أبو بكرٍ الصديقُ، وخالَتُها عائشة أمُّ المؤمنين، اشتهرتْ ببهائها وجمالها وعِفَّتها. فقد رُوِي أنَّ رملةَ بنتَ عبدِ الله ـ ضَرَّةَ عائشةَ ـ قالت لمولاةِ عائشة: أَرَيني عائشةَ متجرِّدَةً ولكَ ألفا درهم. فأخبرتْ هذهِ مولاتَها فقالتْ لها عائشة: فإني أتجرَّدُ، فأَعْلميها، ولا تُعَرِّفيها أني أعلَمُ. فقامتْ عائشةُ كأنها تريدُ أن تغتسِلَ. فأشْرَفت رملةُ عليها مُقبلةً ومُدْبرة، فأَذْهَلها جمالُها، فأعطَتْ رملةَ مولاتَها ألفَي دينار وقالتْ: لَوِدِدْتُ أني أعطيتُكِ أربعةَ آلافٍ ولم أرَها.. حسرَةً منها.

اشتهرتْ بتعدُّدِ الأزواج؛ فقد كانَ زوجَها الأول وأبا عُذْرتها[1] عبدُ الله بنُ عبد الرحمٰن بن أبي بكرٍ، ثم هَلك. فتزوَّجَها مصعبُ بنُ الزُّبير. وكانتْ لا تَسْتُر وَجْهَها، فعاتَبَها مصعبٌ في ذلك فقالتْ: إنَّ الله تباركَ وتَعالى وَسَمني بِمِيسَم

(١) أبو عذرتها: أول من تزوجها، والعذرة: البكارة.

الجمالِ، وأحبَبْتُ أن يراهُ الناسُ، ويَعْرِفوا فَضْلي عليهم. ووالله ما فيَّ وصمةٌ يقدِرُ أن يَذْكُرَني بها أحد. وطالتْ مُرادَّةُ مصعبٍ إياها، وكانتْ شرسةَ الخُلُقِ، وكذلك نساءُ بني تميمٍ هنَّ أشرَسُ خلقِ اللَّهِ وأحظاهُ عند أزواجِهن.

وحينَ اشْتَدَّ الخصامُ بينَهُما قالتْ له: أنتَ عليَّ كظهرِ أمي ـ أي حَرَمَتْه من مُضاجَعَتها على مثالِ طلاقِ الجاهلية ـ وكان أشعبُ مقرَّباً منها. فشكا مصعبٌ ذلك إلى أشعبَ، فقال: مالي إن رضِيَتْ؟ قال: حكمُكَ. قال: عشرةَ آلافِ درهم. قال مصعبٌ: هي لكَ. فانطلقَ حتى أتَى عائشةَ فقال: جُعلتُ فداءَكِ! قد علمتِ حبي لك ومَيلي قديماً وحديثاً إليكِ من غيرِ مَنالةٍ ولا فائدة. وهذه حاجةٌ قد عَرَضَتْ تَقْضين بها حَقي. قالت: وما عَناكَ؟ قال: قد جعلَ لي الأميرُ عشرةَ آلافِ درهم إن رضيتِ عنه. قالت: وَيْحَكَ! لا يمكنُني ذلك. قال: بأبي أنتِ، فارضَيْ عنه حتى يُعطيني، ثم عُودي إلى ما عوَّدك الله من سوءِ الخلق. فضحكتْ منه ورضِيَتْ عن مُصعب. وفي الأغاني حكاياتٌ عديدةٌ عن شَراسَةِ خُلقها.

وحين قُتل مصعبٌ عنها خَطبها بشرُ بنُ مروانَ. وقدِم عمرُ بنُ عُبيد الله التَّيمي من الشام، فنزلَ الكوفةَ، فبلغَه أن بشراً خطبَ عائشة. فأرسَلَ إليها جاريةً لها وقال: قولي لابنةِ عمي يُقرئك السلامَ ابنُ عَمِّك، ويقول لك: أنا خيرٌ من هذا

المَبْسورِ المَطْحول[١]، وأنا ابنُ عَمِّك وأحقُّ بك، وإن تزوجْتُ بك ملأتُ بيتَكِ خَيراً وحِرَكِ أيراً. فتزوجَتْه، فبنَى بها بالحيرة. ومَهَّدت له سبعة أفرشةٍ عرضُها أربعُ أذرعٍ، فأصبحَ ليلةَ بَنى بها عن تسعٍ. فلقِيَتْه مولاةٌ لها فقالت: أبا حفصٍ فَدَيْتُك! قد كملتَ في كلِّ شيءٍ حتى في هذا.

ويُروى أن عمرَ حملَ إليها ألفَ ألفِ درهمٍ: خمسَ مئةِ ألفِ مَهراً وخمسَ مئةِ ألفِ هديةً. وقال لمولاتها: لكِ عليَّ ألفُ دينارٍ إن دخلتُ بها الليلةَ. وأمرَ بالمال فَحُمل فأُلْقِيَ في الدار، وغُطِّيَ بالثياب. وخرجتْ عائشةُ فسألَتْها مولاتُها: أهذا فرشٌ أم ثيابٌ؟ قالتْ: انْظُري إليه، فنظرتْ فإذا مالٌ، فتبسَّمَتْ. فقالتْ مولاتُها: أَجَزاءُ مَن حملَ هذا أنْ يبيت عَزَباً؟ قالتْ: لا واللَّهِ، ولكنْ لا يجوزُ دخولُه إلا بعدَ أنْ أتزيَّنَ له وأستعِدَّ. قالتْ: فيمَ هذا! فوجهُكِ واللَّهِ أحسَنُ من كلِّ زينةٍ، وما تَمُدِّين يدَكِ إلى طيبٍ أو ثوبٍ أو مالٍ أو فَرْش إلا وهو عندَكِ. وقد عزمْتُ عليكِ أن تأذَني له. قالتْ: افْعَلي.

فذهبَتْ إليهِ فقالتْ له: بِتْ بنا الليلةَ. فجاءَهُم عندَ العشاءِ الآخِرة، فأُدْني إليهِ طعامٌ، فأكلَ الطعامَ كلَّه حتى أَعْرَى الخوانَ، وغسَلَ يدَهُ، وسألَ عنِ المتوضَّأ فأخبرتْهُ فتوضَّأ، وقامَ

(١) المبسور: المصاب بالباسور: وهو داء في المقعدة. والمطحول: العظيم الطحال.

يصلي وأطالَ. ثم قالَ لها: أعليكم إذْنٌ؟ قالتِ المولاةُ: نعم، فادخُلْ. فأدخلتْه وأسبَلَتِ السِّتْرَ عليهما، وقالتْ: فعدْتُ له في بقيةِ الليلِ على قِلَّتِها سبعَ عشرةَ مرةً دخلَ المتوضَّأ فيهما. فلمّا أصْبحنا وقفتُ على رأسهِ فقال: أتقولينَ شيئاً؟ قالتْ: نعم! واللَّهِ ما رأيتُ مثلك؛ أكلتَ أكلَ سبعةٍ، وصليتَ صلاةَ سبعةٍ، ونكتَ نيكَ سبعةٍ. فضحِكَ وضربَ بيدِه على مَنْكِبِ عائشةَ، فضحكتْ وغطَّتْ وجهَها.

ومكثَتْ عائشةُ عندَ عمرَ ثمانيَ سنوات، ثم ماتَ عنها في سنة اثنتينِ وثمانين. فنَدَبَتْه قائمةً، ولم تندُبْ أحداً من أزواجها إلا جالسةً. فقيلَ لها في ذلك، فقالتْ: إنه كانَ أكرمَهم عليَّ، وأمسَّهم رَحماً بي، وأردْتُ ألا أتزوَّجَ بعدَه. وكانت نُدْبَةُ المرأةِ زوجَها قائمةً ممّا تفعلُه مَن لا تريدُ أنْ تتزوَّجَ بعدَ زوجِها. وبالفعلِ رفضَتْ كلَّ مَن تقدَّمَ لخطبتها، وعاشَتْ حتى بعدَ المئةِ من الهجرة.

المصادر:

- الأغاني: ١١/١٧٦ و٢/٣٨٠.
- وكتب كثيرة منها: الدر المنثور، أعلام النساء، العقد الفريد، زهر الآداب للحصري، وتاريخ ابن عساكر، وطبقات ابن سعد، والكامل للمبرد، وغيرها.

زواج لم يتمَّ

كان الدَّلالُ من أشهرِ مُخَنَّثي العصرِ الأموي، وأعرفِ الناسِ بأمورِ النساءِ وأخبارِهنَّ في المدينة. زارَهُ يوماً أحدُ أشرافِ أهلِ الشامِ ومعه غلامانِ صَبيحانِ، وطلبَ إليه أن يُسْمعه غناءه. فغَنَّى له ثم توقَّفَ، فقال الشامي: زِدْني. فقال الدلالُ: أوَ ما يكفيك ما سمعتَ؟ قال: لا واللَّهِ ما يَكفيني. فقالَ الدلال: فإني لي إليك حاجةً. فقال: وما هيَ؟ قال: تَبِيعُني أحدَ هذينِ الغلامينِ أو كِلَيْهما. قال: اختَرْ أيَّهما شئتَ. فاختارَ الدلالُ أحَدَهما، فقال الشامي: هو لكَ شرطَ أنْ تُغني، فغناه.

ثم قال له الشاميُّ: إنَّ لي إليك حاجةً. قال: وما هيَ؟ قال: أريدُ وصيفةً وُلِدت في حجرِ صالحٍ، ونشأتْ في خيرٍ، جميلةَ الوجهِ، مَجْدولةً، وضيئةً، جعدةً[1]، في بياضٍ مُشربةً حمرةً، حسنةَ القامة، سَبْطةً[2]، أَسِيلةَ الخدِّ[3]، عذبةَ اللسان،

(١) جعدة: في شعرها جعودة.
(٢) السبطة: الحسنة القدّ.
(٣) أسيلة الخد: ليته وطويلته.

لها شِكْلٌ ودَلٌّ، تملأُ العينَ والنفسَ، لأتزوَّجَها. فقالَ له الدلالُ: قد أصبتُها لك، فمالي عليكَ إن دللتُكَ؟ قال: غلامي هذا. قال الدلال: إذا رأيتَها وقَبِلْتَها فالغلامُ لي؟ قال: نعم.

فأتى الدلالُ امرأةً يعرفُها، فقالَ لها: جُعلتُ فِداكِ! إنَّه نزلَ بِقُربي رجلٌ من أهلِ الشام من قوادِ هشامِ بنِ عبدِ الملك له ظرفٌ وسخاءٌ. وجاءني زائراً فأكرمْتُه، ورأيتُ معه غلامينِ كأنهما الشمسُ الطالعةُ والقمرُ المنيرُ والكواكبُ الزَّاهرة، ما وقَعَتْ عيني على مِثلهما، ولا ينطلقُ لساني بوصْفِهما، فوهَبَ لي أحدَهُما والآخَرُ عندَهُ. وإنْ لم يَصِل إليَّ فنفسي خارجَةٌ. قالت: فتريدُ ماذا؟ قال: طلبَ مني وصيفةً يَشْتريها لِيَبْنيَ بها على صفةٍ لا أعلمُها في أحدٍ إلا في فلانةٍ ابنَتِكِ، فهل لكِ أن تُرِيَها له؟ قالت: وكيفَ لك بأن يدفعَ الغلامَ إليك إذا رآها؟ قال: فإني قد شرطْتُ عليه ذلك عندَ النظرِ لا عندَ البَيْع. قالت: فشأنَك، ولا يعلَمْ أحدٌ بذلك.

فمضَى الدلالُ، فجاءَ الشاميُّ معه. فلما صارَ إلى المرأةِ أدخلَتْهُ، فإذا هو بِحَجَلَةٍ[1]، وفيها امرأةٌ على سريرٍ مُشرفٍ، برزةٌ جميلةٌ. فوُضِعَ له كرسيٌّ فجلسَ. فقالت له: أمِنَ العربِ أنتَ؟ قال: نعم. قالت: من أيِّهم؟ قال: من خُزاعَةَ. قالت: مرحباً بك وأهلاً، أيَّ شيءٍ طلبتَ؟ فوصَفَ الصِّفَةَ. فقالت:

(١) الحجلة: غرفة تزين بالثياب.

أصبْتَها. وأصغَتْ[١] إلى جاريةً لها، فدخلَتْ فمكثَتْ هُنَيْهةً ثم خرجَتْ. فنظرتْ إليها المرأةُ فقالت لها: أيْ حَبيبتي اخرُجي. فخرجَتْ حسناءُ ما رأى الراؤونَ مثلَها. فقالَتْ لها: أَقْبِلي، فأقبلَتْ، ثم قالتْ لها: أدْبِري، فأدبرتْ تملأ العينَ والنفسَ؛ فما بقيَ شيءٌ إلا وضَعَ يدَهُ عليه.

فقالت له: أتحبُّ أن نؤزِّرَها[٢] لكَ؟ قال: نعم. قالت: أيْ حَبيبتي، التَزِري. فضمَّها الإزارُ، وظهرتْ محاسنُها الخفيةُ، وضربَ بيدهِ على عَجيزتِها وصدرِها. ثم قالتِ الأم: أتحبُّ أن نجرِّدَها لك؟ قال: نعم. فقالت: أيْ حَبيبتي، وَضِّحي. فألقتْ إزارَها، فإذا أحسَنُ خلقِ الله، كأنها سبيكةٌ. فقالت: يا أخا الشام، كيف رأيتَ؟ قال: منيةُ المُتَمَنِّي. قال: بكم تقولينَ؟ قالت: ليس يومُ النظر يومَ البيع، ولكنْ تعودُ غداً حتى نبايعَكَ، ولا تنصرِفُ إلا على رضاً. فانصرفَ من عندِها، فقال له الدلال: أرَضِيتَ؟ قال: نعم، ما كنتُ أحسِبُ أنَّ مثلَ هذه في الدنيا؛ فإنَّ الصفة لتقصُرُ دونها. ثم دفعَ إليه الغلامَ الثاني.

فلما كانَ من الغدِ قال له الشاميُّ: امْضِ بنا. فمَضَيا حتى قَرعا البابَ، فأُذِنَ لهما، فدخلا وسَلَّما. ورحَّبَتِ المرأةُ

(١) أصغت: مالت برأسها إليها.

(٢) نؤزرها: نضيق الإزار عليها حتى يلتصق بالجسد.

بهما، ثم قالت للشامي: أَعْطِنا ما تبذُلُ. قال لها: ما لها عندي ثمنٌ إلا وهي أكبرُ منه، فقولي يا أمةَ الله. قالت: بل قُلْ؛ فإنا لم نُوطِئْك أعقابَنا ونحنُ نريدُ خِلافَكَ، وأنتَ لها رِضاً. قال: ثلاثةُ آلافِ دينارٍ. فقالت: واللَّهِ لَقُبْلَةٌ من هذه خيرٌ من ثلاثة آلافِ دينار. قال: بأربعةِ آلافِ دينار. قالت: غفَرَ اللَّهُ لك! أَعْطِنا أيُّها الرجلُ. فقال: واللَّهِ ما معي غيرُها، ولو كان لَزِدْتُك. قالت: ما أراكَ إلا صادقاً، أَتَدري مَن هذه؟ قال: تُخْبريني. قالت: هذه ابنتي فلانةُ بنتُ فلان، وأنا فلانةُ بنتُ فلان. وقد كنتُ أردتُ أن أعرِضَ عليك ابنتي، حتى إذا رأيتَ غداً غِلَظَ أهلِ الشام وجفاءَهُم، ذكرتَ ابنتي ومهْرها. قُمْ راشداً. فقال الشاميُّ للدلال: خَدَعْتَني! فقال الدلال: أوَ لا تَرضى أن تَرى ما رأيتَ من مثلها، وتهَبَ مئةَ غلامٍ مثلَ غلامك؟ قال: أمّا هذا فنَعَمْ وخَرَجا من عندها.

المصادر:

- الأغاني - أبو الفرج: ٤/٢٨٧.

زواج الحجَّاج من أم كلثوم

عبدُ الله بنُ جعفر بنِ أبي طالب، ولد بالحبشة في السنة الأولى من الهجرة ثم أتى البصرةَ والكوفةَ والشام. وكان أحدَ الأمراءِ في جيش عليٍّ يومَ صِفِّين. ومات بالمدينة سنة ٨٠ هـ.

قال بُديح: وفدَ عبد الله بن جعفر على عبدِ الملك بن مروانَ، وكان زوَّجَ ابنتَهُ أُمَّ كُلثوم من الحجاج على ألفَيْ ألفٍ في السِّرِّ، وخمسِ مئةٍ في العَلانية، وحَملها إليه إلى العراق، فمكثَتْ عندَه ثمانيةَ أشهر.

قال بُديح: فلمّا خرجَ عبدُ الله إلى عبدِ الملك بن مروانَ، خرَجْنا معه حتى دَخلنا دمشقَ. فإنا لنحطُّ رِحالَنا إذ جاءَنا الوليدُ بنُ عبد الملك على بغلةٍ وَرْدَةٍ ومعه الناسُ. فقلنا: جاءَ الوليدُ إلى ابنِ جعفر ليحيِّيَه ويدعُوَه إلى منزلِهِ. فاستقبلَهُ ابنُ جعفرٍ بالتَّرحيب، فقالَ له الوليدُ: لكنْ أنت لا مرحباً بك ولا أهلاً. فقال جعفرٌ: مهلاً يا بنَ أخي، فلستُ أهلاً لهذهِ المقالةِ منك. قال: بلى، ولشَرٌّ منها. قال: وفيمَ ذلك؟ قال: إنك عمدتَ إلى عقيلةِ نساء العرب، وسيدةِ بني عَبدِ منافٍ، ففرشْتَها عبدَ ثقيفٍ يتفخَّذُها.

قال جعفر: وفي هذا عتبٌ عليَّ يا بنَ أخي؟ قال: وما أكثَرُ من هذا؟ قال: والله إنَّ أحقَّ الناس أنْ لا يلومَني في هذا لأنتَ وأبوك، إنْ كان مَن قَبلكم من الوُلاةِ لَيَصِلون رَحمي، ويعرفون حقي. وإنك وأباك مَنَعْتُماني ما عندَكما حتى ركبني منَ الدَّين ما والله لو أنَّ عبداً مُجَدَّعاً حَبشياً أعطاني بها ما أعطاني عبدُ ثقيف لزوَّجْتُها، فإنما فديتُ بها رقَبتي من النار.

قال: فما راجَعَه كلمةً حتى عطفَ عِنانَه، ومضى حتى دخلَ على عبدِ الملك ـ وكان الوليدُ إذا غضبَ عُرف ذلك في وجهه ـ فلما رآه عبدُ الملك سأله: ما لَكَ أبا العباس؟ قال: إنك سلَّطْتَ عبدَ ثقيفٍ وملَّكْتَهُ ورفعته، حتى تفخَّذَ نساءَ عبدِ مناف. وأدركتْه الغيرةُ، فكتبَ عبدُ الملك إلى الحجاج يَعزِمُ عليه أن لا يضعَ كتابَه من يدهِ حتى يُطَلِّقَها. فما قَطعَ الحجاجُ عنها رِزقاً ولا كرامةً يُجْريها عليها حتى خرجَتْ من الدنيا. وما زال واصلاً لعبدِ الله بن جعفر حتى هَلك. قال بُديح: فما كان يأتي علينا هِلالٌ إلا وعندَنا عيرٌ مقبلةٌ من الحجّاج، عليها لُطَفٌ[1]، وكُسْوَةٌ، وميرة[2]، حتى لحقَ عبدُ الله بن جعفر بالله.

ثم استأذنَ ابنُ جعفر على عبدِ الملك. فلما دخلَ عليه استقبلَهُ عبدُ الملك بالترَّحيب، ثم أخذَ بيدهِ فأجلسَه معه على

(١) اللطف: الهدايا.

(٢) الميرة: المؤونة.

سريرِهِ. ثم سألَهُ فألطفَ المسألةَ، حتى سأله عن مَطْعمه وشَرابِه. فلما انقضَتْ مسألتُه انصرف، من دون أن يتطرق لِما قالَه الوليدُ ابنُه له، أو ما كتَبَهُ إلى الحجاج.

المصادر:

ـ العقد الفريد ـ ابن عبد ربه (تحقيقنا): ٢/٥٩.

زواج امرىء القيس

قرَّر امرؤ القيس ألّا يتزوَّجَ امرأةً حتى يَسألها عن: ثمانيةٍ، وأربعةٍ، وثنتينِ. فجعل يخطبُ النساءَ، فإذا سألهنَّ عن هذا قُلن: أربعةَ عشرَ. فبينما هو يسيرَ في جوفِ الليلِ، إذا هو برجلٍ يحملُ ابنةً له صغيرةً، كأنها البدرُ ليلةَ تمامهِ، فأعجبَتْه فقال لها: يا جاريةُ، ما ثمانيةٌ وأربعةٌ واثنتانِ؟. فقالت: أمّا ثمانيةٌ فأَطْباءُ[1] الكلبة. وأمّا أربعةٌ فأخلافُ[2] الناقة. وأمّا اثنتان فثديا المرأة. فخطبها إلى أبيها فزوَّجه إياها.

وشَرَطت هي عليه أن تسألَه ليلةَ بنائها عن ثلاثِ خصالٍ، فجعل لها ذلك، وأن يسوقَ إليها مئة من الإبل، وعشرةَ أعبدٍ، وعشرَ وصائفَ، وثلاثةَ أفراسٍ. ثم إنه بعث عبداً له إلى المرأة، وأهدى إليها نِحْياً[3] من سمنٍ، ونحياً من عسل، وحلةً من عَصْب[4]. فنزل العبدُ ببعضِ المياه، فنشرَ الحلَّةَ ولبَسَها، فتعلَّقَتْ بِعُشَرةٍ[5] فانشقَّتْ، وفتَحَ النِّحيينِ، فطَعِم أهلُ الماءِ

(١) الأطباء: أثداء الكلبة.
(٢) الأخلاف: أثداء الناقة.
(٣) النحي: الزق للسمن أو للعسل.
(٤) العصب: ضرب من البرود.
(٥) العُشرة: جنس شجيرة.

منها فنقصا. ثم قدمَ على حيِّ المرأةِ وهم خُلوفٌ[١]. فسألها عن أبيها وأمها وأخيها، وَدفع إليها هديتها.

وقد أدركتِ المرأةُ ما فعل العبدُ، فقالت له: أَعْلِمْ مولاك أنَّ أبي ذهبَ يقرِّبُ بعيداً ويبعِّدُ قريباً، وأنَّ أمي ذهبتْ تشُقُّ النَّفْسَ نفسينِ، وأن أخي يُراعي الشَّمْسَ، وأن سماءَكُم انشقَّتْ، وأن وعاءَيكم نَضبا. فقدمَ الغلامُ على مولاه فأخبرَه، فقال: أما قولُها: «إنَّ أبي ذهبَ يقرِّبُ بعيداً ويبعِّدُ قريباً» فإن أباها ذهبَ يحالفُ قوماً على قومه. وأما قولها: «ذهبتْ أمي تشُقُّ النفسَ نَفْسينِ» فإن أمها ذهبتْ تَقْبَلُ[٢] امرأةً نُفَساءَ. وأما قولها: «إن أخي يُراعي الشمسَ» فإن أخاها في سَرْحٍ له يرعاهُ، فهو ينتظرُ وُجوبَ[٣] الشمس ليروحَ به. وأما قولها: «إنَّ سماءَكم انشقَّتْ» فإن البُرْدَ الذي بعثتُ به انشقَّ. وأما قولها: «إنَّ وعاءَيكم نَضَبا» فإنَّ النِّحيينِ اللذين بعثتُ بهما نَقَصا. فاصْدُقْني.

قال: يا مولايَ، إني نزلتُ بماءٍ من مياه العرب، فسألوني عن نَسبي فأخبرتُهم أني ابنُ عمك، ونشرتُ الحُلَّةَ فانشقَّتْ، وفتحتُ النِّحيين فأطعمتُ منهما أهلَ الماء. ثم ساقَ مئةً من الإبل، وخرجَ نحوَها ومعه الغلامُ، فنزلا منزلاً. فخرجَ الغلامُ يَسقي الإبلَ فعجزَ، فأعانَه امرؤ القيس. فرمى به الغلامُ في البئر. وخرجَ حتى أتى المرأةَ ـ خطيبةَ امرىء القيس ـ

(١) خلوف: غُيَّب.
(٢) تقبل: تولِّد، ومنها القابلة.
(٣) وجوب الشمس: غيابها.

بالإبل، وأخبرهم أنه زوجُها. فقيل لها: قد جاءَ زوجُك. فقالت: واللَّهِ ما أدري أزَوْجي هو أم لا! ولكن انْحَروا له جَزوراً، وأَطْعِموه من كَرِشها وذَنبها. ففعلوا، فقالت: اسْقُوه لبناً حازِراً[١]، فسقَوه فشرب. فقالت: افرُشوا له عند الفَرْثِ[٢] والدَّم. ففَرَشوا له فنام.

فلما أصبحتْ أرسلتْ إليه: إني أريدُ أن أسألك. فقال: سَلي عَمّا شئتِ. فقالت: ممَّ تَخْتلج شَفَتاك؟ قال: لتقبيلي إياك. قالت: فمِمَّ يختلج كَشْحاك؟[٣] قال: لالْتِزامي إياك. قالت: فممَّ يختلجُ فَخِذاك؟ قال: لِتَوَرُّكي إياكِ. قالت: عليكم العبدَ، فشدُّوا أيدِيَكُم به، ففعلوا.

ومرَّ قومٌ بالبئر فاسْتَخرجوا امرأ القيس منه، فرجعَ إلى حيِّهِ. فاسْتاقَ مئةً أخرى من الإبل، وأقبلَ بها إلى امرأته. فقيلَ لها: قد جاءَ زوجُك. فقالت: واللَّهِ ما أدري أهو زَوجي أم لا، ولكن انْحَروا له جَزوراً فأطعموه من كَرِشِها وذَنبها، ففعلوا. فلما أتَوْهُ بذلك قال: وأينَ الكبدُ والسَّنامُ والمَلْحاءُ؟[٤] فأبى أن يأكل. فقالت: اسْقُوه لبناً حازراً. فأبى أن يشربَه، وقال: فأين الصَّريفُ والرَّثيئة؟[٥] فقالت: افرشوا له عند الفرث

(١) اللبن الحازر: الحامض.
(٢) الفرث: السرجين ما دام في الكرش.
(٣) الكشح: ما بين السرة ووسط الظهر.
(٤) الملحاء: لحم في صلب الناقة من الكاهل إلى العجز.
(٥) الصريف: الحليب الحار ساعة يصرف من الضرع. الرثيئة: الحليب =

والدم. فأبى أن ينامَ، وقال: افرشوا لي فوقَ التَّلْعة الحمراء، واضْربوا عليها خِباءً.

ثم أرسلتْ إليه: هلمَّ شَريطتي، عليكَ المسائلَ الثلاثَ. فأرسلَ إليها أنْ سَلي عمّا شئتِ. فقالت: مِمَّ تختلجُ شَفتاك؟ قال: لِشُرْبي المُشَعْشَعاتِ. قالت: فمِمَّ يختلجُ كَشْحاك؟ قال: لِلِبْسي الحَبِرات[1]. قالت: فمِمَّ تختلجُ فَخِذاك؟ قال: لرَكْضي المُطَهَّماتِ[2]. فقالت: هذا زوجي لَعَمري، فعليكم به. واقتلوا العبدَ، فقتلوه. ودخلَ امرؤ القيس بالجارية.

المصادر:

- الأغاني - أبو الفرج: ٩/١٠١.

= يصب عليه اللبن الحامض، فيروب من ساعته.

(١) الحبرات: البرد الموشاة.

(٢) المطهمات: التامّة الحسن من الخيل.

زواج أعرابي

روى إسحاقُ بنُ سُليمانَ[1] قال:

لقيتُ أعرابياً بالسُّمَيَّةِ[2]، فتأمَّلْتُه فإذا هو مصفرٌّ شاحبٌ، ناحلُ الجسم. فاسْتَنْشدته فأنشدني الشيءَ بعدَ الشيء على استكراهٍ مني له، فقلت: ما بالُك؟ فواللَّهِ إنك لفصيحٌ! فقال: أما تَرى الجبلينِ؟ قلتُ: بلى. قال: في ظلالِهما واللَّهِ ما يمْنَعني من إنشادِك، ويَشْغَلُني ويُذْهلني عن الناس. قلتُ: وما ذاك؟

قال: بنتُ عمّ لي قد تَيَّمَتْني وذهبتْ بعقلي. واللَّهِ إنه لتأتي عليَّ ساعاتٌ ما أدري أفي السماء أنا أم في الأرض؟ ولا أزالُ ثابتَ العقل، ما لم يُخامِرْ ذكرُها قلبي. فإذا خامَرَهُ بطلَتْ حواسِّي، وعزَبَ عني لُبِّي. قلت: فما يمنعُكَ منها؟ أقِلَّةُ مافي يدك؟ قال: واللَّهِ ما يَمْنَعني منها غيرُ ذلك. وسألتُه: وكم مهرُها؟ قال: مئةُ ناقةٍ. قلت: فأنا أدفَعُها إليك إذاً لتدفَعَها إليهم. قال: واللَّهِ لئن فعلتَ ذلك، إنك لأعظمُ الناسِ عليَّ مِنَّةً. فوعدتُه بذلك واستنشدتُه ما قال فيها، فأنْشَدَني أشياءَ

---

(١) هو إسحاق بن سليمان بن علي، عباسي من أمراء الدولة العباسية، ولي إمرة المدينة في عهد الرشيد ومصر وغيرهما. توفي بعد سنة ١٧٨هـ.

(٢) السمية: جبل.

كثيرةً منها قوله:

سَقَى العَلَمَ الفَرْدَ الذي في ظلالهِ
غزالانِ مكحولانِ مُؤتَلفانِ

أرَغْتُهما خَتْلاً[1] فلم أسْتَطِعْهما
ورمياً ففاتاني وقد قَتَلاني

فقلتُ له: يا أعرابيُّ، واللَّهِ لقد قتلْتَني بقولك: «ففاتاني وقد قتلاني». وأنا بريءٌ من العباس إن لم أقُمْ بأمرك.

ثم دعوتُ بمركوبٍ فركبتُه وحملتُ معي الأعرابي، فصِرْنا إلى أبي الجاريةِ في جماعةٍ من أهلي ومواليَّ، حتى زوَّجْتُه إياها، وضمنْتُ عنه الصَّداقَ، واشتريتُ له مئةَ ناقة، فسُقْتُها عنه. وأقَمْتُ عندهم ثلاثاً، ونحرتُ لهم ثلاثينَ جَزوراً، ووهبتُ للأعرابي عشرةَ آلافِ درهم، وللجاريةِ مثلَها، وقلتُ لهما: اسْتعينا بهذا على اتِّصالكما، وانصرفتُ.

فكان الأعرابيُّ يطرُقُنا في كلِّ سنةً وامرأتُه معه، فأَهَبُ له، وأصِلُه ويَنْصرف.

المصادر:

- الأغاني - أبو الفرج: ٩/١٨٧.

(١) أراغه: طلبه على سبيل المكر. ختلاً: خداعاً.

زواج الحارِثِ بن عَوْف

الحارثُ بنُ عوفِ بنِ أبي حارثةَ المُرِّيُّ من فرسانِ الجاهلية. وهو الذي مدحَه زهيرُ بنُ أبي سُلمى لتحمُّلِهِ دياتِ القتلى. قيل: إنه أدركَ الإسلامَ وأسلمَ، كما في الإصابة: ١/ ٢٨٦.

قال لخارجةَ بنِ سنانٍ يوماً: أتُراني أَخْطُبُ إلى أحدٍ فيرُدُّني؟ قال: نعم. قال: ومَن ذاك؟ قال: أوسُ بنُ حارثةَ بنِ لأمٍ الطائيُّ. فقال الحارثُ لغلامِهِ: أرحَلْ بِنا، ففعَلَ. فركبا حتّى أتَيا أوسَ بنَ حارثة في بلاده، فوجداهُ في منزلِهِ. فلما رأى الحارثَ بنَ عوف قال: مَرحباً بك يا حارِ[1]. قال الحارثُ: وبك. قال أوسٌ: ما جاءَ بك يا حارِ؟ قال: جئتُك خاطباً. قال: لستَ هناكَ[2]. فانصرفَ الحارثُ ولم يكلِّمْه.

ودخلَ أوسٌ على امرأته مُغضباً، وكانت من عبسٍ، فسألتْهُ: مَن رجلٌ وقفَ عليك فلم يُطِل ولم تُكلمه؟ قال: ذاك سيدُ العربِ الحارثُ بنُ عوفِ بن أبي حارثة المُرِّي. قالت: فما لكَ لم تَسْتَنْزِلْه؟ قال: إنه استحمَقَ. فسألته: وكيفَ؟ قال:

---

(١) حار: منادى مرخم، يَسقط فيه الحرف الأخير.

(٢) لستَ هناك: أي أن طلبك مرفوض.

جاءَني خاطباً. قالت: أفَتُريد أنْ تزوِّجَ بناتِكَ؟ قال: نعم. قالت: فإذا لم تزوِّجْ سيدَ العرب، فمن؟ قال: قد كان ذلك. قالت: فتدارَكْ، ما كان منكَ. قال: بماذا؟ قالت: تلحقُه فترُدُّه. قال: وكيفَ وقد فَرَطَ مني ما فَرط إليه؟ قالت: تقولُ: إنك لَقِيتَني مُغْضَباً بأمرٍ لم تُقَدِّمْ فيه قولاً مني، فلم يكنْ عندي فيه منَ الجوابِ إلا ما سمعتَ. فانصرِفْ ولكَ عِندي كلَّ ما أحببتَ. فإنه سيفعلُ.

فركبَ أوسٌ في أثَرِهما. قال خارجةُ بنُ سنان: ـ وكان مع الحارث ـ فواللَّهِ إني لأسيرُ إذ حانتْ مني التفاتَةٌ، فرأيتُه فأقبلتُ على الحارثِ وما يكلمُني غَمًّا، فقلتُ له: هذا أوسُ بنُ حارثةَ في أثَرِنا. قال: وما نصنَعُ به؟ امْضِ. فلما رآنا لا نقِفُ عليه صاحَ: يا حارِ ارْبَعْ[1] عليَّ ساعةً. فوقَفْنا له، فكلَّمَه بذلك الكلام، فرجعَ معه مسروراً.

فبَلَغَني أن أوساً لما دخلَ منزلَه قال لزوجته: ادْعِي لي فلانةَ (أكبر بناته) فأتَتْه فقال: يا بُنَيةُ هذا الحارثُ بنُ عوف سيدٌ من ساداتِ العرب، قد جاءني طالباً خاطباً. وقد أردتُ أن أزوِّجَك منه، فما تقولين؟ قالت: لا تفعَلْ. قال: ولِمَ؟ قالت: لأني امرأةٌ في وجهي رَدَّةٌ[2]، وفي خُلُقي بعضُ

(١) اربع: توقَّفْ وانتظر.

(٢) الردة: القبح مع شيء من الجمال.

العُهْدَة[١]، ولستُ بابنةِ عمه فيرعَى رَحِمي، وليس بجارِكَ في البلدِ فيَسْتَحِيَ منك، ولا آمَنُ أنْ يَرى مني ما يَكْرَهُ فيطلِّقَني، فيكونَ عليَّ في ذلك ما فيهِ. قال: قُومي، بارِكَ اللَّهُ عليك.

ادْعي لي فلانةَ (ابنته الوسطى) فدَعَتْها، ثم قال لها مثلَ قولهِ لأُختها، فأجابَتْه بمثل جوابِ الأولى، وقالت: إني خَرقاءُ، وليستْ بِيَدي صَناعَةٌ، ولا آمَن أن يرى مِنِّي ما يَكْره، فيطلِّقَني، فيكونَ عليَّ في ذلك ما تعلمُ، وليس بابنِ عَمي فيرعَى حَقِّي، ولا جارِك في بلدِكَ فَيَسْتحيِكَ.

قال: قومي بارِكَ الله عليك، وادْعي لي بُهَيْـَة (الصغرى)، فأُتِيَ بها، فقالَ لها كما قالَ لهما، فقالتْ له: أنتَ وذاكَ. فقالَ لها: إني قد عرضتُ ذلك على أختَيْك فأبَتَاه، ولم يذكرْ لها مقالتَيْهما، فقالت: لكنِّي واللَّهِ الجميلةُ وجهاً، الصَّناعُ يداً، الرفيعةُ خُلُقاً، الحسيبةُ أباً. فإنْ طَلَّقني فلا أخلَفَ اللَّهُ عليهِ بخيرٍ. فقال أبوها: بارِكَ اللَّهُ عليك.

ثم خرجَ عَلينا فقال: قد زوَّجْتُكَ يا حارثُ بُهيـَةَ ننتَ أوسٍ. قال: قد قبلتُ. فأمرَ أمَّها أن تُهَيِّئَها وتُصْلح من شأنها. ثم أمرَ ببيتٍ فضُرِب له، وأنزلَهُ إياه. فلما هُيِّئت بعثَ بها إليه. فلما أُدْخلتْ إليه لبثَ هُنَيهةً ثم خرجَ إليَّ، فقلتُ له: أفرَغْتَ من شأنِكَ؟ قال: لا واللَّهِ. قلتُ: وكيفَ ذاك؟ قال: لمّا

(١) العهدة: الضعف.

مددْتُ يدي إليها قالتْ لي: مَهْ[١]، عندَ أبي وإخوتي! هذا واللَّهِ ما لا يكونُ.

فأمرَ بالرِّحلة، فارْتَحلنا ورَحَلنا بها معنا، فسِرنا ما شاءَ الله، ثم قال لي: تقدَّمْ. فتقدَّمْتُ، وعدَلَ بها عن الطريق، فما لبثَ أن لحقَ بي. فقال: أفرغْتَ؟ قلتُ: لا واللَّهِ. قال: ولمَ؟ قلت: قالتْ لي: أكما يُفْعَلُ بالأمَةِ الحَليةِ أو السَّبْيةِ الأَخِيذة! لا واللَّهِ حتى تنحَرَ الجُزُرَ، وتذبحَ الغنمَ، وتدعُوَ العربَ، وتَعملَ ما يُعْمل لمثلي. قلت: واللَّهِ إني لأرى هِمَّةً وعَقلاً، وأرجو أن تكون المرأةُ مُنْجِبةً إن شاء الله.

فرحَلنا حتى جئنا بلادَنا، فأحضَرَ الإبلَ والغنم، ثم دخلَ عليها وخرجَ إليَّ، فقلتُ: أفرَغْتَ؟ قال: لا. قلتُ: ولمَ؟ قال: دخلتُ عليها أريدُها، وقلتُ لها: قد أَحْضَرنا منَ المالِ ما قد تَرَيْنَ. فقالتْ: لقد ذكرتَ لي من الشرفِ ما لا أراهُ فيك. قلت: وكيفَ؟ قالت: أتفرُغُ لنكاح النساءِ والعربُ تقتُلُ بعضَها![٢]. قلت: فيكونُ ماذا؟ قالت: اخرُجْ إلى هؤلاءِ القومِ، فأصلِحْ بينَهُم، ثم ارجِعْ إلى أهلك، فلنْ يفوتَكَ. فقلتُ: واللَّهِ إني لأرى همةً وعَقلاً، ولقد قالتْ قَولاً.

قال: فاخرُجْ بنا. فَخَرجنا حتى أتَيْنا القومَ، فمشَيْنا فيما

(١) مه: اكفُفْ.

(٢) وذلك في أيام حرب عبس وذبيان.

بَيْنَهم بالصُّلح، فاصْطَلحوا على أن يَحْتَسِبُوا القَتْلى، فيؤخَذَ الفضلُ ممَّن هو عليه. فَحَملنا عنهم الدِّياتِ، فكانت ثلاثةَ آلافِ بعيرٍ في ثلاثِ سنين. فانصَرَفْنا بأجملِ الذكر، ومُدِحنا على ذلك. ومَدَحَهما زهير فقال:

تـدارَكْتُـمـا عـبـساً وذُبـيـانَ بـعـدَمـا
تفـانَوْا ودَقُّوا بينَهُم عطرَ مَنْشِمِ[1]

وعادَ الحارثُ إلى أهلهِ سعيداً، لِيَلْقى بُهيسةَ قد أعدَّتْ واستعدَّتْ للقائه وإسعاده.

المصادر:

- الأغاني: ١٠/٢٩٤.

(١) منشِم: امرأة عطارة من خزاعة، وقد تحالف قوم، فأدخلوا أيديهم في عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا. وقيل: كانت تبيعهم الكافور لموتاهم، فتشاءموا منها، وضربوا بها الأمثال.

زواج بالجُمْلة

كانَ بالمدينة امرأةٌ حسناءُ تُسمى عَزَّةَ المَيْلاءَ، يألَفُها الأشرافُ وغيرُهُم من أهلِ المروءات. وكانتْ من أظرفِ الناسِ وأعْلَمِهم بأمورِ النساء.

أتاها مصعبُ بنُ الزُّبير، وعبدُ الله بنُ عبد الرحمٰن بنِ أبي بكرٍ، وسعيدُ بن العاص، فقالوا: إنا خَطَبنا، فانْظُري لنا. فقالتْ لمصعب: يابنَ أبي عبد الله، ومَن خطبتَ؟ فقال: عائشةَ بنتَ طلحةَ. وقالت: فأنتَ يابنَ أبي أُحَيْحَةَ؟ قال: عائشةَ بنتَ عُثمانَ. وقالت: وأنتَ يا بنَ الصدِّيق؟ قال: أمَّ قاسمٍ بنتَ زكريا بنِ طلحة.

قالتْ: يا جاريةُ، هاتي مَنْقَلَيَّ[1]. فلبسَتْهما وخرجَتْ ومعها خادمٌ لها. وبدأتْ بعائشةَ بنتِ طلحةَ، فقالت: فديتُك! كنا في مأدُبَةٍ لقريشٍ، فتذاكَروا جمالَ النساء وخَلْقَهُنَّ فذكروكِ، فلم أدرِ كيفَ أصِفُكِ فديتُكِ، فأَلْقِي ثيابَكِ. ففعلتْ فأقبلتْ وأدبَرَتْ، فارتجَّ كلُّ شيءٍ منها. فقالت لها عَزَّةُ: خُذي ثوبَكِ فديْتُكِ. فقالت عائشةُ: قد قضيتُ حاجَتَكِ، وبقيتْ حاجَتي.

---

(١) المنقلان: الخفّان.

قالت عزةُ: وما هيَ بنفسي أنتِ؟ قالتْ: تُغَنيني صوتاً، فاندفعَتْ تُغَني لحنها:

خليلَيَّ عُوجا بالمحلَّةِ مِن جُمْلِ
وأترابِها بينَ الأُصَيْفِر والحَيْلِ

نَقِفْ بمغانٍ قد مَحا رَسْمَها البِلى
تَعاقَبُها الأيامُ بالرِّيحِ والوَبْلِ

فقامتْ عائشةُ فقبَّلَتْ ما بينَ عَيْنَيها، ودعَتْ لها بعشرةِ أثوابٍ، وبطرائفَ من أنواعِ الفضةِ وغيرِ ذلك، فدفعَتْه إلى مولاتها فحملتْهُ.

وأتتِ النسوةَ على مثلِ ذلك تقولُ ذلك لهنَّ، حتى أتَتِ القومَ في الـقيفة، فقالوا: ما صنعْتِ؟ فقالت: يابنَ أبي عبد الله، أما عائشةُ فلا والله ما رأيتُ مثلها مُقْبِلَةً ومُدبرة، محطوطَةُ المَتْنَيْن[١] عظيمةُ العَجيزةِ، ممتلئةُ الترائبِ[٢]، نقيَّةُ الثَّغر وصفحةُ الوجه، فرعاءُ الشَّعر[٣]، لفّاءُ الفخذين، ممتلئةُ الصَّدر، خَميصةُ البطن[٤]، ذاتُ عُكَنٍ[٥]، ضخمةُ السُّرَّة،

(١) محطوطة المتنين: ممدودتهما، والمتنان: جنبا الظهر.
(٢) الترائب: موضع القلادة من الصدر.
(٣) فرعاء الشعر: طويله.
(٤) خميصة البطن: ضامرته.
(٥) العكن: الأطواء في الجسم من الامتلاء.

مُسَرْوَلة الساق، يرتجُّ ما بينَ أعلاها إلى قدميها. وفيها عَيبانِ، أمّا أحدُهما فيُواريهِ الخمارُ، وأما الآخَرُ فيواريهِ الخُفُّ: عِظَمُ القدمِ والأُذُن. وكانتْ عائشةُ كذلك.

ثم قالتْ عزةُ: وأمّا أنتَ يابنَ أبي أُحَيحةَ، فإني واللَّهِ ما رأيت مثلَ خَلْقِ عائشةَ بنتِ عثمانَ لامرأةٍ قَطُّ، ليسَ فيها عيبٌ، واللَّهِ لكأنما أُفرغَتْ إفراغاً، ولكنْ في الوجه رَدَّةٌ[1]، وإنِ اسْتَشَرتني أشرتُ عليك بوجهٍ تستأنسُ به.

وأما أنتَ يابنَ الصدِّيق، فواللَّهِ ما رأيتُ مثلَ أمِّ قاسم؛ كأنها خوطُ[2] بانةٍ تَنْثَني، وكأنها جَذلُ عِنانٍ، أو كأنها جانٌّ يَتَثَنى على رمل. لو شئتَ أن تعقدَ أطرافَها لفعلتَ، ولكنها شَخْتَةُ الصدر[3]، وأنت عريضُ الصدر، فإذا كان ذلك كان قَبيحاً، لا واللَّهِ حتى يمتلىءَ كلُّ شيءٍ مثلَهُ.

فوصَلها الرجالُ والنساءُ، وتزوَّجوهن.

المصادر:

- الأغاني: ١١/١٧٧.

---

(١) الردة: القبح مع شيء من الجمال.

(٢) الخوط: الغصن الناعم.

(٣) الشخت: ضمور من غير هزال.

زواج المَقْت[1]

كان منظورُ بنُ زبّانَ سيدَ قومهِ قد تزوَّج امرأةَ أبيه، وهي مُليكة بنتُ سِنانٍ المُرِّيِّ. فولدتْ له هاشماً وعبدَ الجبار وخَولة. ولم تزلْ مليكةُ معه إلى خلافةِ عمر بن الخطاب. فرُفع أمرُه وأمرُ زواجهِ بامرأةِ أبيه إلى عمر. فأحضَرَهُ وسألَهُ عما قيلَ، فاعترفَ به وقالَ: ما علمتُ أنَّ هذا حرامٌ. فحبَسه إلى وقتِ صلاةِ العصر، ثم أحلفَهُ أنه لم يعلمْ أنَّ الله ﷻ حرَّمَ ما فعلَهُ. فخلَّى عمر سبيله، وفرَّقَ بينَه وبينَ امرأة أبيه. وقال له: لولا أنك حلفتَ لضربتُ عنقك.

ويُروى أن عمر قال له: أتنكحُ امرأةَ أبيكَ وهيَ أمُّك؟ أو ما علمتَ أنَّ هذا نكاحُ المَقْتِ؟ وفرَّقَ بينهما. فتزوَّجَها طلحةُ بنُ عُبيد الله. لكن منظوراً ظلَّ على حبِّه لمليكةَ، وكان رقيقَ الدين، شارباً للخمر. فرآها يوماً وهي تمشي في الطريق ـ وكانت جميلةً رائعةَ الحسن، فقال لها: يا مُليكة، لعن الله ديناً فرَّقَ بيني وبينك![2] فلم تُكلمه وجازَتْ. وجاز بعدها

(١) زواج المقت: أن يتزوج الرجل امرأة أبيه بعد وفاة أبيه.

(٢) خسفه الله.

زوجُها، فقال له منظور: كيفَ رأيتَ أثرَ أيري في حِرِ مُليكة؟ قال: كما رأيتَ أثرَ أير أبيك فيه، فأفحمه. وبلغ عمرَ الخبرُ، فطلبه ليعاقبه، فهرب منه.

المصادر:

- الأغاني: ١٢/١٩٣.

زواج شارِيَة

كانت شاريةُ مولَّدَةً من مولَّدات البصرة، وكانتْ أمُّها أمَةً خبيثة، فاشْتَرتها امرأةٌ من بني هاشم، فأدَّبَتْها وعَلَّمتها الغناء. ثم حَمَلتها لتبيعَها ببغداد. فعُرضت على إسحاقَ بنِ إبراهيم الموصليِّ، فأعطى بها ثلاثَ مئةِ دينارٍ، ثم اسْتَغلاها بهذا الثمن ولم يُرِدْها. فجيءَ بها إلى إبراهيمَ بنِ المهدي، فعُرِضَتْ عليه فساوَمَ بها. فقالت له مولاتُها: قد بذلْتُها لإسحاقَ بنِ إبراهيم بثلاثِ مئةِ دينارٍ، وأنتَ أيها الأميرُ أحقُّ بها.

قال: زِنوا لها ما طلبَتْ. فوُزن لها. ثم دَعا بِقَيِّمتهِ وقال لها: خذي هذه الجاريةَ ولا تُرينيها سنةً. فلما كان بعدَ سنةٍ أخرجتْ إليه، فنظرَ إليها وسمعها. فأرسَلَ إلى إسحاقَ بن إبراهيم الموصليِّ فدعاهُ، وأراهُ إياها، وأسمعَهُ غناءَها، وقال له: هذه جاريةٌ تُباعُ، فبكَم تأخُذها لنفسك؟ قال إسحاقُ: آخذُها بثلاثةِ آلافِ دينارٍ، وهي رخيصةٌ بها. فقالَ له إبراهيم: أتعرفُها؟ قال: لا. قال: هذه الجاريةُ التي عرضَتْها عليك الهاشميةُ بثلاثِ مئةِ دينار، فلم تقبل. فتعجب إسحاقُ من تحوُّلِ حالِها وما انقلبتْ إليه.

ويُرْوى أنها عُرِضتْ على إبراهيمَ بنِ المهدي بثمانيةِ آلاف درهم، فأُعجب بها إعجاباً شديداً، ولم يكن إبراهيمُ يملك درهماً من ثمنها. فقال له ابنُه هبةُ الله: نبيعُ ما نملكُه حتى الخزفَ، ونجمعُ ثمنَها، إرضاءً لك. فقال إبراهيمُ لابنه: اذهَبْ إلى علي بنِ هشامٍ، فأقْرئه مني السلامَ وقل له: جَعلني الله فداءكَ، قد عُرضت عليَّ جاريةٌ قد أخذت بمجامعِ قلبي، وليس عندي ثمنُها، فأحبُّ أن تُقْرِضَني عشرةَ آلافِ درهم. فقال هبةُ الله: إنَّ ثمنَها ثمانيةُ آلاف درهم فلمَ تُكثرُ على الرجل؟ فقال: إذا اشتريناها بثمانيةِ آلافِ درهم، لا بدَّ أن نكسُوَها، ونُقيم لها ما تحتاج إليه.

وقال هبةُ الله: فصرتُ إلى علي بن هشام، فأبلغتُه الرسالةَ، فدعا بوكيلٍ له وقال له: ادفَعْ لهبةِ الله عشرينَ ألفاً، وقال: قُلْ لأبيك: هي حلالٌ لك في الدنيا والآخرة. وصرتُ إلى أبي بالدراهم، فلو طلعتُ عليه بالخلافةِ[1]، لم تكُنْ تعدِلُ عنده تلك الدراهمَ. واشتراها.

وكانت أمُّها خبيثةً، فكانت تزورُ ابنتها، وكلما رأت إبراهيم لم يعطِ ابنتَها ما تَشْتهي، ذهبتْ إلى عبد الوهابِ بنِ علي - وهو ابن أخي إبراهيم بن المهدي - ودفعت إليه رقعةً

(١) ذلك أن إبراهيم بن المهدي كان يتطلع إلى الخلافة لأنه أخو الرشيد، وقد ادعى الخلافة في عهد المأمون.

يرفعُها إلى المعتصم، تسألُه أن تأخُذَ ابنتها من إبراهيم، لأنها عربية، ولا يجوز أن تكون رقيقةً.

ولمحَها أحد أصدقاء إبراهيم عندَ عبد الوهابِ بنِ علي، فتخوَّفَ من وجودِها عنده، فأسرعَ إلى إبراهيمَ بن المهدي وقال له: إني رأيتُ أمَّ شاريةَ في دارِ عبد الوهاب، وهي مَن تعلمُ من خُبثها. وما عليكَ إلا أن تُحسِنَ التصرفَ فوراً. فقال إبراهيم لصديقه: أُشهدكَ أنَّ جاريَتي شاريةَ صدقَةٌ على ابنتي ميمونةَ. ثم أَشهَدَ ابنَهُ هبةَ الله على مثلِ ذلك.

وأمرَ بإحضارِ عددٍ من الشهود المعدَّلين عندَهُ، فحَضَرَ أكثَرُ من عشرين شاهداً. وأمرَ بإخراج شارية، فخرجَتْ. فقال لها: أَسْفِري، فجزعَتْ شاريةُ من طلبه. فأعْلَمها أنه إنما أمرَها بذلك لخيرٍ يريدُه بها، ففعلتْ: فقال لها: تَسَمَّيْ، فقالت: أنا شاريةُ أمَتُك. فقال للشهود: تأمَّلوا وَجْهَها، ففعلوا. ثم قال: فإني أُشْهِدُكم أنها حرَّةٌ لوجه الله تعالى، وأني قد تزوَّجْتُها، أَصْدَقْتُها عشرةَ آلافِ درهم. يا شاريةُ مولاة إبراهيم بن المهدي أرَضيتِ؟ قالت: نعم يا سيدي قد رضيتُ، والحمدُ لله بما أنعم عليَّ. فأمرَها بالدخول، وأطعمَ الشهودَ وطَيَّبَهم، وانصرفوا.

ولم يمضِ بعضُ الوقت حتى دخلَ إبراهيم بن علي، فأقرأ عمَّه سلامَ المعتصم، ثم قالَ له: يقولُ لك أمير المؤمنين: من المفترَضِ عليَّ طاعَتُك وصيانَتُك عن كلِّ ما يسوؤك، إذ

كنتَ عَمِّي، وصِنْوَ أبي. وقد رَفَعت إليَّ امرأةٌ من قريشٍ قصةً، ذكرتْ فيها أنها من بني زُهرة صَليبةً، وأنها أمُّ شارية، واحتجَّتْ بأنه لا تكونُ بنتُ امرأةٍ من قريش أمَةً. فإن كانتْ هذه المرأةُ صادقةً في أنَّ شاريةَ ابنتَهَا، وأنها من بني زُهرة، فمن المُحال أن تكونَ شاريةُ أمةً، والأشْبَهُ بك والأصلحُ إخراجُ شاريةَ من دارك، وسَتْرُها عندَ مَن تَثق به من أهلك، حتى نكشِفَ ما قالتْ هذه المرأةُ. فإن ثبتَ ما قالتْهُ أمرتُ من جعلتَها عندَه بإطلاقها، وكان في ذلك الحظُّ لك في دِينك ومُروءتك. وإنْ لم يصحَّ ذلك أعيدَتِ الجاريةُ إلى منزلك، وقد زالَ عنك القولُ الذي لا يليقُ بك ولا يحسُنُ.

فقال له إبراهيمُ: فَدَيتك، هَبْ أن شاريةَ بنتُ زهرةَ بنِ كلاب، أتُنكر على إبراهيمَ بنِ المهدي أن يكونَ بعلاً لها؟ فقال عبدُ الوهاب: لا. فقال إبراهيم: فأبلغْ أمير المؤمنين، أطالَ الله بقاءَه السلامةَ، وأخْبِره أن شاريةَ حُرَّةٌ، وأني قد تزوَّجْتُها بشهادة جماعةٍ من العدول.

ولما انصرفَ عبدُ الوهاب من عند إبراهيم، ابتاعَ إبراهيمُ من بنتهِ ميمونةَ شاريةَ بعشرةِ آلاف درهم، وستَرَ ذلك عليها. فكان عتقُه إياها وهي في مِلك غيرِه، ثم ابتاعَها من ميمونةَ، فحلَّ له فرجُها. فكان يَطَؤها على أنها أمَتُه، وهي تتوهَّمُ أنه يطؤها على أنها حرة. فلما تُوفي إبراهيم طلبتْ مشاركةَ أمِّ

محمدٍ بنتِ خالدٍ زوجتهِ في الثَّمن، فأظهرتْ لها خبرها.

وسُئلت ميمونةُ وهبةُ الله عن الخبر، فأخبرا به المعتصمَ. فأمر المعتصمُ بابتياعِها من ميمونة، فابتيعَتْ بخمسةِ آلافٍ وخمسِ مئةِ دينار، فحوِّلت إلى داره، فكانت في مِلكه حتى توفي. فاحترفَتْ بعده الغناء، فكانت أحسَنَ الناسِ غناءً إلى آخر خلافةِ الواثق.

المصادر:

- الأغاني - أبو الفرج: ١٦/ ٤.

زواج محمد بن بشير الخارجي[1]

قدمَ الخارجيُّ إلى البصرة فخطبَ عائشةَ بنتَ يحيى بنِ يعمر الخارجية. فأبتْ أن تَتَزوَّجه إلا أن يقيمَ معها بالبصرة، ويتركَ الحجاز. ويكونَ أمرُها في الفُرقة إليها، فأبى أن يفعلَ. وخاطبَ أباها يَحيى في ذلك، فقال له: إنها امرأةٌ بَرْزَة عاقلة، لا يُفتاتُ على مثلها بأمرها، وما عندَها عنكَ مِن رغبةٍ، ولكنها امرأةٌ في خُلقها شِدَّة، ولها غَيْرة. وقد بَلغني أنَّ لك زوجتين، وما أراها تصبرُ على أن تكون ثالثةً لهما. فانظر في أمرك وشاور فيه. فأما إن أقمتَ بالبصرة معها، فعفَتْ لك عن صاحِبَتيك، إذ لا مجاورة بينهما وبينها ولا عِشْرة. وإن شئتَ فارقْتَهما، وأُخْرِجُها معك.

فصار إلى رَحله مغموماً، وشاورَ ابنَ عم له في ذلك، فقال له: إنَّ في يحيى بن يعمر لرغبةً لثروتهِ وكثرةِ ماله، وما ذكرتَه من جمال ابنته. وما نحبُّ أن تفارقَ زوجَتَيك

(١) هو من بني خارجة بن عدوان، وكان شاعراً مداحاً وراثياً، عاش في وادي المدينة، ثم قدم البصرة في زمان الأمويين، وتزوج فيها غير واحدة، ثم طلقهنَّ وعاد إلى الحجاز.

ـ وكانت إحداهما ابنةَ عمِّه، والأخرى من أشجع ـ فتقيمَ معها السنةَ بالبصرة، ونَمضي نحن. فإن رغبتَ فيها تمسكتَ بها، وأقمتَ بمكانك، وإن رغبتَ في العَوْد إلى بلدك، كتبتَ إلينا فجئناك حتى تنصرف معنا إلى بلدك.

ففكرَ ليلَه أجمعَ في ذلك، ثم غدا عازماً على الرجوع إلى الحجاز.

المصادر:

ـ الأغاني ـ أبو الفرج: ١٠٢/١٦.

زواج خُلَيْدَةَ سِرًّا

خُلَيدةُ المكيةُ مولاةٌ لابن شَمَّاس، أخذتِ الغناءَ على أعلام الغناء في زمانها مثل مَعْبد وابن سُريج. وكانت إذا بدأتِ الغناءَ تَرك القومُ ما بين أيديهم من طعام وأقبلوا على الاستماعِ إليها. ومع أنها سوداءُ إلا أنها كانت معشوقَةً لدى عددٍ من فتيانِ مكةَ في العصر الأموي.

وكانَ من جملة مَن رغبَ الزواجَ بها محمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الله من نسل عثمانَ بن عفان. وقد أرسَلَ إليها مولاهُ أبا العَوْن يخطبُها عليه. فاستأذن فأذِنَتْ له وعليها ثيابٌ رِقاقٌ لا تستُرُها. وحين عرفَتْه وثبتْ مِن مكانِها فقالتْ: إنَّما ظننْتُك بعضَ سفهائِكَ. وسألبسُ ثيابَ مثلِكَ، ثم أخرجُ إليك.

ففعلَتْ وقالت: قلْ. قال: أرسَلني إليك مولايَ، وهو مَن تعلمينَ بينَ رسولِ الله ﷺ وبينَ عليٍّ وعثمانَ. وهو ابنُ عَمِّ أميرِ المؤمنين، يخطبُك. قالت: قد نسبْتَه فأبلغْتَ، فاسمَعْ نَسبي أنا، بأبي أنت.

إنَّ أبي بيعَ على غيرِ عَقدِ الإسلام ولا عَهْده، فعاشَ

عبداً، وفي رجلهِ قيدٌ، وفي عُنقه سلسلةٌ، وعلى الإباقِ[1] والسَّرقة. وَوَلدَتْني أمي على غيرِ رِشْدةٍ، وماتتْ وهي آبقةٌ. فأنا مَن تَعلم.

فإنْ أرادَ صاحبُك نِكاحاً مُباحاً أو زناً صُراحاً، فهلمَّ إليه، فنحنُ له. فقال: إنه لا يدخُلُ في الحرام. قالتْ: ولا يَنْبَغي له أن يستحييَ من الحلال. فقال: إنه يطلبُ حلالاً سِرًّا. فقالت: أمّا نكاحُ السرِّ فلا، واللَّهِ لا فعلتُهُ، ولا كنتُ عاراً على القيان.

قال: فأتيتُ محمداً فأخبرتُه، فقال: ويلك! أتزوَّجُها مُعْلناً وعِندي بنتُ طلحةَ بنِ عُبَيدِ الله! لا. ولكن ارجعْ إليها فقل لها تختلفُ إليَّ، أردِّدُ بَصري فيها، لعلِّي أَسْلو. فرجعتُ فأبلغتُها الرسالة، فضحكتْ وقالت: أمّا هذا فنَعَم، لسنا نمنَعُه.

المصادر:

- الأغاني - أبو الفرج: ١٦/ ١٩٠.

(١) العبد الآبق: الهارب من سيده.

زواج عثمان من نائلة

تزوَّجَ سعيدُ بنُ العاص، وهو أميرُ الكوفةِ في خلافةِ عثمانَ بنِ عَفَّان، هندَ بنتَ الفَرافِصَة بنِ الأحْوَصِ الكلبية. فبلغَ ذلك عثمَانَ، فكتبَ إليه: «بسم الله الرحمٰن الرحيم. أما بعدُ، فإنه قد بَلَغني أنك تزوَّجْتَ امرأةً من كلبٍ. فاكتُبْ إليَّ بِنَسَبها وجمالها».

فكتبَ سعيدٌ إليه: «أما بعدُ، فإنَّ نَسَبها أنها بنتُ الفرافصةِ بنِ الأحوص. وجمالَها أنها بيضاءُ مديدةُ القامةِ» فكتبَ إليه: «إنْ كانتْ لها أختٌ فزوِّجْنيها».

فبعثَ سعيدٌ إلى الفرافصةِ يخطبُ إحدى بناتهِ على عثمانَ. فأمرَ الفرافصَةُ ابنَه ضبًّا، وأمره أن يزوِّج أخته أمير المؤمنين، وكان ضبٌّ مسلمًا والفرافصةُ نصرانياً. فلما أرادُوا حَملها إليه قال لها أبوها: يا بُنَيَّة، إنكِ تَقْدَمين على نساءٍ من نساء قريش، هُنَّ أقدَرُ على الطِّيب منك، فاحْفَظي عني خَصْلتين: تكحَّلي، وتَطَيَّبي بالماء، حتى يكونَ ريحُكِ ريحَ شَنٍّ[1] أصابَه مَطر.

---

(١) الشن: القربة الخلق.

فلما حُملت كَرِهَت الغربةَ، وحزنتْ لفراقِ أهلها، فأنشأتْ مخاطبةً أخاها:

ألستَ تَرى يا ضَبُّ باللَّهِ أنَّني
مُصاحبةٌ نحوَ المدينةِ أرْكُبا؟

إذا قَطَعوا حَزْناً تَخُبُّ رِكابُهم
كما زعزعَتْ ريحٌ يَراعاً مُثَقَّبا[1]

لقد كان في أبناءِ حصنِ بنِ ضِمضَم[2]
لكَ الويلُ ما يُغْني الخباءَ المُطَنَّبا

فلما قَدِمَتْ على عثمانَ ﷺ، قعدَ على سريرِهِ، ووضَعَ لها سريراً حِيالَه. فجلسَتْ عليه، فوضَعَ عثمانُ قَلَنْسُوتَه، فبدا الصَّلعُ. فقال لها: يابْنَةَ الفرافصة، لا يَهُولَنَّك ما تَرَين من صلعي، فإنَّ وراءَه ما تُحبين. قالت: أمّا ما ذكرتَ مِن صَلعك فإني من نسوةٍ أحَبُّ أزواجِهِنَّ إليهنَّ السادةُ الصُّلع.

وقال لها: إمّا أن تقومي إليَّ، وإما أن أقومَ إليك. فقالت: واللَّهِ ما تجشَّمْتُ من جَنَباتِ السَّماوةِ أبعَدَ ممّا بَيْني وبَيْنك، بل أقومُ إليك. فقامَتْ، فجلسَتْ إلى جنبِهِ، فمسَحَ رأسَها، ودَعا لها بالبركة. ثم قالَ لها: اطْرَحي عنك رداءَكِ.

(١) الحزن: ما غلظ من الأرض. الخبب: ضرب من عدو الخيل. اليراع: القصب.

(٢) حصن بن ضمضم: من آباء نائلة.

فطرحَتْه، ثم قال لها: اطْرَحي خِمَارك. فطرحته، ثم قال لها: انْزَعي دِرْعَك. فنزعَتْه، ثم قال: حُلِّي إزارك. فقالت: ذلك إليك. فحلَّ إزارَها، فكانت مِن أحظى نسائهِ عندَه. ورافَقَتْه في حياتهِ، وخَلَّفت منه.

وفي يومِ الدار كادَتْ تَفْديهِ بِرُوحها؛ فحينَ جاءَ سَوادنُ بنُ حُمرانَ ليضرِبَ عثمانَ ـ ضرَبَه الله ـ أكبَّتْ عليه نائلةُ تَحميه بنفسها، واتَّقَتِ السيفَ بيدِها، فقطَعَ سَودانُ أصابِعَها. ثم ضربَ عثمانَ فقتَلَه. وقالت تبكيه:

ألا إنَّ خيرَ الناسِ بعدَ ثلاثةٍ
قتيلُ التُّجيبيِّ الذي جاءَ من مصر[1]

ومالِيَ لا أبكي وتَبكي قرابَتي
وقد ذهبتْ عنا فضولُ أبي عمرِو؟

وخَطبها قومٌ من قريش بعدَ مقتلِ عثمان، كما خَطبها معاويةُ. فدعَتْ بمرآةٍ فنظرتْ فيها، وكانَتْ من أحسنِ الناسِ ثَغراً. فأخذَتْ فِهْراً[2] فدقَّتْ به أسنانَها، فسالَ الدمُ على صَدرها، خوفَ أن ينظُرَ إليها أحدٌ، فيطلُبَها للزَّواجِ، فتَنْسَى عثمانَ. وقالت تخاطبُ نفسها:

(١) التجيبي هو كنانة بن بشر أحد قتلة عثمان، وقتل في مصر سنة ٣٨هـ.
(٢) الفهر: حجر ملءُ الكف، تدق به الطيوب.

أبَـى الـلّـهُ إلا أن تـكـونـي غـريـبـةً
بـيـثـربَ لا تـلـقَـيْـنَ أمًّـا ولا أبـا

ولم يُعْرف تاريخُ وفاتها. وقد أنجبتْ له ثلاثَ بناتٍ هنَّ: أمُّ خالد، وأروَى، وأمُّ أبان الصغرى.

المصادر:

- الأغاني: ١٦/٣٢٢.
- مروج الذهب ـ المسعودي: ٢/ ٣٥٥.
- الجوهرة ـ البُرّي التلمساني: ٢/١٧٨ و١٨٤.
- معجم البلدان ـ ياقوت، مادة يثرب.
- شاعرات عصر النبوة ـ محمد التونجي: ١٨٣.

زواج زينب من شُرَيح

حدَّثَ الشعبيُّ قال:

قال لي شُريح: يا شعبيُّ، عليكم بنساءِ بني تَميم؛ فانهُنَّ النساءُ. فقلتُ: وكيف ذاكَ؟ قال: انصرفتُ من جنازةٍ ذاتَ يوم مُظْهِراً[1]، فمررتُ بدورِ بني تميم، فإذا امرأةٌ جالسةٌ في سَقيفةٍ على وِسادةٍ، وتجاهَها جاريةٌ رُؤد[2]، ولها ذؤابةٌ على ظهرِها جالسةٌ على وسادةٍ. فاستسقيتُ فقالت لي: أيُّ الشرابِ أحبُّ إليك: النبيذُ، أم اللبنُ، أم الماءُ؟ قلت: أيُّ ذلك يتيسَّرُ عليكم. قالت: اسْقوا الرجلَ لبناً، فإني إخالُه غريباً.

فلما شربتُ نظرتُ إلى الجارية فقلت: مَن هذه؟ قالت: ابْنَتي. قلت: وممَّن؟ قالت: زينبُ بنتُ حُدَير، إحدى نساءِ بني تميم. قلتُ: أفارغَةٌ أم مشغولَةٌ؟ قالت: بل فارغَة. قلت: أتزوِّجينيها؟ قالتْ: نعم إن كنتَ كَفِيًّا، ولها عَمٌّ فاقْصُدْه.

فانصرفتُ فامتنعتُ منَ القائلةِ، وأرسلتُ إلى إخواني الأشرافِ فلان وفلان... فوافيتُ معهم صلاةَ العصر، فإذا

---

(١) مظهراً: سائراً في الظهيرة.

(٢) جارية رؤد: شابة حسنة.

عَمُّها جالسٌ، فسألني: أبا أميةَ، حاجَتُك؟ قلت: إليكَ. قال: وما هيَ؟ قلت: ذُكرتْ لي بنتُ أخيك زينبُ بنتُ حُدير. قال: ما بِها عنك رغبةٌ، ولا بكَ عنها مَقْصَر، وإنك لَنُهْزَة[١].

فتكلمتُ فحمدتُ الله جلَّ ذكرُه، وصلَّيتُ على النبيِّ ﷺ، وذكرتُ حاجتي. فردَّ الرجلُ علي وزوَّجَني، وباركَ القومُ لي. ثم نَهَضنا.

فما بلغتُ منزلي حتى ندمْتُ، فقلتُ: تزوجتُ إلى أغلظِ العربِ وأجفاها! فهممتُ بطلاقِها ثم قلتُ: أجمعُها إليَّ، فإن رأيتُ ما أحبُّ، وإلّا طلقتُها.

فأقمتُ أياماً، ثم أقبلَ نساؤها يُهادِينَها. فلما أُجْلستْ في البيت أخذتُ بناصِيَتها فبركتْ، وأخليَ البيتُ لي، فقلتُ: يا هذه، إنَّ منَ السُّنَّة إذا دخلتِ المرأةُ على الرجل، أن يصلِّيَ ركعتينِ وتُصَلي ركعتين، ويسألا الله خيرَ ليلَتِهما، ويتعوَّذا بالله من شرِّها. فقمتُ أصَلِّي ثم التفتُّ، فإذا هيَ خَلفي. وحين أنهيتُ صلاتي التفتُّ ثانية فإذا هيَ على فراشها تَنْتظرني. فدنوتُ منها ومددْتُ يدي، فقالت: على رِسلك[٢]. فقلتُ: إحدى الدَّواهي مُنِيتُ بها.

قالت: إنَّ الحمدَ لله أحمدُه وأستعينه، إني امرأةٌ غريبةٌ،

(١) نهزة: فُرصة.
(٢) على رسلك: تمهَّل.

ولا واللَّهِ ما سرتُ مسيراً قطُّ أشدَّ منه عليَّ. وأنتَ رجل غريبٌ لا أعرفُ أخلاقَك، فحدِّثني بما تحبُّ فآتيهِ، وما تكرَهُ فأنزجرُ عنه. فقلتُ: الحمدُ لله وصلَّى اللَّه على محمدٍ، قدمتِ خيرَ مَقْدم، قدمْتِ على أهلِ دارِ زوجِك سيدِ رجالِهم، وأنتِ سيدةُ نسائِهم. أحبُّ كذا، وأكرهُ كذا.

قالت: فأخبِرْني عن أَختانِك[1]، أتحبُّ أن يَزُوروك؟ قلتُ: إني رجلٌ قاضٍ، وما أحبُّ أن تَمَلُّوني.

قال: فبتُّ بأنعمِ ليلةٍ، وأقمتُ عندَها ثلاثاً، ثم خرجتُ إلى مجلسِ القضاء. فكنتُ لا أرى يوماً إلا هو أفضلُ منَ الذي قبلَه. حتى إذا كانَ عند رأسِ الحَوْل دخلتُ منزلي، فإذا عجوزٌ تأمرُ وتَنْهى، قلتُ: يا زينبُ، مَن هذه؟ فقالت: أمي فلانةُ. قلت: حَيَّاكِ اللَّهُ بالسَّلام. قالت: أبا أميةَ، كيف أنتَ وحالُكَ؟ قلتُ: بخيرٍ أحمدُ الله. وقالت: أبا أميةَ، كيف زوجُك؟ قلت: كخيرِ امرأة. قالت: إنَّ المرأة لا تُرى في حالٍ أسوأ خُلقاً منها في حالين: إذا حَظِيتْ عندَ زَوْجِها. وإذا ولدَتْ غلاماً. فإنْ رابَكَ منها رَيبٌ فبالسَّوط؛ فإنَّ الرجالَ واللَّهِ ما حازَتْ إلى بيوتِها شرًّا من الوَرْهاء[2] المتَدَلِّلة. قلت: أشهَدُ أنها ابنتُكِ؛ قد كَفَيْتِنا الرياضةَ، وأحسنتِ الأدبَ.

(١) الأختان: جمع ختن، وهو الصهر من قبل الزوجة.
(٢) الورهاء: الحمقاء.

وكانتُ في كلِّ حَوْلٍ تَأتينا، فتذكرُ هذا، ثم تنصرفُ. وما غضبتُ على زَوجتي قطُّ إلا مرَّةً، كنتُ لها ظالماً فيها؛ وذاكَ أني كنتُ ركعتُ ركعتَي الفجر، فأبصرتُ عَقْرباً، فعجِلْتُ عن قَتلها، فأكفأتُ عليها الإناءَ. فلما كنتُ عندَ الباب قلت: يا زينبُ لا تحرِّكي الإناءَ حتى أجيءَ. فعجلتْ فحرَّكَتِ الإناءَ، فضربَتْها العقربُ. فجئتُ فإذا هي تَلَوَّى. فقلتُ: ما لكِ؟ قالت: لَسَعَتْني العقربُ. فلو رأيْتَني يا شعبيُّ وأنا أعرُكُ أصبُعَها بالماءِ والملح، وأقرأ عليها المعوَّذَتينِ وفاتحةَ الكتاب.

وكان لي يا شعبيُّ جارٌ يقال له مَيْسَرة، فكان لا يزالُ يضربُ امرأته، فقلت:

رأيتُ رجالاً يضربونَ نساءَهُم
فشَلَّت يَميني يومَ أضربُ زينبا

أأضرِبُها في غيرِ جُرْمٍ أتتْ بهِ
إليَّ؟ فما عُذْري إذا كنتُ مُذْنبا!

فتاةٌ تزينُ الحَلْيَ إنْ هي حُلِّيَتْ
كأنَّ بِفيها المسكَ خالَطَ مَحْلَبا[1]

المصادر:

- الأغاني: ١٧/ ٢٢٠.

(١) المحلب (هنا): العسل، وهو في الأصل من القوابل.

زواج الأميرة بنت الجودي

هي ليلى بنتُ الجوديِّ بنِ عديِّ بنِ عمرِو بن أبي عمرِو الغسانيِّ، أحدِ ملوك الشام في عهدِ الخليفة أبي بكر الصديق. كانت ذاتَ جمالٍ ودلال، وكان لها بساط في قصرِها، لا تذهبُ إلى مكانٍ إلا مدَّ لها، ولا تَقْصد الكنيفَ إلا وهيَ تسيرُ عليه، وكان يُرْمى بينَ يدَيْها رُمّانتانِ من ذهبٍ تتلَهَّى بِهِما في طريقها لقضاءِ حاجَتِها.

وحينَ قدمَ عبدُ الرحمٰن بن أبي بكرٍ إلى الشام في تجارةٍ، رآها هناكَ على طِنْفِسَةٍ، وحولَها ولائد، فاسْتُهِيمَ بها وقال فيها:

يابنةَ الجوديِّ قلبي كئيبُ
مُستهامٌ عندها ما يُنيبُ

جاورتُ أخوالها حيَّ عكٍّ
فلعكٌّ من فؤادي نصيبُ

إنَّما أبلى عظامي وجسمي
حبُّها، والحبُّ شيءٌ عجيبُ

فسأله صاحبُه: مالكَ ولها يا عبدَ الرحمٰن! فقال: واللَّهِ ما رأيتُها قطُّ إلا ليلةً في بيت المقدس في جَوارٍ ونساءٍ يَتَهادَيْنَ. فإذا عثرتْ إحداهنَّ قالت: يابنةَ الجوديِّ، وإذا حلفَتْ إحداهنَّ حلفَتْ بابنةَ الجودي.

وحينَ بدأتِ الفتوحُ إلى الشام، وعلمَ أبو بكرٍ[1] نبأ حبِّ عبد الرحمٰن لابنةِ الجودي، كتبَ إلى صاحبِ الثَّغْر الذي هيَ به: إذا فَتَح الله عليكم دمشقَ، فقد غَنَّمتُ عبدَ الرحمٰن بن أبي بكر بنتَ الجودي. فلما فتحَ الله عليهم غَنَّموه إياها، فتزوَّجَها وطارَ بها لبُّه.

وقالت أختُه السيدة عائشة: فكنتُ أكلمُه فيما يصنعُ بها، فيقول: يا أُخَيَّهْ، دَعيني فواللَّهِ لكأني أرشُفُ مِن ثناياها حب الرمَّان.

ويُروى أنَّه لما فَتح الله ﷻ على المسلمين. وقتلوا أباها، أصابوها. فقال المسلمون لأبي بكر: يا خليفةَ رسولِ الله ﷺ أعطِ هذه الجاريةَ عبدَ الرحمٰن، فقد سَلَّمناها له. فقال أبو بكر: أكلُّكُم على هذا؟ قالوا: نعم، فأعطاهُ إياها.

لكنَّ عبدَ الرحمٰن اعتراهُ منها المللُ، وهانَتْ عليه لِما

(١) وروى أن عمر هو الذي نقل عبد الرحمٰن بنت الجودي.

عليها من أسًى؛ فكان إذا رجعَ إلى بيته رأى في عَينيها أثرَ البكاء فيسألها: ما يُبكيك؟ اختاري خِصالاً أيَّها شئتِ فعلتُ بك: إما أن أُعتقَكِ وأنكحكِ. فتقول: لا أشْتَهيه. وإن شئت رددتُكِ على قومِك، فتقول: ولا أريدُ. وإن أحببتِ ردذتُك على المسلمين. تقول: لا أريد. قال: فأخبريني ما يبكيكِ؟ قالت: أبكي الملكَ من يومِ البؤس.

وقالت عائشة: فكنتُ أكلمه فيما يُسيءُ إليها، كما كنتُ أكلمُه في الإحسان إليها. فكان إحسانُه أن ردَّها إلى أهلها. وذلك بعد أن علمتْ عائشة بحزن أخيها، وقالت: يا عبدَ الرحمٰن لقد أحببتَ ليلى فأفرطتَ، وأبغضتَ ليلى فأفرطت. فإما أن تُنْصفها، وإما أن تجهِّزَها إلى أهلها. فجهزها إلى أهلها.

المصادر:

- الأغاني: ١٧/٢٥٨.

زواج حاتم الطائي

قال معاويةُ لجلسائه: إني لأحبُّ أن أسمعَ حديثَ ماويَّةَ وحاتم. فقالَ رجلٌ منَ القوم: أفلا أحدِّثُكَ يا أميرَ المؤمنين؟ فقالَ: بلى.

قال: إنَّ ماويَّةَ بنتَ عَفْزَر كانت ملكةً، وكانتْ تتزوَّجُ مَن أرادتْ، وإنها بعثَتْ غِلماناً لها، وأمرتْهُم أن يأتوها بأَوْسَمِ مَن يجدونَه في الحيرةِ. فجاؤوها بحاتم، فقالتْ له: استَقْدِمْ إلى الفراشِ، فقال: حتى أخْبرَكِ. وقعَدَ على البابِ وقال: إني أنتظرُ صاحبينِ لي. فقالتْ: دونكَ اسْتَدْخِلِ المِجْمَرَ، فقال: اسْتي[1] لم تُعَوَّدِ المجمرَ، فأرسَلَها مثلاً. فارتابَتْ منه.

وسقَتْه خمراً ليسكَرَ، فجعلَ يُهَريقُه بالبابِ، فلا تراهُ تحتَ الليل. ثم قال: ما أنا بذائقِ قِرًى ولا قارٌّ حتى أنظُرَ ما فعلَ صاحبايَ. فقالتْ: إنا سنرسِلُ إليهما بِقِرًى. فقال حاتمٌ: ليس بنافعي شيئاً أو آتِيهما. فأتاهُما فقال: أتكونانِ عبدَيْنِ لابنةِ عَفْزَر، تَرعيان غَنَمها أحبُّ إليكما أم تَقْتلكما؟

(١) الاست: الدبر، وهمزتها همزة وصل.

فقالا: كلُّ شيءٍ يُشْبه بعضُهُ بعضاً، وبعضُ الشرِّ أهونُ من بعض. فقال حاتم: الرحيلَ والنجاةَ.

وذكروا أنَّ حاتماً دعَتْه نفسُه إليها بعد انصرافِه مِن عندِها، فأتاها يخطُبُها، فوجدَ عندها النابغةَ ورجلاً منَ الأنصار من النَّبيتِ[١]. فقالت لهم: انقلبوا إلى رِحالِكم، وليقُلْ كلُّ واحدٍ شعراً يذكرُ فيه فَعاله ومنصِبَه، فإني أتزوَّجُ أكرمَكم وأشْعركم. فانصرفوا ونحرَ كلُّ واحدٍ منهم جَزوراً. ولبستْ ماويةُ ثياباً لأمَةٍ لها، وتَبِعَتْهم. فأتتِ النبيتيَّ فاستطعَمَتْه من جَزورِهِ، فأطْعَمها ثِيلَ جملِهِ[٢]، فأخذتْهُ. ثم أتَتْ نابغةَ بَني ذُبيان، فاستطعمتْهُ فأطعَمَها ذنبَ جزورِهِ، فأخذتْه. ثم أتَتْ حاتماً، وقد نصبَ قدرَهُ، فاستطعَمَتْه. فقال لها: قِفي حتى أُعْطِيَك ما تَنْتَفعين به إذا صارَ إليك. فانتظرتْ فأطعَمَها قِطعاً من العَجُز والسَّنام، ومثلَها المِخْدَش وهو عند الحارك[٣]، ثم انصرفَتْ.

وأرسلَ كلُّ واحدٍ منهم إليها ظهرَ جملِهِ، وأهدى حاتمٌ إلى جاراتِها مثلَ ما أرسَلَ إليها. وصَبَّحوها فأنشدها النبيتيُّ قطعةً مطلعها:

(١) النبيت: قبيلة من الأنصار.
(٢) الثيل: وعاء قضيب البعير.
(٣) المخدش: كاهل البعير. الحارك: أعلى الظهر.

هَلاَّ سألتِ النَّبيتيِّينَ ما حَسَبي
عندَ الشتاءِ إذا ما هبَّتِ الريحُ؟

فقالت له: لقد ذكرتَ مَجْهدةً. ثم استنشدتِ النابغةَ، فأنشدها قطعةً مطلعها:

هلا سألتِ بَني ذبيانَ ما حَسَبي
إذا الدُّخانُ تَغَشَّى الأشمطَ البَرَما؟[1]

فقالتْ له: ما ينفكُّ الناسُ بخيرٍ ما ائتدموا. ثم قالت: يا أخا طيء أنشدني. فأنشدَها قصيدة طويلة مطلعها:

أماويَّ قد طالَ التجنُّبُ والهَجْرُ
وقد عَذَرَتْني في طِلابِكُمُ العُذْرَ
أماويَّ إنَّ المالَ غادٍ ورائحٌ
ويَبْقى منَ المالِ الأحاديثُ والذِّكْرُ

فلما فرغَ حاتمٌ من إنشادِهِ دعَتْ بالغَداءِ، وكانتْ قد أمرتْ إماءَها أن يقدِّمْنَ إلى كل رجلٍ منهم ما كانَ أطعمها، ولما وُضِع أمامَهم الطعامُ الذي أمرتْ به ماويةُ نكَسَ النبيتيُّ رأسَه وكذا فعل النابغةُ. فلما نظر حاتم إلى ذلك رمى بالذي قُدِّم إليهما، وأطعمهما مما قُدِّم إليه، فتسَلَّلا لِواذاً[2].

(١) الأشمط: الذي خالطه الشيب. البرم: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر.

(٢) اللواذ: التستُّر.

فلما خرجَ النبيتيُّ والنابغةُ قالت لحاتم: خَلِّ سبيلَ امرأتِكَ[١]. فأبَى، فزوَّدَتْه وردَّتْه. وبعدَ حينٍ ماتَتِ امرأتُه، فدعَتْه نفسُه إلى ماويةَ، فخطَبَها، فتزوَّجَتْه، فولدَتْ عَدِياً.

ومكثتْ ماويةُ عندَ حاتم زماناً. وإنَّ ابنَ عمٍّ لحاتم - واسمُه مالك - قال لها: مَا تَصْنعين بحاتم؟ فوالله لئنْ وَجَد شيئاً ليتلفَنَّهُ، وإن لم يجدْ ليتكلفَنَّ. وإنْ ماتَ ليتركنَّ ولدَهُ عِيالاً على قومِكِ. فقالتْ ماويةُ: صدقْتَ، إنه لكذلك.

وكان بعضُ النساء في الجاهلية يُطَلِّقْنَ الرجالَ. وكان طلاقُهُنَّ أنهنَّ إنْ كنَّ في بيتٍ من شعرٍ حوَّلْنَ الخباءَ؛ فإنْ كان بابُه قِبَلَ المشرقِ حوَّلْنَهُ قِبَلَ المغرب، وإنْ كان بابه قبلَ اليمن حوَّلْنَه قبلَ الشام. فإذا رأى الرجلُ ذلك علمَ أنها طَلَّقته، فلم يأتها.

وإنَّ ابنَ عمِّ حاتم قال لماويةَ: طَلِّقي حاتماً، وأنا أنكحُكِ وأنا خيرٌ لكِ منهُ، وأكثر مالاً. وأنا أُمْسِكُ عليك وعلى ولدك. فلم يزلْ بها حتى طلقَتْ حاتماً. فأتاها حاتم وقد حوَّلَتْ بابَ الخباء، فقال: يا عَدِيّ، ما تَرى أمَّك؟ عُدِيَ عليها؟ قال له: لا أدري، غير أنها غَيرتْ بابَ الخباء. وكأنَّه لم يفطنْ لِما قال. فدعَا ابنَه وهَبطا بطنَ الوادي. وأقامَ هناكَ ينتظرُ الفرَج.

وجاءَ قومٌ فنزلوا على بابِ الخباءِ كما كانوا يَنزلون. فأرسلَتْ ماويةُ جاريَتَها إلى مالكٍ وقالت: قولي له: إن أضيافاً لحاتم قد نَزَلوا بنا خمسينَ رجلاً فأرسِلْ بنابٍ[٢] نَقْرِهِم، ولبنٍ

(١) تريد: طلقها حتى أتزوجك.

(٢) الناب: الناقة المسنَّة. نقرهم: نكرمهم.

نَغْبِقُهم[١]. وقالتْ لجاريتها: انْظُري إلى جبينهِ وَفَمه، فإنْ شافَهَكِ بالمعروف فاقْبَلي منه، وإن ضربَ بلحيتَه على زَوْره، وأدخَلَ يدَهُ في رأسهِ، فاقْفُلي ودَعيه.

فلما أتتِ الجاريةُ مالكاً وجدتْهُ متوَسِّداً وَطْباً[٢] من لبنٍ، وتحتَ إبطهِ آخَرُ، فأيقظَتْه فأدخلَ يدَهُ في رأسه، وضربَ بلحيتهِ على زَوْره. فأبلغتْه ما أرسَلتها ماويةُ به، وقالتْ: إنَّما هيَ الليلةَ حتى يعلمَ الناسُ مكانَه. فقال لها: اقْرَئي عليها السلامَ، وقولي لها: هذا الذي أمرتُكِ أن تُطَلقي حاتماً فيه.. وما كنتُ لأنحرَ صفيَّةً[٣] غزيرةً بشحمِ كُلاها، وما عندي لبنٌ يكفي أضيافَ حاتم.

فرجعتِ الجاريةُ فأخبرَتْها بما رأتْ منه، وما قال. فقالتْ: ائتِ حاتماً في الوادي، فقولي: إن أضيافَكَ قد نزلوا الليلةَ بنا، ولم يعلموا بمكانك. فأرسِلْ إلينا بنابٍ ننحَرْها ونَقْرِهم، وبلبنٍ نَسْقِهم، فإنما هيَ الليلةَ حتى يعرفوا مكانَكَ.

فأتتِ الجاريةُ فصرخَتْ به. فأجابَها حاتم: لَبَّيْكِ، قريباً دَعَوْتِ. فقالتْ: إن ماوية تقرأ عليك السلام وتقولُ لك: إنَّ أضيافَكَ قد نزلوا بنا الليلةَ، فأرسِلْ إليهم بنابٍ نَنْحَرْها، ولبنٍ نَسْقِهم. فقالَ: نعم وأبي. ثم قامَ إلى الإبل فأطلقَ ثَنِيَّتَيْن من

(١) الغبوق: ما يشرب بالعشي. وغبقه: سقاه ذلك.

(٢) الوطب: سقاء اللبن من الجلد.

(٣) الصفية: الناقة الصغيرة.

عِقالَيْهما، ثم صاحَ بهما حتى أتى الخباءَ، فضربَ عَراقِيبَهما. فطفقَتْ ماويةُ تصيحُ وتقولُ: هذا الذي طلقْتُكَ فيه؟ وأعادته[1].

المصادر:

- الأغاني: ١٧/ ٣٨٠.
- ديوان حاتم.
- ديوان النابغة.

(١) يرى بعضهم أن معظم أقاصيص كرم حاتم موضوعة. وإنما نحن هنا نروي حكاية من حكايات زواج العرب.

زواج عبد الله بن جحش[1]

كان بالمدينة امرأةٌ يقالُ لها «صَبهاء»، من أحسنِ الناسِ وجهاً، وكانتْ من هُذَيل. فتزوَّجَها ابنُ عمٍّ لها، فمكثَ حيناً معها لا يقدِرُ عليها من شدَّةِ ارْتِتاقِها[2]. فأبغضَتْه وطالبَتْه بالطلاقِ، فطلَّقَها. ثم أصابَ الناسَ مطرٌ شديدٌ في الخريف، فسالَ العقيقُ سَيلاً عظيماً، وخرجَ أهلُ المدينة، وخرجَتْ صهباءُ معهم، فصادَفَتْ عبدَ الله بنَ جحش وأصحابَه في نزهةٍ، فرآها وافْتَرقا.

ثم مضَتْ إلى أقصى الوادي، فاستنقَعَتْ في الماء وقد تفرَّقَ الناسُ وخَفُّوا. فاجْتَازَ بها ابنُ جحش، فرآها فتهالَكَ عليها وهامَ بها. وكانَ بالمدينةِ امرأةٌ تدلُّ على النساءِ يقالُ لها «قُطْنة»، كانت تُدَاخِلُ القرشياتِ وغيرَهُنَّ. فلقِيَها عبدُ الله فقال لها: اخْطُبي عليَّ صهباءَ. فقالت: قد خَطَبَها عيسى بنُ طَلحةَ بنُ عُبيدِ الله وأجابوهُ، ولا أراهمُ يختارونَكَ عليه.

---

(١) عبد الله بن جحش الأسدي، صحابي قديم الإسلام، هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وكان من أمراء السرايا، وهو أخو زينب أم المؤمنين. قتل يوم أحد شهيداً، ودفن مع حمزة بن عبد المطلب في قبر واحد.

(٢) ارتتاقها: التحام فرجها.

فشَتَمها ابنُ جحشٍ وقال لها: كلُّ مملوكٍ له فهو حرٌّ، لَئِن لم تحتالي فيها حتَّى أتزوَّجَها، لأضربَنَّكِ ضربةً بالسيف ـ وكان مقداماً جسوراً ـ ففرِقَتْ منه، فدخلَتْ على صَهباء وأهلِها، فتحدَّثَتْ معهم، ثم ذكرت ابنَ عَمِّها، فقالت لعمةِ صهباء: ما بالُهُ فارقَها؟ فأخبرَتْها خبَرَها وقالت: لم يقدِرْ عليها، وعَجَز عنها. فقالت لها ـ وأسمعتْ صهباء: إنَّ هذا ليعتَرِي كثيراً من الرجال، فلا يَنْبغي أن تتقَدَّموا في أمرِها إلا على مَن تَختبرونه، وأمَا واللَّهِ لو كان ابنُ جحش لِصهباءَ لثقَبَها ثَقْبَ اللؤلؤ، ولو رُتِقت بحجرَ. ثم خرجتْ مِن عندِهم، فأرسلت إليها صهباءُ: مُري ابنَ جحشٍ فَلْيَخْطبني. فلقِيَتْه قُطنةُ، فأخبرتْه الخبرَ. فمضَى فخطبَها، فأنعمَتْ له[1]. وأبى أهلُها إلا عيسى بنَ طلحة، وأبتْ هي إلا ابنَ جحشٍ. فتزوَّجَتْه ودخلَ بها وافتضَّها، وأحبَّ كلُّ واحدٍ منهما صاحِبَه، فقال فيها:

نِعْمَ الضَّجيعُ إذا النجومُ تَغَوَّرت
بالغَوْر أُولاها على أُخراها

عَذْبٌ مُقَبَّلُها وثيرٌ رِدْفُها
عَبْلٌ شَواها[2] طيبٌ مَجْناها

(١) أنعمت له: قالت له: نعم.
(٢) الشوى: العضو من الإنسان.

صفراءُ يَطْويها الضَّجيعُ لجنبِها
طيَّ الحِمالةِ ليِّنٌ مَثْناها

يا دارَ صهباءَ التي لا أنْتَهي
عن ذِكْرِها أبداً ولا أنساها

المصادر:

- الأغاني: ١٧/٢١٢.
- الإصابة - ابن حجر: ترجمة ٤٥٧٤.
- حلية الأولياء - أبو نُعيم الإصبهاني: ١/١٠٨ و٥/١٢٠.

زواج لقيط بن زُرارة

كان زُرارةُ بنُ عُدُس رجلاً شريفاً من ساداتِ العرب في الجاهلية. نظرَ ذاتَ يوم إلى ابنهِ لقيط، فرأى منه خُيَلاءَ ونشاطاً، وجعلَ يضربُ غلمانَه وهو شابٌّ. فقالَ له زرارةُ: لقد أصبحتَ تصنعُ صَنيعاً كأنما جِئْتَني بمئةٍ من هِجانِ المنذرِ بنِ ماءِ السماء، أو نكحتَ بنتَ ذي الجدِّ بنِ قيس. فقالَ لقيطٌ: للَّهِ عليَّ ألا يمسَّ رأسي غَسْلٌ، ولا آكُلَ لحماً، ولا أشربَ خمراً، حتى أجمعَهما جميعاً، أو أموتَ.

فخرجَ لقيطٌ ومعه ابنُ خالٍ له يقالُ له القُراد بنُ إهاب، وكلاهما كان شاعراً شريفاً. فسارا حتى أتَيا بني شَيبانَ، فسلَّما على ناديهم، ثم قالَ لقيطٌ: أفيكُم قيسُ بنُ خالد ذو الجدَّين؟ وكان سيدَ ربيعةَ يومئذٍ. قالوا: نعم. قال: فأيُّكم هو؟ قال قيسٌ: أنا قيسٌ، فما حاجَتُك؟ قال: جئتُ خاطباً ابنَتَكَ ـ وكانتْ على قيس يمينٌ ألا يَخْطب إليه أحدٌ ابنتَه إلا أصابَه بشرٌ وسَمَّع به ـ فقالَ لهُ قيس: ومَن أنت؟ قال: أنا لقيطُ بنُ زُرارةَ بنِ عُدُس. قال قيسٌ: عجباً منك يا ذا القِصَّة! هَلّا كانَ هذا بَيْني وبينَكَ؟ قال: ولمَ يا عمُّ؟ فواللَّهِ إنك لَرُغْبة[1]،

(١) رُغبة: يرغب فيك الناس.

وما بي من نَضَاة[١]، ولئن ناجَيْتُك لا أخدَعُك ولئن عالنْتُكَ لا أفْضَحك. فأعْجَبَ قيساً كلامُه وقال: كفْء كريم، إني زوَّجْتك ومهرتُك مئةَ ناقةٍ ليس فيها مظائرُ[٢]، ولا نابٌ[٣]، ولا كَزوم[٤]، ولا نبيتُ عندنا عَزَباً ولا محروماً.

ثم أرسلَ إلى أمِّ الجارية أني قد زوجتُ لقيطَ بنَ زرارة ابنتي القَدورَ فاصْنَعِيها واضْرِبي لها ذلك البَلَقَ[٥]؛ فإنَّ لقيطَ بنَ زرارة لا يبيتُ فينا عَزَباً. وجلسَ لقيطٌ يتحدَّثُ معهم، فذكروا الغزْوَ، فقالَ لقيطٌ: أما الغزوُ فأرَدُّها لِلِّقاح وأَهْزَلُها للجمال. وأمّا المُقام فأسْمَنُها للجمالِ وأحَبُّها للنساء. فأعجبَ ذلك قيساً. وأمرَ لقيطاً فذهبَ إلى البَلَقِ فجلسَ فيه. وبعثتْ إليه أمُّ الجاريةِ بمجمرةٍ وبخورٍ، وقالت للجارية: اذهَبي بها إليه، فواللَّهِ لئن ردَّها مافيه خيرٌ، ولئن وَضَعها تحتَه ما فيهِ خير. فلما جاءَتْه بالمجمرةِ بخَّرَ شعرَهُ ولحيَتَهُ، ثم ردَّها عليها. فلما رجعتِ الجاريةُ إليها خَبَّرَتها بما صنَعَ، فقالت: إنه لخليقٌ للخير.

فلما أمسى لقيطٌ أُهديت الجاريةُ إليه. فمازَحَها بكلامٍ

(١) نضاة: عار.
(٢) مظائر: مشرومة الأنف.
(٣) الناب: المسنَّة من النوق.
(٤) الكزوم: التي ذهبت أسنانها هرماً.
(٥) البلق: الفسطاط.

اشمأزَّتْ منه، فنامَ وطرحَ عليه خميصَةً[١]، وباتَتْ إلى جنبه. فلما اسْتَثْقَل انسلَّتْ فرجَعَتْ إلى أمها. فانْتَبه لقيطٌ فلم يَرَها، فخرجَ حتى أتى ابنَ خاله قُراداً وهو في أسفلِ الوادي، فقالَ له: ارحلْ بعيرَكَ، وإياكَ أن يُسْمَعَ رغاؤها[٢].

فتوجَّها إلى المنذرِ بنِ ماء السماء، وأصبحَ قيسٌ ففقدَ لقيطاً فسكتَ، ولم يدرِ ما الذي ذهبَ به. ومضى لقيطٌ، حتى أتى المنذرَ فأخبرَهُ ما كانَ من قولِ أبيه وقولهِ. فأعطاهُ مئةً من هجائنهِ، فبعثَ بها مع قُرادٍ إلى أبيه زرارةَ، ثم مَضَى إلى كسرى، فكساه وأعطاهُ جواهرَ. ثم انصرفَ لقيطٌ مِن عند كسرى، فأتى أباهُ فأخبرَه خبرَهُ.

وأقامَ يسيراً، ثم خرجَ هو وقرادٌ حتى جاءا محلةَ بني شيبانَ، فوجَداهُم قدِ انْتَجعوا[٣]، فَخَرجا في طَلَبِهم، حتى وصلا إلى قيسِ بنِ خالد، فحكى له خبرَه. فجهزَ قيسٌ ابنَتَه. فلما أرادتِ الرحيلَ قال لها:

ـ يا بُنَيةُ كوني لزوجِكِ أمَةً يكنْ لكِ عبداً، وليكنْ أكثرُ طيبِكِ الماءَ، فإنَّكِ إنما يُذْهَبُ بك إلى الأعداءِ. وأراكِ إن ولدتِ فستلدِينَ لنا غيظاً طويلاً. واعْلمي أنَّ زوجَكِ فارسُ

(١) الخميصة: كساء أسود مربع له علمان.

(٢) البعير يطلق كذلك على الناقة، ولذا أسمى صوتها رُغاءً، وأنَّثَ الضمير.

(٣) انتجعوا: رحلوا.

مُضر، وأنه يوشِكُ أن يقتلَ أو يموتَ، فلا تَخْمشي عليه وجهاً، ولا تَحْلقي شَعراً.

فقالت له:

ـ أما واللَّهِ لقد ربَّيْتَني صغيرةً، وأَقْصَيْتَني كبيرةً، وزوَّدْتَني عند الفراقِ شرَّ زاد.

وارتحلَ بها لقيطٌ. فجعلتْ لا تمرُّ بحيٍّ من العرب إلا قالتْ: يا لقيطُ، أهؤلاءِ قومُك؟ فيقولُ: لا، حتى طلعتْ على محلَّةِ بني عبدِ الله بنِ دارم، فرأتِ القبابَ، والخيلَ العرابَ[1]، قالت: يا لقيطُ أهؤلاءِ قومُك؟ قال: نعم. فأقام أياماً يُطْعم وينحر، ثم بَنَى بها. فأقامتْ عندَه حتى قُتل يومَ جَبَلَة[2]. فبعثَ إليها أبوها أخاً لها فَحُملتْ. فلما ركبتْ بعيرَها أقبلتْ حتى وقفتْ على نادي عبدِ الله بنِ دارم، فقالت: يا بَني دارم، أوصيكم بالغَرائبِ خيراً، فواللَّهِ ما رأيتُ مثلَ لقيط، لم تخمِشْ عليه امرأةٌ وجهاً، ولم تحلق عليهِ شعراً. فلولا أني غريبةٌ لخمشتُ وحلقتُ. فحبَّبَ اللَّهُ بينَ نسائكم، وعادَى بينَ رِعائكم. فأثْنَوْا عليها خيراً.

ثم مضَتْ حتى قدِمَتْ على أبيها، فزوَّجها من قومه، فجعلَ زوجُها يسمعُها تذكر لقيطاً وتحزَنُ عليه، فقال لها: أيَّ

(١) الخيل العراب: خلاف البراذين، واحدها عربي.

(٢) يوم جبلة: يوم كان بين بني عبس وذبيان.

شيءٍ رأيتِ من لقيطٍ أحسنَ في عَينك؟ قالت: خرجَ يومَ دَجْنٍ[١]. وقد تطيَّبَ وشربَ، فطردَ البقرَ فصَرَع منها، ثم أتاني وبه نَضْحُ دماءٍ، فضَمَّني ضمَّةً، وشَمَّني شمَّةً، فليْتَني متُّ ثَمَّةَ. فلم أرَ منظراً كان أحسنَ من لقيط.

فمكثَ عنها. حتى إذا كان يومُ دجنٍ شربَ، وتطيَّبَ، ثم ركبَ، فطردَ البقرَ. ثم أتاها وبهِ نضحُ دم والطيبُ وريحُ الشراب، ثم قال لها: كيفَ ترينَ؟ أأنا أم لقيطٌ؟ فقالت: ماءٌ ولا كصَدّاءَ[٢]، ومَرعًى ولا كالسَّعْدان[٣]. وذَهَبَتْ مثلاً.

المصادر:

- الأغاني: ٢٢/١٩٥.

(١) يوم دجن: يوم مطر.
(٢) صدّاء: بئر طيبة الماء.
(٣) السعدان: أطيب المراعي للإبل.

زواج مُتَمِّم العبدي

روى متمِّمٌ العَبْدِيُّ خبرَ زواجِهِ، فقال:

خرجتُ من مكةَ زائراً لقبرِ النبيِّ ﷺ، فإني لَبِسُوقِ الجُحْفَة[1] إذا جُوَيريةٌ تسوقُ بعيراً، وتترنَّمُ بصوتٍ مليحٍ طيبٍ حلوٍ في هذا الشعر:

ألا أيُّها البيتُ الذي حِيلَ دونَهُ
بِنا أنتَ من بيتٍ وأهلُكَ من أهلِ

بِنا أنتَ من بيتٍ وحولَكَ لَذَّةٌ
وظِلّكَ لو يُسْطاعُ بالباردِ السَّهْلِ

ثلاثةُ أبياتٍ: فبيتٌ أحبُّهُ
وبيتانِ ليسا من هوايَ ولا شَكْلي

فسألتُها: لمن هذا الشعرُ يا جويريةُ؟ قالت: أما ترى تلكَ الكُوَّةَ المُوَقّاةَ بالكِلّةِ الحمراء؟ قلت: أراها. قالت: مِن هناك نهضَ هذا الشعرُ. قلت: أوَ قائلُه في الأحياء؟ قالتْ:

---

(١) الجحفة: قرية كانت على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، وهي ميقات أهل مصر والشام.

هيهاتَ، لو أنَّ لميِّتٍ أن يرجِعَ لطولِ غيبتهِ لكانَ كذلك.

فأعْجَبَني فصاحةُ لسانها، ورِقَّةُ ألفاظها. فقلتُ لها: ألكِ أبوان؟ فقالت: فقدْتُ خيرَهما وأجَلَّهما، ولي أمّ. قلت: وأين أمّكِ؟ قالت: منكَ بمرأى ومَسْمع. فإذا امرأةٌ تبيعُ الخرزَ على ظهرِ الطريقِ بالجحفة، فأتيتُها فقلتُ لها: يا أُمَّتاهُ، اسْتَمعي مني. وقالت لها: يا أُمَّه، فاسْتمعي مِن عمِّي ما يُلقيه إليكِ. فقالتْ: حَيّاكَ الله، هيهِ، هَل من جائيةٍ خبرٍ؟[1] قلت: أهذهِ ابنتُكِ؟ قالت: كذا كانَ يقولُ أبوها. قلتُ: أفتزوِّجينَها؟ قالت: ألعلَّةٍ رغبتَ فيها؟ فما هيَ واللَّهِ مَن عندَها جمال، ولا لها مال. قلتُ: لحلاوةِ لسانِها، وحسنِ عقلها. فقالت: أيُّنا أمْلَكُ بها؟ أنا أم هي بنفسِها؟ قلت: بل هيَ بنفسها. قالت: فإيّاها فخاطِبْ. فقلتُ: لعلها أن تَسْتَحيَ منَ الجواب في مثلِ هذا، فقالت: ماذاك عندها، أنا أخبَرُ بها.

فقلتُ: يا جاريةُ، أما تسمعين ما تقولُ أمُّك؟ قالت: قد سمعتُ. قلت: فماذا عندكِ؟ قالت: أوَ ليس حَسْبُكَ أن قلتَ: إني أَسْتَحي منَ الجواب في مثلِ هذا؟ فإن كنتُ أستحي في شيءٍ فلمَ أفعلُه؟ أتريدُ أن تكونَ الأعلى وأكونَ بساطَكَ؟ لا والله، لا يَشُدُّ عليَّ رجلٌ حِواءَهُ[2] وأنا أجدُ مَذْقَةَ لبنٍ[3]، أو

(١) تريد خبراً يجوب البلاد متنقلاً.
(٢) حواءه: ما يمتلكه.
(٣) المذقة: لبن مخلوط بالماء.

بقلَّةً أليِّنُ بها مِعايَ.

قال: فوردَ واللَّهِ عليَّ أعجبُ كلام على وجه الأرض. فقلتُ: أوَ أتزوَّجُكِ والإذنُ فيه إليك، وأُعطي اللَّهَ عهداً أني لا أقربُكِ أبداً إلا عن إرادَتِكِ؟ قالت: إذاً واللَّهِ لا تكونُ لي في هذا إرادةٌ أبداً، ولا بعدَ الأبدِ إنْ كانَ بعدَه بَعْد. فقلتُ: فقد رضيتُ بذلك.

فتزوَّجْتُها، وحملتُها وأمَّها معي إلى العراق. وأقامتْ معي نحواً من ثلاثين سنةً ما ضممتُ عليها حِوايَ قَطُّ. وكانت قد علقَتْ من أغاني المدينةِ أصواتاً كثيرةً، فكانت رُبَّما ترنَّمَتْ بها، فأشْتَهيها. فقلتُ لها يوماً: دَعيني من أغانيك هذه، فإنها تَبْعَثُني على الدنوِّ منك. فما سمعْتُها رافعةً صوتَها بغناءٍ بعدَ ذلك حتى فارقَتِ الدنيا. وإنَّ أمَّها عندي حتَّى السَّاعة.

المصادر:

- الأغاني: ٢٢/٣١٣.

زواج الحجاج من هند

زوَّج أسماءُ بنُ خارجةَ الفزاريُّ بنتَهُ هنداً منَ الحجاج بنِ يوسُفَ. فلما كانت ليلةُ أرادَ البناءَ بها قالَ لها أبوها أسماء: يا بُنَيَّةُ، إنَّ الأمهاتِ يؤدِّبْنَ البنات، وإنَّ أمَّك هَلكتْ وأنتِ صغيرة، فعليكِ بأطيبِ الطيبِ الماء، وأحسَنِ الحُسْنِ الكُحل. وإيَّاكِ وكثرةَ المُعاتبة؛ فإنها قطيعةٌ للودِّ، وإياكِ والغَيرةَ فإنها مفتاحُ الطلاق. وكوني لزوجِكِ أمَةً يكنْ لك عبداً، وأعْلمي أني القائل لأمِّك:

خُذي العفْوَ مني تَسْتَديمي مودَّتي
ولا تَنْطقي في سَورتي حينَ أغضبُ

ولا تَنْقُريني نَقْرَةَ الدُّفِّ مرَّةً
فإنكِ لا تَدْرينَ كيفَ المُغَيَّبُ

فإني وجدتُ الحبَّ في الصدرِ والأذَى
إذا اجْتَمعا لم يلبَثِ الحبُّ يذهَبُ

وكانت هندٌ امرأةً مجرِّبةً، قد تزوَّجَها جماعةٌ من أمراءِ العراقِ، ومنهم عبيدُ الله بنُ زياد، فقبلت من أبيها وصيَّتَهُ.

وكانَ الحجاجُ يصِفُها في مجلسه بكل خير. لكنَّ بعضَ الشعراء عَتَب على أسماء تزويجَها للحجاج فقالَ أحدُهُم:

جـزاكِ الله يـا أسـمـاءُ خـيـراً
كـمـا أرضـيـتَ فـيـشـلَـةَ[1] الأميـرِ

بـصـدغٍ قـد يـفـوحُ الـمـسـك مـنـه
عـلـيـه فـي مـثـل كـركـرةِ الـبـعـيـرِ[2]

إذا أخـذَ الأمـيـرُ بِـمِـشـعَـبَـيْـهـا
سـمـعْـتَ لـهـا أزيـزاً كـالـصَّـريـرِ

إذا لـقـحـتْ بـأرواحٍ تـراهـا
تـجـيـدُ الرَّهْـزَ مـن فـوق الـسـريـرِ[3]

وقد كان عبيدُ الله بن زياد أبا عُذرتها، فلما قُتل لبسَتْ قباءً، وتقلَّدَتْ سيفاً، وركبتْ فرساً لعبيدِ الله، وخرجَتْ حتى دخلتِ الكوفةَ ليس معها دليل. ثم كانت بعد ذلك أشدَّ خلقِ الله جَزَعاً عليه. ولقد قالت يوماً: إني لأشْتاقُ إلى القيامة لأرى وجهَ عُبيدِ الله بنِ زياد.

وكان زوجَها الثاني بشرُ بنُ مروانَ بنِ عبد الملك، فحين

(١) الفيشلة: رأس قضيب الذكر.
(٢) كركرة البعير: جزء من زور البعير كالقرص ناتىء عن جسمه يصيب الأرض إذا برك.
(٣) الرهز: التحرك عند المباشرة.

قدِمَ الكوفة دُلَّ عليها، فخَطَبها وتزوَّجها، فولدَتْ له عبدَ الملك بنَ بشر. وكان بشرٌ يَهْوى الشرابَ ويكتُمُ ذلك. وكان إذا صلى العصرَ خَلا في ناحيةٍ من دارِهِ ليسَ معه أحدٌ فيها إلا مَولاهُ «أعين». ولم تزلْ هندٌ تتجسَّسُ خبرَهُ حتى كشفتْ سِرَّه، فبعثتْ مولى لها فأحضَرَها أطيبَ شرابٍ، وأحدَّه، وأرقَّه، وأصْفاه وأعدَّت له ما يَشْتهي من ألوان الطعام.

وأرسلتْ إلى أخويها: مالكٍ وعُيينةَ فأتَياها، وبعثتْ إلى بشرٍ واعتلَّتْ عليه بعلَّةٍ، فجاءَها فوضعَتْ بينَ يديه ما أعدَّتْه، فأكلَ وشرب. وجعلَ مالكٌ يسقيه، وعُيينة يحدِّثه، وهندٌ تُريهِ وَجْهَها. ولم يزلْ في ذلك حتى أمسى. فقال: هل عندكم مِن هذا شيءٌ نعودُ عليه غداً؟ فقالت هند: هذا دائمٌ لك ما أردْتَه، فلزِمَها. وكان هدفُها أن تُرْضِيَ زوجَها، ويَبْقَى تحتَ عينيها.

وحين ماتَ بشرٌ خَلَفَ عليها الحجاجُ. ويُروى أنَّ الحجاج بعثَ إلى أسماءَ أبيها: إنَّ قَبيحاً بي مع بلاءِ أميرِ المؤمنين عندي، أن أقيمَ بموضعٍ فيه ابنا بشرٍ أخي عبدِ الملك لا أضُمُّهما إلي، وأتولَّى منهما مثلَ ما أتولَّى من وَلدي. وقال للرسول: فاسألْ هنداً أن تَطيبَ نفساً عنهما، وهَدفي أن أؤدِّبَهما.

وذهب الرسول ـ واسمُه أبو بُردةَ ـ إلى بيت أسماء،

واستأذنَ فأُذِنَ له، وكان أسماءُ وابنتُه هند يأكلان، وقال: فما رأيتُ وجهاً ولا كفاً ولا ذراعاً أحسنَ من وجهها وكفِّها وذراعها. وجعلتْ تُتْحِفُني وتضعُ أمامي ألوان الطعام. فقال لها أبو بردةَ: أما واللَّهِ لو علمتِ ما جئتُ من أجله يا هند لبكيتِ. فأمسكتْ يدها عن الطعام، وزالتِ الضحكةُ عن فمها. فقالَ له أسماء: قد منعْتَها الأكلَ فقُلْ لها ما جئتَ من أجله.

ولما أبلغْتُها طلبَ الحجاج بكَتْ، فلم أرَ واللَّهِ دموعاً قَطُّ سائلةً من محاجِرَ أحسنَ من دموعِها على مَحاجِرها. وقالت: نعم أُرْسِلُهما إليه، فلا أحدَ أحقُّ بتأديبهما منه. وقال أسماء: إنما عبدُ الملك بنُ بشرٍ ثمرةُ قلوبِنا، وقد أنِسْنا به، ولكنَّ أمرَ الأمير مطاع.

وعاد أبو بردةَ إلى الحجاج وأعلمَه جوابَها وبهاءَها وهيأتها، فقال له: فارجِعْ واخْطُبها عليَّ. قال أبو بردة: فرجعتُ وهما على حالهما. فلما دخلتُ قلتُ: إني جئت بغيرِ الرسالة الأولى. فقال أسماء: اذكُرْ ما أحببتَ. قلت: جئتُ خاطباً. قال: أعَلى نفسك؟ فما بنا عنك رغبةٌ. قال: لا، بل على مَن هو خيرٌ مني لها. وأعلمتُه ما أمرني به الحجاج. قال أسماء: ها هيَ تسمعُ ما أدَّيتَ. فسكتت، فقال أسماء: قد رضيَتْ، وقد زوجْتُها إياه.

ولما زوَّجَها أبوها قامت مُبادرةً، وعليها مطرفٌ. ولم تستَقِلّ قائمةً من ثقلِ عجيزتها حتى انثنَتْ ومالت لأحدِ شِقَّيْها من شحمها. وانصرفْتُ بذلك إلى الحجاج، فبعثَ إليها بمئة ألفِ درهم وعشرينَ تختاً من ثياب. وقيل: أرسَلَ إليها بثلاثينَ غلاماً، معَ كلِّ غلامٍ عشرةُ آلافِ درهم وثلاثينَ جاريةً، معَ كلِّ جاريةٍ تختٌ من ثيابٍ، وأمرَ لأبي بردةَ بثلاثينَ ألفاً وثياباً.

وأرسلَ الحجاج إليها: إني أكرهُ أن أبيتَ خِلْواً[1] ولي زوجَةٌ. فقالت للرسولِ: وما احتباسُ امرأةٍ عن زوجِها وقد مَلكها وآتاها كرامتَه وصَداقَها؟ فأصلحت من شأنها وأتَتْه ليلاً. فدخلتْ هندٌ في بيتٍ عظيم في أقصاه ستارةٌ. ولما دخلتْ سَلَّمت، فأومأ الحجاجُ إليها بقضيبٍ كانَ في يده. فجلسَتْ عندَ رجليهِ، ومكثتْ ساعةً وهو لا يتكلَّمُ. فضربَتْ بيدِها على فخذِهِ ثم قالت: ألَمْ تَبْعَدْ من سُوءِ الخلقِ ياحجاج؟ فتبسَّم وأقبلَ عليها، واستوى جالساً. فخرج مَن كان في البيتِ، وأُرخِيَتِ الستور.

ثم قدمَ الحجاج البصرةَ، فحملها معه. فلما بَنى قصرَهُ الذي يقال له: قصرُ الحجاج قال لها: هل رأيتِ قَط أحسَنَ من هذا القصر؟ قالت: ما أحسَنَه! قال: اصْدُقيني. قالتْ: أمّا إذْ أبيتَ، فواللَّهِ ما رأيتُ أحسَنَ من القصرِ الأحمرِ، وكانَ فيه

(١) خلواً: لا زوجة معه.

عبيدُ اللَّه بنُ زياد، وكان دارَ الإمارةِ بالبصرة، وكان ابنُ زياد بناهُ بطينٍ أحمر. فغضبَ الحجاجُ من هندٍ بما قالَتْه وطلَّقَها. وبعثَ إلى القصرِ الأحمر فهدَمَه وبناهُ بلبن.

وخرجَ الحجاجُ يوماً ومعه محمدٌ المخزوميُّ، يعودُ عبدَ الملك بنَ بشر. وانتظرَهُ المخزوميُّ بالباب، حتى إذا خرجَ قال له: يا محمدُ، ويحَكَ! رأيتُ هنداً الساعَةَ، فما رأيْتُها قط أجملَ ولا أشَبَّ منها حينَ رأيتُها. وما أنا بِمُمْسٍ حتى أراجِعَها. فقال له: أصلحَ الله الأمير، امرأةٌ طلقْتَها على عَتْب، يَرى الناسُ أن نفسَكَ تَتْبَعُها، وتكونُ لها الحجةُ عليك. قال: صدقْتَ، الصبرُ أحْجَى.

قال محمدٌ المخزوميُّ: واللَّهِ ما كانَ مني ما كان نظراً ولا نصيحةً، ولكني أنِفْتُ لرجلٍ من قريش أن تُداسَ أمُّه في كلِّ وقت.

المصادر:

- الأغاني: ٢٠/٣٦٣.

زواج المتجرّدة

هي هندٌ بنتُ المنذرِ بنِ الأسودِ الكلبيَّةُ، كانت عندَ ابنِ عمٍّ لها يُقال له «حُلْم»، وهو الأسودُ بنُ المنذرِ الكلبيُّ، وكانت أجملَ أهلِ زمانها، فرآها المنذرُ بنُ المنذرِ ملكُ الحيرة فعشِقَها. فجلسَ ذاتَ يوم على شَرابهِ ومعه حلمٌ وامرأتُه المتجردَةُ. فقالَ المنذرُ لحلم: إنه لقبيحٌ بالرجل أن يقيمَ على المرأةِ زماناً طويلاً، حتى لا يَبْقى في رأسه ولا لحيتهِ شعرةٌ بيضاءُ إلا عرفتها، فهل لك أن تطلِّقَ امرأتَكَ المتجردةَ وأطلقَ امرأتي سَلمى، ويتزوجَ كلُّ واحدٍ زوجَةَ الآخر؟ قال: نعم.

فأخذَ كلُّ واحدٍ منهُما على صاحبهِ عِهداً. فطلقَ المنذر امرأتَه سلمى، وطلقَ حلمٌ امرأتَه المتجرِّدة. فتزوَّجَها المنذرُ، ولم يَسْمح لسلمى أن تتزوجَ حلماً وحَجَبها، وسَلمى هذه أمُّ ابنهِ النعمانِ بنِ المنذر.

ثم ماتَ المنذرُ بنُ المنذر، فتزوَّجَها بعدَهُ ابنُه النعمان. وكان قصيراً دميماً أبرشَ. وكان ممن يجالسُه ويشربُ معه النابغةُ الذبيانيُّ ـ وكان جميلاً عفيفاً ـ والمنخَّلُ اليَشْكُريُّ، وكان يُتَّهم بالمتجردة. فأمّا النابغةُ فإنَّ النعمانَ أمرَهُ بوصْفِها، فقالَ قصيدتَه التي مطلعُها:

مِـن آلِ مـيَّـةَ رائـحٌ أو مُـغْـتـدي
عـجـلانَ ذا زادٍ وغـيـرَ مـزوَّدِ

ووصفَها فأفحشَ فقال:

وإذا طعنتَ طعنتَ في مُـتَـهْـدِفٍ
رابي الـمِـجَـسَّـةِ بـالـعبيرِ مُـقَـرْمَـدِ[1]

وإذا نزعْتَ نزعتَ عن مُـتـحـصـفٍ
نـزعَ الـحَـزَوَّرِ بـالـرِّشـاءِ الـمُـحْـصَـدِ[2]

فغارَ المتنخلُ من النابغةَ، ولعله أرادَ أن يُبعِدَ الشُّبْهَةَ عن نفسهِ فقال: هذه صفةُ مُعاينٍ. فهمَّ النعمانُ بقتلِ النابغةِ، لكنَّه أفلتَ منه وهرب. وخَلا المتنخلُ بمجالسةِ النعمان. وكانَ يَهْوى المتجردةَ وتَهواهُ، وقد ولدت للنعمانِ غلامينِ جميلينِ يُشبهانِ المتنخل، وكانت العربُ تقول: إنهما منه.

وخرجَ النعمانُ مُتَصَيِّداً، فبعثتِ المتجردةُ إلى المتنخل، فأدخلتْهُ قُبَّتَها، وجعلا يشربان، فأخذت خلخالها، وجعلتْه في رجلهِ، وأسدلَتْ شعرها فشدَّت خَلخالها إلى خَلخاله الذي في رِجلهِ، من شدَّةِ إعجابها به. ودخلَ النعمانُ بعقبِ ذلك، فرآها على تلك الحالِ. فأخذَه فدفعَه إلى رجل من حرسهِ وأمره

(١) مقرمد: مطليّ، يصف فرجها.

(٢) متحصف: قليل البلولة ضيق. الحزور: الرجل القوي. المحصد: الحبل الشديد الفتل.

بِقَتْله، وأَخْفى وجودَه.

وكان المتنخِّلُ شاعراً جميلاً، وقال في المتجردة شعراً غزلياً كثيراً، من ذلك قولُه:

ولـقـد دخـلـتُ عـلـى الـفـتـا
ةِ الـخـدرَ فـي الـيـوم الـمـطـيـرِ

الـكـاعـبِ الـخـنـسـاءِ[1] تَـرْ
قُـلُ فـي الـدِّمَـقْـسِ وفـي الـحـريـرِ

دافَـعْـتُـهـا فـتـدافَـعَـتْ
مـشـيَ الـقـطـاةِ إلـى الـغـديـرِ

ولـثـمـتُـهـا فـتـنـفَّـسَـت
كـتـنـفُّـسِ الـظـبـيِ الـبـهـيـرِ[2]

ورنـتْ وقـالـت: يـا مـنَـخْـ
ـخَـلُ هـل بـجـسـمِـكَ مِـن فُـتـورِ؟

مـا مـسَّ جـسـمـي غـيـرُ حُـبْـ
ـبِـكِ فـاهـدئـي عـنـي وسـيـري

يـا هـنـدُ هـل مـن نـائـلٍ
يـا هـنـدُ لـلـعـانـي الأسـيـرِ؟

---

(١) الخنساء: ذات الأنف المرتفع في أرنبته.

(٢) البهير: المتتابع الأنفاس.

وأُحِبُّهـا وتُحِبُّني
ويحبُّ ناقَتَها بعيري

ولقد شربتُ منَ المدا
مةِ بالكبير وبالصغيرِ

فإذا سكرتُ فإنني
ربُّ الخَوَرْنَقِ والسَّديرِ[1]

وإذا صحوتُ فإنني
ربُّ الشُّوَيْهَةِ والبعيرِ

المصادر:

- الأغاني: ٢١/١.
- أخبار النساء - ابن قيم الجوزية: ١٦٤.

(١) الخورنق والسدير: قصران للنعمان، والكلمتان فارسيتان.

زواج مُسَيْلِمَةَ الكذّاب

ادَّعَتْ سجاحِ التميميةُ النبوةَ بعدَ وفاةِ رسولِ الله ﷺ، واجتمعتْ عليها بنو تَميم. فكان فيما ادَّعَتْ أنه أُنْزل عليها: «يا أيُّها المؤمنون المتقون، لنا نصفُ الأرضِ، ولقريشٍ نصفُها، ولكن قريشاً قومٌ يَبْغون». وكان مؤذنَها شبيبُ بنُ ربعيّ الرياحيُّ.

فعمدتْ في جيشها إلى مسيلمةَ الكذابِ وهو باليمامةِ، وقالتْ: «يا معشرَ تميم، اقْصُدوا اليمامةَ، فاضْرِبوا فيها كلَّ هامَةٍ، وأَضْرِموا فيها ناراً مِلْهامَةَ. حتى تَتْركوها سوداءَ كالحمامة».

وقالت لبني تميم: إنَّ الله لم يجعلْ هذا الأمرَ في ربيعةَ، وإنما جعلَهُ في مضر، فاقْصدوا هذا الجمعَ، فإذا فَضَضْتُموه كررتُم على قريش. وكانتْ تريدُ مقاتلةَ أبي بكر. فسارَتْ في قومها وهم الدُّهْمُ[1] الدَّاهِمُ. فخافها مسيلمةُ وهابَ ضخامةَ جيشها، فضاقَ بها ذَرْعاً، وتحصَّنَ في حجرِ حصنِ اليمامة.

---

(١) الدهم: العدد الكثير.

وجاءتْ جيوشُها فأحاطَتْ به. فأرسلَ مسيلمةُ إلى وجوهِ قومهِ وقال: ما تَرَوْن؟ قالوا: نَرى أن نسلِّمَ هذا الأمرَ إليها وتَدَعَنا، فإنْ لم نفعلْ فهو البَوارِ[١].

وكان مسيلمةُ ذا دهاءٍ، فقالَ: سأنظرُ في هذا الأمر. ثم بعثَ إليها: إنَّ الله تبارك وتعالى أنزلَ عليكِ وحياً، وأنزلَ عليَّ. فهلُمِّي نجتمعْ، فنتدارَسْ ما أنزلَ الله علينا، فمن عرفَ الحقَّ تبعَهُ، واجتمعنا فأكَلْنا العربَ أكلاً بِقَومي وقَومك.

فبعثتْ إليه: أفعلُ. فأمر مسيلمةُ بقُبَّةِ أدم فضربتْ، وأمرَ بالعودِ المَنْدلي[٢] فسُجِر فيها، وقال: أكثِرُوا من الطيبِ والمِجْمَر[٣]؛ فإنَّ المرأةَ إذا شَمَّتْ رائحةَ الطيب ذكرتِ الباهَ. ففعلوا ذلك.

وجاءها رسولُه يخبرُها بأمرِ القبةِ المضروبةِ للاجتماع. فأتَتْه فقالت: هاتِ ما أنزِلَ عليك. فقال: «ألم ترَ كيف فعلَ ربُّكِ بالحبْلى، أخرجَ منها نطفةً تَسْعى، بينَ صفاقٍ[٤] وحَشا، من بينِ ذكرٍ وأنثى، وأمواتٍ وأحيا، ثم إلى ربِّهم يكونُ المُنْتَهى». قالت: وماذا؟ قال: «ألم تَرَ أن اللَّه خلقنا أفواجاً، وجعلَ النساءَ

(١) البوار: الهلاك.
(٢) المندلي: العود المطرى بالمسك والعنبر، منسوب إلى قرية مندلي بالهند.
(٣) المجمر: ما يوضع فيه الجمر.
(٤) الصفاق: الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر.

لنا أزواجا، فنولِجُ فيهنَّ الغراميلَ إيلاجا، ونُخرجُها منهنَّ إذا شئنَ إخراجاً». قالت: فبأيِّ شيءٍ أمرَك؟ قال:

ألا قـومـي إلـى الـنِّـيـاكِ
فـقـد هُـيِّـئ لـك الـمـضـجَـعْ

فـإنْ شِـئـتـي[1] فـفـي الـبـيـتِ
وإن شـئـتـي فـفـي الـمَـخْـدَعْ

وإن شـئـتـي سَـلَـقْـنـاكِ[2]
وإن شِـئـتـي عـلـى أربَـعْ

وإن شـئـتـي بـثـلـثـيـهِ
وإن شـئـتـي بـه أجـمـعْ

فقالت: لا، إلّا به أجمع. قال: كذا أوحَى الله إليَّ. فواقَعَها. فلما قامَ عنها قالت: إنَّ مثلي لا يَجْري أمرُها هكذا، فيكون وصمةً على قومي وعليَّ، ولكني مسلِّمةٌ النبوة إليك، فاخْطُبْني إلى أوليائي يزوِّجوك، ثم أقودُ تميماً معك.

فخرجَ وخرجَتْ معه، فاجتمع الحيانِ من حنيفةَ وتميم. فقالتْ لهم سجاحِ: إنه قرأ عليَّ ما أنزلَ عليه، فوجدْتُه حقاً ـ وكانتْ على علمٍ بكتبِ النصارى من بني تغلب ـ فاتَّبَعْتُه. ثم

(١) وصل تاء الفاعل بالياء، لهجة ربيعة.

(٢) سلقها: بسطها فجامعها.

خَطبها فزوَّجوه إياها، وسألوهُ عن المهرِ، فقال: قد وضعتُ عنكم صلاةَ العصر. وظلَّ بنو تميم قروناً لا يُصَلونها ويقولون: هذا حقٌّ لنا، ومهرُ كريمةٍ منا لا نردُّه.

وحينَ بلغَها مقتل مسيلمةَ أسلمتْ، واستقرَّتْ في البصرة حيث تُوفيتْ سنة ٥٤هـ.

المصادر:

- الأغاني: ٢١/ ٣٢.
- تاريخ الطبري: ٢/ ٢٣٩.
- معجم أعلام النساء - محمد التونجي: ١٠٢.

زواج فاطمة بنت الحسين

خطبَ الحسنُ بنُ الحسنِ إلى عمِّه الحسينِ عليه السلام، وسألَهُ أن يزوِّجَه إحدى ابْنَتَيه. فقالَ له الحسينُ: اخْتَرْ يا بُنَيَّ أحَبَّهما إليك. فاسْتَحيا الحسنُ ولم يُحِرْ جواباً. فقال له الحسينُ: فإني اخترتُ منهما لكَ ابْنَتي فاطمةَ؛ فهيَ أكثرُ شبهاً بأمي فاطمة بنتِ رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولما حضرتِ الحسنَ الوفاةُ جزعَ، وجعلَ يقولُ: إني لأجدُ كَرْباً، ليسَ هو كربُ الموتِ. وأعادَ ذلك دفعاتٍ. فقالَ له بعضُ أهلهِ: ما هذا الجزعُ؟ تُقْدِمُ على لقاءِ رسول الله صلى الله عليه وآله وهو جدُّك، وعلى عليٍّ والحسنِ والحسينِ عليهم السلام وهُم آباؤك؟! فقال: لَعَمري إنَّ الأمرَ لكذلك، ولكنْ كأني بعبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ عثمانَ حين أموتُ، وقد جاءَ في مُضَرَّجَتين[1] وهو يرجِّل جُمَّتَه يقول: أنا من بَني عبدِ منافٍ، جئتُ لأشهدَ ابنَ عمي، وما بهِ إلا أن يخطبَ فاطمةَ بنتَ الحسينِ زوجتي. فإذا جاءَ فلان فلا يُدْخَلْ علي.

(١) المضرجة: الثوب المصبوغ بالأحمر.

فصاحتْ زوجتُه فاطمةُ: أتسمعُ؟ قال: نعم. قالت: أعتقتُ كلَّ مملوكٍ لي، وتصدَّقْتُ بكلِّ مِلْكٍ لي إنْ أنا تزوجتُ بعدكَ أحداً أبداً. فسكنَ الحسنُ وما تنفَّسَ ولا تَحرَّكَ حتى قَضَى.

فلما ارتفعَ الصياحُ أقبلَ عبدُ الله على الصِّفَة التي ذكرها الحسنُ، فقال بعضُ القوم: نُدْخله، وقال بعضُهم: لا يَدْخل، وقال قوم: لا يضرُّ دخولُه، فدخل وفاطمةُ تصكُّ وجهها. فأرسَل إليها وصيفاً كانَ معه، فجاء يتخطَّى الناسَ حتى دَنا منها فقال لها: يقولُ لكِ مولايَ عبدُ الله: أَبْقِي على وجهِكِ فإنَّ لنا فيه أَرَباً. فأرسلتْ يَدَها في كُمِّها واخْتَمَرتْ، وعُرف ذلك منها، فما لَطَمتْ وَجْهَها حتى دُفِن الحسن.

فلما انقضَتْ عِدَّتُها خَطبها، فقالت له: فكيفَ لي بِنَذْري ويَميني؟ فقال: نُخْلِفُ عليك بكلِّ عبدٍ عبدينِ، وبكلِّ شيءٍ شيئين، ففعلَ فتزوَّجَتْه. وقيل: إنَّه لمّا خَطبها أَبَتْ أن تتزوَّجَه، فحلفَتْ عليها أُمُّها لتتزوَّجَنَّه. وقامتْ في الشمسِ، وآلَتْ لا تَبْرَحُ حتى تُوافِقَ. فكرهَتْ فاطمةُ أن تُحْرَجَ، فتزوَّجَتْه.

وقد قيلَ: إنَّ كلَّ حُسنٍ انْتَهى إلى عبدِ الله بن الحسن، وكان يقال: مَن أحسَنُ الناس؟ فيقال: عبدُ الله بنُ الحسن. ويقال: مَن أفضلُ الناس؟ فيقال: عبدُ الله بنُ الحسن. وكان عبدُ الله يقول عن نفسه: أنا أقربُ الناسِ إلى رسول الله ﷺ؛

وَلَدَتْني بنتُ رسولِ الله ﷺ مرتين[١] وقد كانَ شيخَ أهلِهِ، وسيداً من ساداتِهم، ومُقَدَّماً فيهم فضلاً وعلماً وكرماً.

وحين زار الحسنَ بنَ الحسنِ جده أبو أمه منظورُ بنُ زَبّان الفزاري قال له: لعلك أحدثتَ بعدي أهلاً؟ قال: نعم، تزوجتُ بنتَ عمي الحسين بن علي. قال: بئسما صنعتَ، أما علمتَ أن الأرحامَ إذا التقَتْ أضْوَتْ[٢]؟ كان يَنْبغي أن تتزوَّجَ في الغُرُب. قال: فإنَّ الله قد رَزَقني منها ولداً. قال: أرنيهِ. فأخرجَ إليه عبدَ الله بنَ الحسن، فسُرَّ به وقال: أنجبتَ، هذا واللَّهِ ليثٌ غاب.

المصادر:

- الأغاني: ٢١/١١٥.

(١) أي أنه ينتسب إلى رسول الله ﷺ من جهتين.

(٢) أضوت: دَقَّت وضعفت.

زواج هند من عبد الله

زوَّج عبدُ الملك ابنَه عبدَ الله هنداً بنتَ أبي عبيدة. ولما ماتَ عنها عبدُ الله رجعتْ هندٌ بميراثِها من زوجها، وكان مالاً كثيراً. فقال عبدُ الله بنُ الحسن لأمِّه فاطمة: اخْطبي عليَّ هنداً. فقالت: إذنْ تَرُدَّك، أتطمعُ في هندٍ وقد ورثتْ ما وَرِثَته، وأنت تَرِبٌ لا مالَ لك؟ فتركَها وذهبَ إلى أبي عبيدةَ أبي هندٍ، فخطبَها إليه، فقال: في الرُّحْبِ والسَّعة، أمّا مِنِّي فقد زَوَّجْتُك، مكانَكَ لا تبرحْ حتَّى أسألها.

ودخلَ أبو عبيدةَ على هندٍ فقالَ: يا بُنيةُ، هذا عبدُ الله بنُ الحسن أتاكِ خاطباً. قالت: فما قلتَ له؟ قال: زوَّجْتُه. قالت: أحسنتَ، قد أجزتُ ما صنعتَ. وأرسلتْ هندٌ إلى عبدِ الله: لا تبرحْ حتى تدخُلَ على أهلك.

فتزيَّنَتْ له، فباتَ بها معرِّساً من ليلتهِ، ولا تشعُرُ أمُّه. فأقام سبعاً، ثم أصبَحَ يومَ سابعهِ غادياً على أمِّه، وعليه رَدْعُ الطِّيب[1]، وفي غيرِ ثيابهِ التي تَعرفُ، فقالت له: يا بُنيَّ، من أينَ لك هذا؟ قال: من عندِ التي زعمتِ أنها لا تريدُني.

المصادر:

- الأغاني: ٢١/١٢٥.

---

(١) الردع: أثر الطيب في الجسد.

زواج إبراهيم المَوْصِليّ

إبراهيمُ الموصليُّ أحدُ أعلام الغناءِ والموسيقا في عصرِ هارونَ الرشيدِ ومن بعدَه من الخلفاء، رَوى قصتَه فقال:

أتيتُ الفضلَ بنَ يحيى ـ أحدَ أعيانِ العصر من البرامكة ـ فقلتُ له: يا أبا العباسِ، جُعلتُ فداكَ. هَبْ لي دراهمَ، فإنَّ الخليفةَ قد حبَس يدَه عني. فقال الفضلُ: ويحكَ يا أبا إسحاق! ما عندي مالٌ أرضاهُ لك. ولكنْ جاءنا رسولُ صاحِب اليمن فقضَيْنا حوائجَه، ووجَّهَ إلينا بخمسينَ ألفَ دينارٍ يَشتري لنا بها مَحَبَّتَنا، فما فعلتْ ضياءُ جاريتُك؟ قلت: هي عندي جُعلتُ فداكَ! قال: فهو ذا، أقولُ لهم يَشْترونها منكَ لي، فلا تَنْقُصْها مِن خمسينَ ألفَ دينار.

فقبلتُ رأسَه وانصرفتُ. فبكَّر عليَّ رسولُ صاحبِ اليمن فقال: جاريتُك ضياءُ عندك؟ فقلتُ: عندي. فقال: فاعْرِضْها عليَّ. فأخرجْتُها، فقالَ: بكم؟ قلتُ: بخمسينَ ألفَ دينارٍ، ولا أنقصُ منها ديناراً واحداً، وقد أعطاني الفضلُ بنُ يحيى أمسِ هذه العطيةَ، فقال الرسولُ: أريدُها له. فقلت: أنتَ أعلمُ، إذا اشتريْتَها فصَيِّرها لمن شئتَ. فقال لي: هل لك في ثلاثينَ ألفَ

دينار مُسَلَّمةً لك؟ وكان شراءُ الجارية في الأصل على أربع مئة دينار. فلما وقعَ في أُذني ذكرُ ثلاثين ألفاً أُرتجَ عليَّ، ولحقَني زَمَعٌ[١]، وأغراني مُرافقُه بالبيع. وخفتُ واللَّهِ أن يحدُثَ بالجاريةِ حدثٌ، أو بي، أو بالفضل بن يحيى، فسلمتُها وأخذتُ المال.

ثم بكرتُ على الفضل بن يحيى، فإذا هو جالسٌ وحدَهُ. فلما نظرَ إلي ضحكَ، ثم قال لي: يا ضَيِّقَ الحَوْصلة[٢]، حَرَمْتَ نفسَك عشرينَ ألفَ دينار.

فقلتُ: جُعلتُ فداك، دَعْ ذا عنكَ. فواللَّهِ لقد دخلني شيءٌ أعجزُ عن وصفهِ، وخفتُ أن تحدث بي حادثةٌ، أو بالجارية، أو بالمشتري، أو بك، أعاذك الله من كلِّ سَوء. فبادرتُ بقبولِ الثلاثينَ ألفَ دينار. فقال: لا ضَيْرَ، يا غلامُ جِيءْ بالجارية. فجاءَ بالجاريةِ، فقالَ الفضلُ: خُذْها مباركاً لك فيها، فإنما أردنا منفعَتَك، ولم نُرِدِ الجارية.

فلما نهضتُ قال لي: مكانَكَ، إن رسولَ صاحبِ أرمينيةَ قد جاءنا فَقَضَينا حوائجَه، وذكرَ أنه قد جاءنا بثلاثينَ ألفَ دينار يَشْتري لنا بها ما نحبُّ، فاعرضْ عليه جاريتَكَ ضِياء، ولا تَنْقُصْها من ثلاثينَ ألفَ دينار.

(١) الزمع: شبه رعدة تأخذ بالإنسان.
(٢) ضيق الحوصلة: كناية عن التسرّع وشدة الحرص.

فانصرفتُ بالجارية، وبكَّرَ إليّ رسولُ صاحبِ أرمينية، فقاوَلني بالجارية، فقلتُ: لستُ أنقصُها من ثلاثين ألفَ دينار. فقال الرسول: مَعي على البابِ عشرون ألفاً تأخذُها مسلَّمةٍ، بارَكَ الله لك فيها. فدَخَلني واللَّهِ مثلُ الذي دَخَلني في المرة الأولى، وخفتُ مثلَ خوفي الأول. فسلمتُها وأخذتُ المال.

وبكرتُ على الفضل بن يحيى، فإذا هو وحدَهُ. فلما رآني ضحكَ وضربَ برجله الأرضَ، وقال: ويحك! حرمتَ نفسَكَ عشرةَ آلاف دينار. فقلت: أصلحك الله، خفتُ واللَّهِ ما خفتُ في المرة الأولى. قال: لا ضير، أَخرِجْ يا غلامُ جاريتَه وقال: خُذْها، ما أردناها ولا أردنا إلا منفعتك. فلما مشتِ الجاريةُ صحتُ بها: ارجعي يا ضياء، فرجعتْ. أُشهِدُك أنها حُرةٌ لوجهِ الله، وأني قد تزوجْتُها على عشرةِ آلافِ درهم؛ كسَبَتْ لي في يومينِ خمسينَ ألف دينار، فما جزاؤها إلا هذا. فقالَ الفضلُ: وُفِّقْتَ إن شاء الله.

المصادر

الأغاني: ٥/١٩٥.

زواج عُفَيرة بنت غِفار

اشتهرَ أحدُ ملوك طَسم بالظُّلم والقَهْر، واسمُه عِمْليقُ بنُ هَبّاش وكان ملكاً على اليمامةِ كلها، بمن فيها من قبائلِ طَسْم وجَدِيس.

يُحكى أن رجلاً يقالُ له قابِس تَنازعَ مع امرأتهِ واسمُها هَزيلة، وهما جَديسيّان في مولودٍ لهما، أرادَ أبوه أخذَهُ من زوجتهِ، فأبتْ أمُّ المولود ذلك، فارْتَفعا إلى الملكِ عمليقِ. فقالتِ المرأةُ: أيُّها الملِك، هذا ابني حملتُه تِسعاً، ووضعتُه رَفعاً، وأرضعتُه شبعاً ولم أنَلْ منه نفعاً. حتى إذا تمَّتْ أوصالُهُ، واسْتَوْفى فصالَهُ، أراد بَعلي أن يأخذَهُ كَرهاً، ويَتْركني وَلْهَى.

فقال الرجلُ: أيُّها الملك أعطيتُها المهرَ كاملاً، ولم أصِبْ منها طائلاً، إلا ولداً خاملاً، فافعل ما كنتَ فاعلاً. على أنَّني حملتُه قبلَ أن تحملَهُ، وكفلتُ أمَّه قبلَ أن تكفُلَهُ.

فقالتْ: أيُّها الملكُ، حملَه خِفًّا، وحملتُه ثِقْلاً، ووضَعَه شهوةً ووضعْتُه كرهاً.

فلما رأى عمليقُ متانةَ حُجَتِهما تحيَّرَ، فلم يدرِ بمَ يحكُم؟ ولما كان ملكاً ظالماً فقد أمرَ بالغلام أن يُقْبض منهما، وأن يُجعلَ في غلمانه. وقال للمرأة: أبغيهِ ولداً، وأجزيه صَفَداً[1]، ولا تَنْكحي بعدُ أحداً. فقالت: أمّا النكاحُ فبالمهرِ، وأما السِّفاحُ فبالقَهْر، ومالي فيهما من أمر. فأمرَ عمليقٌ بالزوجِ والمرأةِ أن يُباعا، ويُرَدَّ على زوجِها خمسُ ثمنِها، ويُرَدَّ على المرأةِ عُشْرُ ثمنِ زوجها، فاسْتُرِقّا.

وكانت هزيلةُ شاعرةً، فقالتْ في الملك:

أتَينا أخا طَسمٍ ليحكمَ بينَنا
فأظهرَ حكماً في هَزيلةَ ظالما

لَعَمري لقد حكمتَ لا متورِّعاً
ولا كنتَ فيما يلزمُ الحكمَ حاكما

ندمتُ ولم أندمْ، وأنّى بِعِتْرتي[2]
وأصبحَ بَعلي في الحكومةِ نادما

فبلغتْ أبياتُها إلى عمليق فغضبَ، وأمرَ أن لا تُزَوَّجَ بكرٌ من جَديس حتى تدخُلَ عليه، فيكونَ هو الذي يفترعُها قبلَ زوجها. فلقُوا من ذلك ذلاً كبيراً. حتى تزوَّجَتْ امرأة من

(١) الصفد: الكرم والعطاء.

(٢) العترة: ولد الرجل وذريته وعشيرته.

جديس يُقال لها «عُفَيرة بنتُ غِفار» أختُ سيدِ جديس، واسمُه الأسودُ بنُ غفار، وكان جَلداً فاتكاً. فلما كانتْ ليلةُ الإهداء خرجَتْ، والبناتُ حَولها، لَتُحْمَلَ إلى عِمليق، وهُنَّ يضربْنَ بمعازفِهِنَّ ويقلن:

ابدِي بعمليقٍ وقُومي فاركبي
وبادِري الصُّبْحَ بأمرٍ معجبِ

فسوفَ تَلْقَيْنَ الذي لم تَطْلبي
وما لبكرٍ دونَه من مَهْرَبِ

ثم أدخلتْ على عمليق فافْتَرَعَها، وقيلَ: إنها امتنعَتْ عليه، وكانَتْ أيِّدَةٍ[1]، فخافَ العارَ، فوجَأها[2] بحديدةٍ في قُبُلها، فأدْماها. فخرجَتْ وقد تقاصَرَتْ عليها نفسُها، فشقَّتْ ثوبَها مِن خَلفها، ودماؤها تسيلُ على قَدَمَيْها، فمرَّتْ بأخيها، وهو في جمعٍ من قومه، وهي تَبكي وتقول:

لا أحدَ أذَلُّ من جديسِ
أهكذا يُفْعَلُ بالعروسِ؟

يَرضى بهذا الفعلِ قَطُّ الحُرُّ
هذا وقد أعطى وسِيقَ المهرُ

(١) أيدة: قوية.
(٢) وجأها: طعنها.

لأخـذِه الـمـوتَ كـذا لـنـفـسـهِ
خـيـرٌ مـن أن يُـفْـعَـلَ ذا بـعـرسـهِ

فأغضبَ ذلك أخاها، فأخذَ بيدها ورفَعَها إلى نادي قومِها وهي تقول:

أيـجـمـلُ أن يـؤتَـى إلـى فـتـيـاتِـكـم
وأنـتُـم رجـالٌ فـيـكـم عـددُ الـرمـلِ؟

أيجـمـلُ تَـمشي في الدماءِ فتـاتُكم
صبيحةَ زُفَّتْ في العِشاءِ إلى بعلِ؟

فـإنْ أنـتُـمُ لـم تَـغْـضَـبـوا بـعـدَ هـذهِ
فكونوا نساءً لا تَغِبُّ من الكحلِ

ودونَـكُـم ثـوبُ الـعـروسِ فـإنَّـمـا
خُلِقْتُم لأثوابِ العروسِ وللغَسْلِ

فـلـو أنَّـنـا كـنـا رجـالاً وكـنـتـمُ
نـسـاءً لـكـنّـا لا نُـقِـرُّ عـلـى الـذُّلِّ

فـمـوتـوا كـراماً أو أَمِـيـتـوا عـدوَّكـم
وكونوا كنارٍ شبَّ بالحطبِ الجزلِ

وإلا فَـخَـلُّـوا بـطـنَـهـا وتـحـمَّـلـوا
إلـى بـلـدٍ قـفـرٍ وهَـزْلٍ مـنَ الـهـزلِ

فللموتُ خيرٌ من مقامٍ على أذًى
وللهزلُ خيرٌ من مقامٍ على ثُكلِ

فدُبُّوا إليهم بالصَّوارمِ والقَنا
وكلِّ حسامٍ مُحدثِ العهدِ بالصَّقْلِ

ولا تَجْزَعوا للحربِ قَومي، فإنما
يقومُ رجالٌ للرجالِ على رِجْلِ

فيهلَكَ فيها كلُّ وغلٍ[1] مُواكلٍ
ويسلَمَ فيها ذو الجلادَةِ والفضلِ

فلما سمعتْ جديسُ منها ذلك امتلؤوا غَضباً، ونَكَّسوا حياءً وخجلاً. فقال أخوها الأسودُ: يا قومُ أطيعوني، فإنه عزُّ الدَّهر، فليسَ القومُ بأعزَّ منكم ولا أجلَدَ. ولولا تَواكُلُنا لما أطعناهُم، وإنَّ فينا لمنعَةً. فقال له قومُه: أشِرْ بما تَرى، فنحنُ لك تابعون، ولِما تدعونا إليه مُسارعون. إلا أنك تعلم أنَّ القومَ أكثرُ عدداً منا، ونخافُ أن لا نقومَ لهم عندَ المُنابذة.

فقال لهم: قد رأيتُ أن أصنعَ للملك طعاماً، ثم أدعوهُ وقومَه، فإذا جاؤونا قمتُ أنا إلى الملكِ وقتلتُه، وقامَ كلُّ واحدٍ منكم إلى رئيسٍ من رؤسائِهم يفرغُ منه. فإذا فرَغْنا من الأعيانِ لم يَبق للباقينَ قُوة.

وصنع الأسودُ الطعامَ وأكثَرَ، وأمرَ قومَه أن يدفُنَ كلُّ

(١) الوغل: الضعيف الدنيء.

واحدٍ سيفَه تحتَه في الرمل. وجاءَ الملكُ في قومهِ. فلما جلسوا للأكلِ وثبَ الأسودُ على الملكِ فقتَلَه، ووثبَ قومُه على رجالِ طَسْم حتى أبادوا أشرافَهم.

لم تنتهِ القصة. لكنَّ بقيَّتَها ارتبطتْ بقصةِ زرقاءِ اليمامة، وهي تخرجُ عن موضوع كتابنا.

المصادر:

- معجم البلدان - ياقوت، مادة «يمامة».
- الآداب المقارنة - محمد التونجي: ٦٤.

زواج أمّ كُلثوم

كتبَ معاويةُ بنُ أبي سفيانَ إلى مروانَ بنِ الحكم ـ وكان عاملَهُ على المدينة ـ أن يخطبَ ابنةَ عبدِ الله بنِ جعفر[1] لابنهِ يزيدَ، وكان اسمُها أمَّ كلثوم بنتَ زينبَ بنتِ عليٍّ بن أبي طالب، وأن يجعلَ صَداقَها مثلَ صداقِ أمها بالغاً ما بلغَ، بعدَ قضاءِ دَين أبيها، وبعد أن يعطيَهُ عشرةَ آلافِ دينارٍ، ويَصْدُقَها أربعَ مئةِ دينار، ويُكرمَها بعشرةِ آلافِ دينارٍ. فيكونُ ذلك بينَ الحسنِ وبَني هاشمٍ وبَني أمية.

فاستدعَى مروانُ عبدَ الله بنَ جعفر، وأخبرهُ بكتابِ معاويةَ وأمرِ خطبتهِ. فقالَ له عبدُ الله: إنَّ أمرها ليس إليَّ، وإنما أمرُها إلى خالها الحسينِ بن عليٍّ عليه السلام، والخالُ بمنزلةِ الوالد. وإنَّني أرضَى بما يقولُ ويفعلُ، وهو الآنَ مسافرٌ في ضَيعته، وما عَلينا سِوى الانتظار.

وحينَ قدمَ الحسينُ مِن ضيعتهِ حكى له عبدُ الله بنُ جعفر

---

(١) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب صحابي من آل البيت. وهو أول مولود بأرض الحبشة، وكان يسمى بحر الجود لكرمه، وأحد الأمراء في جيش علي يوم صفين. توفي بالمدينة سنة ٨٠هـ.

ما حكاهُ مروانُ من طلبِ خطبةِ يزيدَ بنِ معاويةَ لابنتهِ أمِّ كلثوم، وقال لهُ: أنتَ خالُها ووالدها، فافعلْ ما تشاء. فأشهدَ عليه الحسينُ بذلك جماعةً، ثم خرجَ فدخلَ على أمِّ كلثوم فقال لها: يا بُنيَّةُ، قد ولأَّني أبوكِ أمركِ، وإني أرجو أن أحسِنَ النظرَ إنْ شاء الله تعالى. فقالت له: نعمْ يا خالُ، بأبي أنتَ وأمي. فقال الحسينُ: فإني أستخيرُ الله تعالى، اللَّهمَّ لم أُرِدْ إلا خيراً، فقيِّضَ لهذه الجاريةِ رضاكَ مِن بني هاشم، ثم آلَ نبيِّك محمدٍ ﷺ.

ثم خرجَ، فمرَّ بدارِ محمدِ بنِ جعفرِ بن أبي طالب، فإذا هو بالقاسمِ بنِ محمدٍ، وهو شابٌّ، فجرى القاسمُ إليه وقبَّلَ يديه. فقالَ له الحسينُ: يا بنَ أخي، أترى أن أزوِّجَكَ مَن شئتُ؟ فقالَ القاسمُ: اللَّهَ اللَّهَ يا عمُّ، مالِيَ مالٌ فأعطي منه المهر. فقالَ له الحسينُ: لكني أعطي المهرَ عنك. فقال القاسمُ: فاصنَعْ ما شئتَ يا عمُّ. فقال له: فإذا كانَ منَ الغدِ فامْضِ معي إلى مجلسِ بني هاشم.

فلما أصبحَ مضَى معه، وأشرافُ الناسِ مجتمعون في مسجدِ رسولِ الله ﷺ. وأقبل مروانُ بنُ الحكم حتى جلسَ إلى جانبِ الحسين. فتكلَّمَ مروانُ وحمدَ الله تعالى، وأثنى عليه ثم قال: إن أمير المؤمنين معاويةَ بنَ أبي سفيان كتبَ إليَّ أنِ ائتِ عبدَ الله بنَ جعفر، فاخطبْ إليه ابنتَهُ أمَّ كُلثوم على ولدهِ يزيدَ.

وقد عرفْتُم فضلَهُ. والعجبُ ليزيدَ كيف يَسْتَمهر وهو كفءُ مَن لا كفءَ له؟ وبوجهه يُسْتَسْقى الغمامُ، والذي يَغْبطنا به أكثَرَ من الذي يَغْبطُه بنا. وقد جعلَ ذلك أبوها إليكَ يا حُسين. وقد أمرني أميرُ المؤمنين أن أجعلَ صَداقَها حكمَ صداقِ أمِّها بالغاً ما بلغَ، بعدَ قضاءِ دَين أبيها، ثم ما في ذلك من الصُّلح بينَ هذينِ الحيين من بني هاشم، وليس عند أبي عبدِ الله الحسينِ مانعٌ إن شاءَ الله تعالى.

فتكلمَ الحسينُ فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على جدِّه رسولِ الله ﷺ وقال: إن الله تعالى لا ينفعُ عندَه إلا الحقُّ، ولا يقبلُ من خلقهِ إلا التَّقْوى، وإنَّ الله تعالى رفعَ بالإسلام الخسيسةَ والنَّقيصَةَ، وأذهبَ الملامةَ، فلا لومَ على امرىءٍ مسلم إلا في مَأثم. ألا وإنَّ القرابةَ التي أمرَ الله تعالى بِصِلتها والمحافظةِ عليها، وعظَّمَ حقها، وجعلَ كتابةَ الأجر فيها، فإنها قَرابَتُنا، أهلَ البيت، الذي أوجبَ الله حَقَّنا على كل مسلم.

ثم قال: يا مروانُ، قد قلتَ فسمعتُ. أما قولُكَ في المهرِ: حكمُ مهرِ أمِّها بالغاً ما بلغَ، فَلَعَمري لو أرَدْنا ذلك ما رَغبنا عن سُنَّة رسول الله ﷺ، ولا عَدَوْنا مهرَ بناتهِ اثنتَيْ عشرةَ أوقيةً من فضةٍ، تكونُ أربعَ مئةٍ وثمانينَ درهماً.

وأما قولُك في قضاءِ دَينه، فمتَى كانَ النساءُ يَقْضِين عنّا

ديونَنا؟ وأما قولك: وصلحٌ بين هذين الحيين، فإنا قومٌ عادَيْناكم في الله تعالى، فلم نكنْ نصالحكُم لحكم الدنيا. ولَعَمري لقد أغْنانا النَّسب.

وأما قولُكَ: العجبُ ليزيدَ كيف يستمهرُ! فقد استمهرَ مَن هوَ خيرٌ من يزيد ومن أبي يزيدَ ومن جدِّ يزيد. وأما قولُكَ: إنَّ يزيدَ كفءُ مَن لا كفءَ له، فمن كانَ له كفءٌ قبلَ اليوم لم تزدْهُ كفاءتُه في الكفاءة شيئاً.

وأما قولك: بوجههِ يُسْتَسقى الغمامُ، فإنما كان ذلك وجهَ النبيِّ ﷺ. وأما قولك: الذي يغطبنا به أكثر مِمَّن يغبطه بنا، فإنما يغبطنا به أهلُ الجهل ويغبطه بنا أهلُ الفضل.

ألا وإني قد زَوَّجْتُ هذه الجاريةَ مَن هو أقربُ إليها نسباً، وأوجَبُ حقًّا، وألطفُ سبباً، وهو هذا الغلامُ القاسمُ بنُ محمدُ بنِ جعفر، واشْهَدوا جميعاً أني قد نَحِلْتُها ضَيْعتي بُغَيْبغة، وخراجُها ثمانونَ ألفَ دينارٍ، ولم أكنْ لأعدلَ بهذه الجاريةِ إلى غيرِ كفئها، ولا أجعلَ في عِرْضِنا مَغْمزاً لأحدٍ من قريش. أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله العظيمَ لي ولكم.

فتغيَّرَ وجهُ مروانَ، وأطال السكوت، ثم قال: أغدراً يا حسينُ؟ فقال: أنتَ بدأتَ؛ خطبَ أبو محمد الحسن بن علي عائشةَ بنتَ عثمانَ بنِ عفانَ، فاجْتَمعنا لذلك فتكلمتَ أنت، وزوَّجْتَها عبدَ الله بنَ الزبير. فإنا قد ابْتُدِئنا الغَدْرَ.

ثم نَهضوا، وأقبلَ مروانُ على عبدِ الله بنِ جعفر وقال: والله ما هذا جزاءُ أمير المؤمنين منك. فأجابه عبدُ الله: قد أخبرتُك أني لا أقطعُ أمراً دونَ الحسين.

وأمُّ كلثوم هذه هي التي تزوَّجَها الحجاجُ فيما بعد[1] وأمره عبدُ الملك بتطليقها منه. ولعلَّ قصةَ خطبةِ يزيدَ لأمِّ كلثوم وخذلانهِ من أهمِّ الأسباب التي حملت يزيدَ على قَتل الحسين.

المصادر:

- العنوان في الاحتراز من مكايد النسوان - ابن البتنوني: ١٥٥.
- معجم البلدان - ياقوت الحموي، مادة بغيبغة.
- أعلام النساء - عمر رضا كحالة: ٤/٢٥٢.

(١) انظر قصة «زواج الحجاج من أم كلثوم» في هذا الكتاب.

زواج زوجةِ أخيه

كان في الجاهليةِ أخوانِ من حيٍّ بني كنَّة أحدُهما متزوِّجٌ والآخَرُ عَزْب. فقُضِيَ أنَّ المتزوجَ خرجَ في بعضِ أعمالهِ، وبقيَ الآخرُ معَ امرأةِ أخيه. فخرجَتْ ذاتَ يومٍ مِن دارها حاسرةً، فرآها أخو زوجها أحسَنَ الناسِ وجهاً وثَغراً. ولما علمتْ أنْ قد رآها اضطربَتْ وغطَّتْ وَجْهَها بِمِعْصَمها، فزادَها ذلك جمالاً، وزادَهُ فتنةً. فحملَ الشوقُ على بدنهِ، حتى لم يَبقَ إلا رأسُه وعيناهُ تَدوران فيه.

وقدمَ الأخُ فسأل أخاهُ متعجباً: يا أخي، ما الذي أرى بك؟ فاعتلَّ عليه وقال: ألمُ ذاتِ الجنبِ أمَضَّني. فبعثَ الأخُ فوراً إلى الحارثِ بنِ كَلَدَةَ أشهرِ أطباءِ العرب. فلمسَ الطبيبُ عروقَه، فإذا ساكِنُها ساكن، وضارِبُها ضارب، فقال له: ما بأخيك إلا العِشْق، وهو ميتٌ. فقال: سبحانَ الله تقولُ هذا الرجلُ ميتٌ؟ فقال: هو كذلك. أعندَكُم شيءٌ من الخمرِ؟ فجيء به، ثم دَعا بِمِسْعَطٍ، فصبَّ فيه بعضَ الخمر، وحلَّ صرةً من صُرَرِهِ فذَرَّ فيه. ثم سَقاه الأولى، والثانية، والثالثة. فانْتَشَى وراحَ يغني:

أِلـمّـا بـي عـلـى الأبـيـا
تِ مـن خَـيْـفٍ أزُرْهُـنَّـهْ

غـزالاً مـا رأيـتُ الـيـو
مَ فـي دورِ بـنـي كِـنَّـهْ

غـزالٌ أحـورُ الـعـيـنِ
وفـي مَـنْـطِـقِـه غُـنَّـهْ

فقال الزوجُ: هذه دورُ قومنا! فليتَ شعري مَن التي سلبتْ عقلَه؟ وقال الحارث: ليس فيه مستمتَعٌ غيرُ هذا اليوم، ولكن أَغْدو عليكم من الغدِ. ففعلَ به كفعلهِ بالأمس. فانْثَنى العاشقُ يغني سكراً، واسمُ امرأةِ أخيهِ رَيّا، فقال:

أيُّـهـا الـحـيُّ فـاسْـلـمـوا
كـي تُـحـيـوا وتُـكْـرَمـوا

خـرجَـتْ مـزنـةٌ مـن الـ
ـبـحـرِ ريّـا تُـحَـمْـحِـمُ

لـم تـكـنْ كَـنَّـتـي
وتـزعُـمُ أنـي لـهـا حَـمُ

فعلمَ الزوجُ أن أخاهُ واقعٌ في حبِّ زوجتهِ ريا، فقالَ لمن كان حاضراً: أُشْهِدُكم أنها طالقٌ ثلاثاً، ليرجِعَ إلى أخي

فؤادُه؛ فإنَّ المرأةَ توجَدُ، والأخَ لا يوجد.

فجاءَ الناسُ إلى المريضِ يقولونَ له: هنيئاً لك أبا فلان، فإنَّ أخاكَ قد نزلَ لك عن زوجتهِ ريا. فقال لمن حضرَ: أُشْهِدُكم أنها عليَّ مثلُ أمي إنْ تزوَّجْتُها.

قال ابنُ سيرينَ: ما أدري أيُّ الرجلين أكرم، الأول أم الآخر؟

المصادر:

- مصارع العشاق - أبو محمد السراج: ٢/ ٢١٠.

زواج بالمراسلة

كان رجلٌ من بني كلبٍ عاشقاً لابنةِ عمٍّ له، وكانت هي تبادلُه هذا العشقَ، وكان الفتى قليلَ المال. وحينَ خطبَها إلى عَمِّه طالبَه بمالٍ كثير. فلما رأتِ الفتاةُ شِدَّة أبيها على ابنِ عمها، أرسلتْ إليه؛ أنِ اخرجْ فاطلبِ الرزقَ، ولك علي أن أصبرَ عامينِ، على أن تحلفَ لي أنك إنْ أصبتَ مالاً لا تتزوَّجُ إلا إن بلغك موتي.

فحلفَ لها الفتى وحلفتْ له. ثم خرجَ الفتى بحثاً عن العمل. فرزقَه الله مالاً، وطالَ غيابُه. ثم بلغَ الفتاةَ أنَّ حبيبَها قد تزوَّجَ، فكتبتْ إليه:

ألا ليتَ شِعري هل تغيرتَ بعدَنا
أم أنتَ على العهدِ الذي كنتُ أعهدُ؟

فكتب إليها

عليكِ بحسنِ الظنِّ يا هندُ واعْلَمي
بأن وصالي، ما حييتُ، مجدَّدُ

فكتبت إليه:

إنَّ الرجالَ أولو غدرٍ، وإن حَلَفوا
وقولُهم غَرَرٌ، والودُّ مَمزوقُ[1]

فكتب إليها:

أمِنْتِ من غدرَنا ما دمتِ سالمةً
وما أضاءَ لنا، يا حمدةُ، الأفقُ

فكتبت إليه:

لو كانَ غيرُكَ ما صدَّقْتُه أبداً
وأنتَ عندي امرؤٌ بالصدقِ معروفُ

فكتب إليها:

إنْ كنتُ عندكِ ذا صدقٍ وذا ثقةٍ
فإنَّ قلبي بكُمْ، يا حمدُ، مشغوفُ

فكتبت إليه:

أَقْبِلْ إلينا وعَجِّلْ ما استطعتَ ولا
تمكثْ، فإنَّ أبي قد قاربَ الأجَلا

فكتب إليها:

إني إليك سريعٌ فاعلميهِ إذا
هَلَّ الهلالُ، فلا تَبْغي ليَ العللا

وأنْهى الفتى أعماله وجمعَ أمواله وقدم إلى دياره، وكان أبوها قد مات، فتزوَّجها وعاشا في نعيم الحب.

المصادر:

- مصارع العشاق - أبو محمد السراج: ٢/ ٢٨٩.

---

(١) غرر: خداع. ممذوق: مخلوط.

زواج ابنةِ العمّ

يُحكى أن رجلاً من بني عُقيل كان يُسمى صخراً، وكانتْ له ابنةُ عمٍّ تُدعى ليلى، وكان بَيْنَهما ودٌّ شديدٌ، وحبٌّ مبرِّحٌ. ولم يكنْ واحدٌ منهما يفتُرُ عن صاحبهِ يوماً. وكانَ لهما مكانٌ يلتقيانِ فيه، ولليلى جاريةٌ تُبْلغ صخراً رسائلَها، وتُبْلغها عنه، وتَسعى بَيْنَهما، واسْمُها حُسن. حتى طالَ ذلك منهما. وكانا يلتقيانِ في مكانٍ معين، ويتحدَّثانِ في كلِّ ليلةٍ، ثم يَنْصرفان إلى منازِلهما.

ثم إنَّ أبا صخرٍ قَسَرَ ابنَه وزوَّجَه امرأةً من الأزْد، وصخرٌ لذلك كارِهٌ مخافةَ أن تصرِمَه ليلى. فلما بلغَ ليلى خبرُ زواجهِ، قطعَتْهُ وتركتْ إتيانَ المكانِ الذي كانا يلتقيان فيه. فمرض صخرٌ مرضاً شديداً. وكان قد أفْشى سِرَّه إلى ابنِ عمٍّ له. وكانَ أهلُه يقولون: قد سحرتْهُ ليلى. وكان ابنُ عمِّه يحملُه كلَّ يوم إلى ذلك المكانِ الذي كانا يلتقيانِ فيه، فلا يَزالُ يَبْكي على آثارِها وعهدِها حتى يُصْبحَ، وابنُ عمِّه يُسْعِفه ثم يردُّهُ إلى منزله.

وكانت ليلى أشدَّ وجداً بهِ وحبًّا لهُ منه لها. فأرسلتْ جاريتَها إليه يوماً وقالت: اذْهَبي إلى مكاننا، فانْظُري هل ترين

صخراً هنالك؟ فإذا رأيتهِ فَقُولي له:

تَعْساً لمن لغيرِ ذنبٍ يصرمُ[١]
قد كنتَ يا صخرُ زماناً تَزْعُمُ

أنَّك مشغوفٌ بنا متيَّمُ
فالحمدُ لله على ما يُنعمُ

لِما بدا مِنك لنا المُجَمْجَمُ
واللَّهُ ربي شاهدٌ قد يعلمُ

أنْ رب خِطْبٍ[٢] شأنه يُعَظَّمُ
رَدَدْتُه، والأنفُ منه يُرْغَمُ

فانطلقتِ الجاريةُ، فإذا هيَ بصخرٍ، فأبلغَتْه قولَ ليلى، فوجدتْه كالشنِّ[٣] البالي، قد هلكَ حزناً ووجداً. فقال لها: يا حسنُ أحسني بيَ فعلاً، وأبيني لي عُذراً، وسَلي لي غُفراً وصُلحاً، فواللَّهِ ما ملكتُ أمري، ولا تزوجْتُ عن طاعتي. وقولي لها:

فهمتُ الذي عَيَّرْتِ يا خيرَ من مَشَى
وما كان عن رأيي وما كانَ من أمري

(١) يصرم: يقطع.
(٢) الخطب (بكسر الخاء): الذي يخطب المرأة.
(٣) الشن: قربة الماء البالية.

دُعيتُ فلم أفعلْ وزُوِّجتُ كارهاً
ومالِيَ ذنبٌ، فاقْبَلي واضحَ العُذْرِ

فإن كنتُ قد سُميتُ صخراً، فإنني
لأضعَفُ عن حملِ القليلِ من الصخرِ

ولستُ، وربِّ البيتِ، أبغي محدِّثاً
سِواكِ، ولو عِشنا إلى مُلتقَى الحشرِ

فقالتْ له حُسن: يا صخرُ، إن كنتَ تزعُمُ أنك كارهٌ تَزويجَ أبيكَ إياكَ فاجعلْ أمرَ امرأتِكَ بيدي لأُعْلِمَ ليلى أنك لها محبٌّ ولغيرِها قالٍ، وأنك كنتَ مُكرهاً. فقالَ: لا، ولكن قد جعلتُ ذلك في يدِ ابنةِ عمي.

فانصرفتْ حُسن إلى ليلى، فأخبرتْها بما دارَ بينهما، وقالت: وقد جعلَ الأمرَ إليك، وما عليهِ عتبٌ، فطلِّقيها منه. قالت ليلى: هذا قبيحٌ، ولكن عديهِ الليلةَ إلى موضعٍ مُتَحَدَّثنا، ثم أطلِّقُ إن جعلَ أمرَها إليك، فإنه لم يكن ليردَّكِ بحضرتي.

فمضَتِ الجاريةُ، فأخذتْ موعدَه، فاجْتَمَعا وتشاكيا وتعاتبا، ثم قالتْ له الجارية: اجعلْ أمرَ أهلك إليَّ، فواللَّهِ إنَّ ليلى لأفضلُ بني عُقيل نسباً، وأكرمهم أباً وحسباً، وإنها لأشدُّ لك حباً، فقال صخر: فأمرُها في يدك. قالت حسن: فهي

طالق منك ثلاثاً. فأظهرت ليلى لذلك جزعاً، وأنَّ الذي فعلتْ جاريتُها شَقَّ عليها.

فتراجعا إلى ما كانا عليه من اللقاء، ولم يُظْهر صخرٌ طلاقَ امرأتِهِ، ولم يدخُلْ عليها أصلاً. فقالَ له أبوه: يا صخرُ، ألا تَبْني بأهلك؟ فقال له: وكيفَ أبْني بها، وقد بانتْ مني عصمتُها في يمينٍ حلفتُ بها؟ فأعلمَ أبوه أهلَ المرأة. وقالت المرأةُ تهجو ليلى وقومَها:

ألا أبلغا عني عُقيلاً رسالةً
وما لعقيلٍ من حياءٍ ولا فَضْلِ

نساؤهم شَرَّ النساءِ، وأنتمُ
كذلك، إنَّ الفرعَ يَجري على الأصلِ

أمَا فيكُمُ حرٌّ يغارُ على اختِهِ
وما خيرُ حيٍّ لا يغارُ على الأهلِ

وردَّتْ عليها ليلى وهَجَتها، وتقاوَلَتا حتى شاعَ خبرُهما. وقرَّرَ القومُ أن يزوِّجُوا ليلى إلى صخر، لِما انكشفَ لهم من وجدِ كلِّ واحدٍ منهما بصاحبهِ. وتمَّ اجتماعُ العروسين، ورضيَ والدُ صخر على ابنهِ، وعاشا على أنعم حالٍ وأحسنِ مودَّة.

المصادر:

- مصارع العشاق - أبو محمد السراج: ٢/ ٢٩٤.

زواج العرْيانة بالطواف

ضُباعةُ بنتُ عامرِ بنِ قُرْط شاعرةٌ من شواعر العرب، أسلمتْ في أواخرِ عمرها فعُدَّت من الصحابيات. وقد أراد النبيُّ ﷺ الزواجَ بها، ثم سكتَ عنها لكبرِ سِنِّها وتَساقُط أسنانها.

كانت من أجملِ نساءِ العرب، وأعظمِهِنَّ خَلْقاً. كانت إذا جلسَتْ أخذتْ من الأرض شَيئاً كثيراً، وكان شعرُها يُغطي جسدها. وكانتْ في الجاهلية تحتَ عبدِ الله بنِ جُدْعانَ القرشيِّ أحدِ الأجواد المشهورينَ في الجاهلية، أدركَ النبيَّ ﷺ قبلَ نبوَّتِه. وكانَ من كرمِهِ أنَّ له جفنةً يأكلُ منها القائمُ والراكبُ. ومكثتْ عندَه زماناً لا تلدُ، فأرسَل إليها هشامُ بنُ المغيرةِ من ساداتِ العرب في الجاهلية: ماذا تصنعينَ بهذا الشيخِ الكبيرِ الذي لا يولَدُ له؟ قولي له أن يطلقَكِ كي أتزوَّجَكِ وأنجبَ منك.

فدخلتْ على زوجها ابنِ جُدْعانَ وطلبتْ منه أن يطلقَها، فقال لها: إني أخافُ إنْ طلقْتُكِ تَتَزوَّجي هشامَ بنَ المغيرة. فقالت له: فإنَّ لك عليَّ أنْ لا أفعلَ هذا. فقال لها: فإن

فعلتِ فإنَّ عليك مئةً من الإبل تَنحرينها، وتَسجين ثوباً يقطعُ مابينَ الأخشبينِ[١]، وتَطوفي بالبيتِ عُريانة. قالت: لا أطيقُ ذلك.

وأرسلتْ إلى هشام فأخبرتْه، فأرسلَ إليها: ما أهونَ ذلك! وما يكنْ بك من ذلك، أنا أيسَرُ من قريش في المالِ، ونسائي أكثرُ النساء بالبطحاء، وأنتِ أجملُ النساء ولا تُعابينَ في عُرْيك[٢]، فلا تَأبي ذلك عليه.

فقالتْ لزوجِها: طَلِّقْني فإنْ تزوجتُ هِشاماً فعليَّ ما قلتَ. فطلَّقَها بعدَ استيثاقهِ منها. فتزوَّجَها هشام، فنَحَرَ عنها مئةَ جزورٍ، وأمرَ نساءَه فنَسَجْنَ ثوباً يملأ ما بين الأخْشَبيْن. ثم طافَتْ بالبيتِ عُريانةً، بعد أن أسدلَتْ شعرَها على جِسمها. قال أحدهُم: فأتْبَعَها بصري إذا أدبرتْ واستقبلَها إذا أقبلَتْ، فما رأيتُ شيئاً مما خلقَ الله منها، وهي واضعةٌ يدَها على فَرْجها، وقريشٌ قد أحدقَتْ بها، وهي تقول:

اليومَ يَبْدو بعضُه أو كُلُّه
وما بَدا منهُ فلا أُحِلُّه

(١) الأخشبان: جبلان يضافان تارة إلى مكة وتارة إلى منى، اسم الأول أبو قبيس، واسم الثاني قُعيقعان.

(٢) لم يكن بعض النساء في الجاهلية يرين حرجاً من الطواف حول الكعبة وهن عاريات.

وولدتْ لهشام الحارثَ بنَ هشام وكان من الصحابة. أسلمتْ ضباعةُ مع النسوةِ اللائي أَسْلمن معَ رسولِ الله ﷺ بمكةَ وحسُنَ إسلامُها، وتُوفيت سنة ١٠هـ.

المصادر:

- أخبار النساء - ابن قيم الجوزية: ١٢٥.
- خزانة الأدب - البغدادي: ١/ ٢١٥.
- بلاغات النساء - ابن أبي طاهر: ١٧٨.
- الإصابة - ابن حجر، كتاب النساء، ت ٦٧٠.
- أعلام النساء - عمر رضا كحالة: ٢/ ٣٥٤.

زواج نسيم

بينما كانَ الخليفةُ المتوكلُ جالساً ذاتَ يومٍ في قصرهِ الذي يُقال له «المختار» إذ مرَّ خادمٌ أسودُ لزوجتهِ «فُتَيحة» مُبادراً يريدُ الدخولَ إلى دارِ النساء، فسقطَ منه كتابٌ مختومٌ دون أن يدري. فنادَى أحدَ خدمهِ كي يُحْضِرَ له الكتابَ. ففتَحه فإذا فيه شعر:

أَكْثِري المَحْوَ في الكتابِ ومَحِّيـ
ـهِ بريقِ اللسانِ لا بالبَنانِ

وأمرِّي الختامَ فوقَ ثنايا
كِ العذابِ المُفَلَّجاتِ الحسانِ

إنَّني كُلَّما مررتُ بحرفٍ
فيهِ محوٌ لطعْتُه بلساني

فأراها تقبيلةً من بعيدٍ
أُهْدِيَتْ لي وما برحتُ مكاني

فقال لوزيره فتح: يا فتحُ ما تَرى؟ لقد اجترأ عليَّ مَن كتب هذا الشعرَ، وهُناك مَن يخونُني في قصري. عليَّ بالخادمِ

الذي كان يحملُ الرسالة فأُتيَ به. وقد علمَ الخادمُ أنَّ الكتابَ سَقط منه، ووقعَ بيدِ الخليفة فطارَ عقلُه خوفاً ورغباً.

فسأله الخليفةُ: مَن دفع الكتابَ إليك، ولِمَن تحملُه، وأنت آمِنٌ؟ فإنْ صدقتَ نجوتَ، وإن لم تصدُقْ ضربتُ عنقَكَ. فقالَ الخادمُ: إنَّ لمولاتي فتيحةَ وكيلاً يتصرَّفُ في أمرِها من أبناءِ البرامكة، وهو يحبُّ جاريتها نسيم الكاتبة. وأنا أسعى بينهُما في الكتبِ التي يتكاتبانِ بها. فقال له المتوكلُ: امضِ بلا خوفٍ عليك.

ثم قامَ المتوكلُ فدخلَ على فتيحة وقال لها: خُذي في أمرَ جاريتكِ نسيم الكاتبةِ، فإني قد زوَّجْتُها من فلانٍ وكيلك، وأنقدْتُ عنه عشرةَ آلافِ درهم. وأمر بإحضارِ الوكيل فقال له: هل لكَ في نسيم؟ فذهبَ عقلُه، وطار قلبُه، وخافَ خوفاً شديداً. فقال له: تكلَّمْ وأنتَ آمن. فقد زَوَّجْتُك لها، ومهرتُها عشرةَ آلافِ درهم، وأمرتُ لك بعشرة آلاف تُولمُ بها. وسألَ فتيحةَ تعجيلَ زفافِها إليه، ففعلتْ.

المصادر:

- أخبار النساء - ابن قيم الجوزية: ١٥٦.

زواج تاجر

بينما كان أحدُ تجارِ المدينة مِن ذوي النعمة يُصلي التراويحَ في المسجدِ في أحدِ أيامِ شهرِ رمضانَ، إذ عرضَ له في منزلهِ بعضُ الأمر، فقطعَ صلاتَه وعادَ إلى منزلهِ، فرأى البابَ مفتوحاً، وإذا برجلٍ معَ ابنتهِ يحدِّثها، فادَّعى الرجلُ أنه ابنٌ لعبدِ الله بنِ أبي عتيق، من أحفادِ أبي بكرٍ الصديق. فأمسَكَ به وقادَه إلى منزلِ ابنِ أبي عتيق. فقرعَ البابَ، فأشرفَ عليه ابنُ أبي عتيق فقال له: أردتُ أن أكلمَكَ جُعلتُ فداك.

فانحدر إليه، فقالَ لهُ التاجر: إنَّ هذا الفتى وجدتُه في مَنْزلي على حالٍ كذا مع ابنتي، فسألتُه فزعمَ أنه ابنُكَ. فأقبلَ ابنُ أبي عتيق، فأخذَ بيدِ الفتى وعنَّفَهُ، ثم شكرَ التاجرَ وقال له: لن يعودَ إلى شيءٍ تكرَهُ إنْ شاء الله، ولكزَ الفتى ثانيةً وسعمه.

فلما ولى التاجرُ قال للفتى: مَن أنتَ ويلك؟ قال: ابنُ فلانٍ التاجر، ابتليتُ بحبِّ ابنةِ هذا التاجر، فدخلتُ عليها الليلةَ أتحدَّثُ معها، فما راعَني إلا أنَّ أباها واقفٌ فوق رأسي، فلم أجدْ ملجأ إلا اعْتَزَيْتُ إليك، لِما علمْتُ مِن قَدْرك وشَرَفِك وكَرَمك.

فقال له: أخبرني عن الجاريةِ، أتحبُّكَ؟ قال: نعم. قالَ: فهلْ يمكنُكَ أن تأتيَ بها إلى منزلي هذا؟ قال: نعم. قال: فعِدْها وأحضِرْها إلى هنا. وأمرَ غلاماً له وقال: إذا جاءتِ المرأة التي يأتيك بها هذا الفتى، فأدخلها، واجلسْ أنتَ مع الفتى، وأرسِلْ إليَّ مَن يُعْلمني بذلك. ففعلَ الفتى، وأتى بالجاريةِ إلى منزلِ ابنِ أبي عتيق، فأدْخَلها الغلامُ المنزلَ، وأجلسَ الفتى معَه، وأرسلَ إلى ابنِ أبي عتيقٍ يُعلمه بقدومِهما.

فأرسلَ بطلبِ أبي الفتاةِ وقال له: إنكَ قد اصطنعْتَ إلى فتانا يداً، وقد أحبَبْنا أن نصنعَ إليك مثلَ ذلك في فتاتِك.

فأدخَلَه على ابنتهِ، فلما رآها تراجَعَ التاجرُ. فقالَ له ابن أبي عتيق: ما بك؟ أهونْ عليك هذا الأمرَ، واقبلْ وصيةَ رسولِ الله ﷺ حين قال: «أَلْحِقوا النساءَ بأكفائهنَّ». اعلم يا رجلُ أن هذا الفتى ليسَ ولدي والله، لكنه انتسَبَ إليَّ لمّا أدرك النجاةَ منك، وهو فلانُ بنُ فلانٍ التاجرِ ولعلك تعرفُه. وقد رأيتُ أنه من نُظَراء ابنتك وأكفائها. فهلْ لك أن تزوِّجَه إياها، وأَصْدُقَها عنه من مالي مئةَ دينار؟ قال: نعم.

ولم يَبْرحوا من منزلِ ابن أبي عتيقٍ حتى زوَّجَها منه وأصدَقَها، وأخرجَ المهرَ مِن عندِه، وسألَه التعجيلَ بزفافِها إليه.

المصادر:

- أخبار النساء - ابن قيم الجوزية: ١٦٠.

زواج هَجين

حكى الأصمعيُّ قال: خرجَ المهديُّ العباسيُّ (ت ١٦٩هـ) حاجًّا، حتى إذا كنا ببعضِ الطريق إذا أعرابيٌّ يقول: يا أميرَ المؤمنين، جَعلني اللَّهُ فداكَ، أنا عاشقٌ. وكانَ المهديُّ يحبُّ ذكرَ العشاقِ وحديثَهم. فلما نزلَ المهديُّ أمرَ بعضَ الغلمانِ بإحضارِه، فسألَه: أنتَ المنادي؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. فقال له: ما اسْمُك؟ قال: أبو ميّاس. وسأله المهدي: ومَن عشيقَتُك؟ فقال: ابنةُ عمي، وقد أبى عليَّ أبوها أن يزوِّجَنِيها، فقال: لعلَّه أكثرُ منك مالاً، فقال: أنا أكثرُ منه مالاً!

فسأله المهدي: فما قصَّتُك؟ فقال الأعرابي: أذْنِ رأسَكَ مني. فجعلَ المهدي يضحكُ، وأصْغَى[1] إليه برأسهِ، فقالَ له هامساً: إني هجين[2]. فقال له: ليسَ يضرُّكَ ذلك، أخو أمير المؤمنين هجينٌ، وأكثرُ أولاده هُجناء. ثم سأله: وأينَ عَمُّك؟ قال: على ثلاثةِ أميال.

---

(١) أصغى: دنا واقترب.

(٢) الهجين: الذي أبوه عربي وأمه ليس كذلك.

فأرسلَ أميرُ المؤمنين في طلبِهِ، فجيء به فقال له: ما لكَ لا تُزوِّجُ أبا مياسٍ؟ فإني أرى عليه نعمة! فقال أبوها: متاعُ سَوْءٍ، وليس مثلي يزوِّجُ مثلَه. فقال المهدي: فإنَّ الذي كرهْتَ ليس مما يُعابُ به عندنا، وأنا معطٍ صَداقَ ابنتِكَ عشرةَ آلافِ درهم، ومعوِّضُك مما ذكرتَ عشرةَ آلافِ درهم! قال: فذلكَ لكَ. فخرج أبو مياسٍ وهو يدعو للخليفةِ وينشدُ الشعر فرحاً.

المصادر:

- أخبار النساء - ابن قيم الجوزية: ١٧٥.

زواج مغنية

قال سعيدٌ الصغير: كانَ المنتصرُ بالله العباسي (ت ٢٤٨هـ) في أيامِ إمارتهِ وَجَّهني إلى مصرَ في بعضِ أمورِ السلطان، فاعترضَتْ عندَ بعضِ النخَّاسينَ جاريةٌ تامَّةُ المحاسن، حاذِقَةٌ بالغناء. فأبى مولاها أن يأخذَ مني إلا ألفَ دينار. ولم تكُنْ تحضُرُني، ولا وجدْتُ أنْ أقرضَها. وأزْعَجني الشخوصُ وقد عَلِقها قلبي، وأخَذَني المقيمُ المُقْعِدُ مِن حُبِّها.

ولما عدتُ من مصرَ، وعَرَّفْتُه ما بَعَثني إليه، سألَني عن حالي وخَبري. فأخبرتُه بأمرِ الجارية، وحُبي لها، ومكانِها، وقِصَّتي معَ مَولاها. فأعرضَ عني وصارَ ما بي يزدادُ يوماً بعد يومٍ، ولم أعُدْ أملكُ صبراً. وجعلَ المنتصرُ كُلَّما دخلتُ وخرجتُ من عندِهِ، يذكرُها مُتعمداً، فيُهيجُ أشواقي إليها، ويُعَيِّرني بقلَّةِ الصَّبر عنها. وكانَ قد أمرَ ابنَ الخصيبِ أن يكتُبَ إلى مصرَ في شِرائها، وحَملها إليَّ من حيثُ لا أعلمُ ولا أدري.

فلما سارتْ إليه، وعَرَضَتْ عليه أمْرَها، وغنَّتْ له عَذَرني. فأمرَ قَيِّمَةَ جواريهِ، فأصلحَتْ مِن شأنها. فلما ذَهَبَ

عنها ألمُ السَّفر استَجْلَبَني يوماً وهو على فراشهِ. وغنَّتْ جواريه، وفي النهايةِ غنَّتِ الجاريةُ. فلما سمعتُها عرفْتُها، وكرهْتُ أن أُعْلِمَه بذلك، حتى ظهرَ عليَّ ما كتمتُ، وغلبَ عليَّ الصبر، فقالَ لي: ما لَكَ يا سعيدُ؟ قلتُ: خيراً أيُّها الأمير.

ثم اقترحَ على الجاريةِ أن تغنِّيَهُ صوتاً، كنتُ أعْلمته أَنِّي سمعْتُه منها، وأعجبني وجَذَبني إليها. فغَنَّتْه، فقالَ: هل تعرفُ هذا الصوتَ؟ قلت: إيْ واللَّهِ أيها الأمير، وما تنفعُ المعرفةُ وقد كنتُ أطمعُ في صاحبتهِ! فقال: واللَّهِ يا سعيدُ ما اشْتَرَيْتُها إلا لك. ويعلمُ الله أني ما رأيتُ لها وجهاً إلا الساعةَ التي أُدخلتْ عليَّ. وقد تركتُها حتى استراحَتْ من تعبِ السَّفر، وهي لكَ. فأكببتُ على رجليهِ، ودعوتُ له بما أمكنني من الدُّعاء، وشكرَهُ عَنِّي مَن حضر من الجلساء، وأمرَ بها فَحُملت إلى منزلي. فما أحدٌ أحظى عندِي منها، ولا لي ولدٌ أحَبُّ من ولدِها.

المصادر:

- أخبار النساء - ابن قيم الجوزية: ١٧٦.

زواج بأمر أبي بكر الصديق

مرَّ أبو بكرٍ الصديقُ ﷺ في خلافتهِ بطريقٍ من طرقِ المدينة، فإذا جاريةٌ تَطحنُ وتُنْشد:

وعشقْتُه من قبلِ قطعِ تمائمي
مُتَمايساً مثلَ القضيبِ الناعمِ[1]

وكأنَّ نورَ البدرِ سنةَ وجههِ
يُنْمى ويَصْعد في ذؤابةِ هاشمِ

فدقَّ عليها البابَ، فخرجَتْ إليه، فقال: ويلكِ، أَحُرَّةٌ أم مملوكة؟ قالت: مملوكةٌ يا خليفةَ رسولِ الله ﷺ. قال: فمن هوَ العاشقُ؟ فبكتْ ثم قالتْ: يا خليفةَ رسولِ الله ﷺ بحقِّ الغَيْرِ إلا انصرفْتَ عني. قال: وحقِّه لا أُريمُ[2] مكاني أو تُعْلميني. فقالت:

وأنا التي لعبَ الغرامُ بقَلْبِها
فبكتْ بحبِّ محمدِ بنِ القاسمِ

---

(١) التمائم: جمع تميمة، وهي خرزة أو ما يشبهه تعلق على صدور الأولاد وقاية من العين. وتريد أن حبها منذ صغرها. التمايس: التمايل والغنج.

(٢) لا أريم: لا أترك.

فتركَها وسار إلى المسجدِ، وبعثَ إلى مولاها فاشْتَراها منه. وبعثَ إلى محمدِ بنِ القاسم بنِ جعفرِ بن أبي طالب، وقال: هؤلاءِ النساءُ فِتَنُ الرجالِ، فكم ماتَ بهنَّ كريمٌ، وعَطبَ[1] عليهِنَّ سَليم! فتزوجها.

المصادر:

- أخبار النساء - ابن قيم الجوزية: ١٨٨.

(١) عطب: هلك.

زواج رسول كاذب

كان بأرضِ الحجازِ رجلٌ له ابنةٌ جميلة، فهوِيَها ابنُ عمٍّ لها، فبذلَ لها أربعةَ آلافِ درهم، فأبى أبوها أن يزوِّجَها منه. وأجدَبَتِ الباديةُ، فدخلَ ابنُ عَمِّها على عمِّه ذاتَ يوم، فشكا إليه ما يَلْقى، وكانَ قد تصرَّفَ بالدراهم. فقالَ له عمُّه: قد كنتَ بذلتَ لنا أربعةَ آلافِ درهم، فأَعْطنا إياها، فأنتَ أحَبُّ إلينا لقرابتك. فقال الفتى: أجِّلني شهراً، فأجَّلَه.

ولم يكنْ مع الفتى إلا ناقتُه، فركبها ومضى إلى عبدِ الملك بن مروان، فطلبَ الإذنَ، فلم يُؤذن له. فقال: إني رسولُ فلانٍ عاملِ أمير المؤمنين على الحجاز، فأُدْخل من ساعتهِ فسأله: معكَ كتابٌ من فلانٍ؟ قال: لا. قال: فرسالة فأنشأ يقول:

ماذا يقولُ أميرُ المؤمنينَ لمن
أَدنى إليكَ بلا قُربى ولا سَبَبِ؟

مدلَّهٍ عقلُه من حبِّ جاريةٍ
موصوفةٍ بكمالِ الحسنِ والأدبِ

خطبتُها إذ رأيتُ الناسَ قد لَهَجوا
بذكرِها، والهَوى يَدعوا إلى العطبِ
فقلتُ: لي حسبٌ زاكٍ ولي شرفٌ
قالوا: الدراهمُ خيرٌ من ذوي الحَسَبِ
إنا نريدُ ألوفاً منك أربعةً
ولستَ أملكُ غيرَ الحِلِّ والقَتَبِ[1]
فامْنُنْ عليَّ أمير المؤمنين بها
واجمعْ بها شملَ هذا البائسِ العربي
فما وراءَكَ بعدَ الله مُطَّلَبٌ
أنتَ الرجاءُ وأقْصى غايةِ الطلبِ

فضحكَ عبدُ الملك، وتَغاضَى عن ادِّعائه بأنه رسولٌ، وأمرَ له بأربعةِ آلافِ درهم وقال: هذا صَداقُ أهلك، وزادَه أربعةً أخرى وقال له: أوْلِمْ بهذهِ، وأنفقْ عليها منها. فقبَضَها ومضى، فتزوَّجَ الجارية.

المصادر:

- أخبار النساء - ابن قيم الجوزية: ٢١١.

(١) القتب: الرحل.

زواج بنات المُحَلَّق

المحلَّقُ هو عبد العُزَّى بنُ حَنْتَم بنِ شَدَّاد بنِ ربيعةَ الكلابيُّ. وقد لُقِّب بالمحلَّقِ لأن حصاناً له عضَّه في وجنتهِ، فحلَّقَ فيه حَلْقَةً. وكان خاملَ الذكرِ، مِئناثاً، فقيراً. لا يَخْطب أحدٌ بناتهِ لإملاقه.

قالتْ له امرأتُه يوماً: مايمنعُكَ من التعرُّضِ لهذا الشاعر؟ فما رأيتُ أحداً اقتطعَهُ إلى نفسهِ إلا أكسَبَه خيراً. وهذا الشاعر هو الأعشى الكبيرُ من أبرزِ شعراء الجاهلية.

فقال لها زوجُها: ويحكِ! ما عِندي إلا ناقَتي، وعليها الحملُ. فقالت: فانْحَرْها واللَّهُ يُخلفُها عليك. قال: فهل له بدٌّ من الشرابِ والمُسوح[1]؟ قالت: إنَّ عندي ذخيرةً لي، ولعلي أجمعُها لك.

ولما قدمَ الأعشى ووافَى سوقَ عُكاظ. تلقَّاه المحلقُ قبل أن يَسبق إليه أحدٌ، وابنُه يقودُه لضعفِ بصرهِ. وأمسكَ بالخطامِ[2]. فقال الأعشى: مَن هذا الذي غَلبنا على خِطامنا؟

(١) المسوح: جمع مسح، وهو كساء من شَعر كثوب الرهبان.
(٢) الخطام: حبل أو كل ما يجعل في أنف البعير ليقادَ به.

قال: المحلقُ. قال الأعشى: شريفٌ كريم. فسلَّمه زمامَ الناقة، فقادَها إلى داره، وأناخَها. ونحرَ له ناقتَه، وكشطَ له عن سَنامِها وكبدِها، ثم سَقاه. وأحاطتْ به بناتُه يغمزْنَهُ ويَمْسَحنه، فقال: ما هذهِ الجواري حولي؟ فقال المحلقُ: بناتُ أخيكَ، وهنَّ ثمانٍ شريدتُهُنَّ[1] قليلة.

وباتَ الأعشى عندَ المحلقِ ليلتَه، ولما أصبحَ قال له: ألَكَ حاجَةٌ؟ قال المحلقُ: تُشيد بذكري، فلعلي أُشْهَرُ فَتُخْطَب بناتي. وخرجَ من عندهِ ولم يقُلْ شيئاً.

فلما وافَى المحلَّقُ سوقَ عُكاظ إذا هو بِسَرْحةٍ، وقد اجتمعَ الناسُ عليها، وإذا الأعشى يُنشِدُهم قصيدتَه التي منها:

لَعَمري لقد لاحَتْ عيونٌ كثيرةٌ
إلى ضوءِ نارٍ باليفاع تُحَرَّقُ

تُشَبُّ لمقرورينِ يصطليانِها
وباتَ على النارِ النَّدى والمُحَلَّقُ

رضيعَيْ لَبانِ ثدي أمٍّ تحالفا
بأسحمَ داجٍ عوضُ لا نتفرَّقُ

فسلَّم عليه المحلقُ وقالَ له: مرحباً يا سيدي بسيدِ قومه. فنادَى الأعشى: يا معاشرَ العربِ، هل فيكم مِذْكارٌ يزوِّجُ ابنَه

(١) الشريدة: الطريدة، أي المتنقلة من بيت أبيها إلى بيت زوجها.

إلى هذا الشريفِ الكريم؟ فما أتَتْ على المحلقِ سنةٌ حتى زوَّجَ البناتِ على مئينَ ألوف.

المصادر:

- سرح العيون - ابن نباتة: ٢٥١.
- الأغاني - أبو الفرج: ٩/١١٥.
- العقد الفريد - ابن عبد ربه: ٥/٣٢٩.
- الأعشى شاعر المجون والخمرة - محمد التونجي: ٦٤.

زواج سُلمى الهذلي

حَدَّثنا سُلمى الهذليُّ قال: كنتُ بسجستانَ مع طلحةَ الطلحاتِ[1]، فلم أرَ أحداً كان أسخى منه، ولا أشرفَ نفساً. فكتب إليَّ عمي من البصرة: إني قد كبرتُ ومالي كثير، وأكره أن أوَكِّلَه غيرَكَ. فأقدِمْ أزوِّجْك ابنتي، واصنَعْ بك ما أنت أهله.

فخرجتُ على بغلةٍ لي تركية، فأتيتُ البصرة في ثلاثين يوماً، ووافيتُ عمي في صلاةِ العصر، فوجدتُه قاعداً، فسلمتُ عليه فقال لي: من أنتَ؟ فقلت له: أنا ابنُ أخيك سُلمى. فسألني: وأين ثِقَلك؟ قلت: تعجلتُ إليك حين أتاني كتابُك، وطرتُ نحوكم. قال: يابنَ أخي، أتدري ما قالت العربُ؟ قلت: لا. قال: قالتِ العرب: شرُّ الفتيانِ المفلسُ الطروب.

فعلمتُ أنه بخيل، فقمتُ إلى بغلتي، فأعدتُ سَرجي عليها، فما قال لي شيئاً. ثم قال لي: إلى أين؟ قلت: إلى

(١) هو طلحة بن عبد الله الخزاعي، كان أجود أهل زمانه في البصرة. وكان يميل إلى بني أمية فيكرمونه، وكان والياً على سجستان، وتوفي فيها حوالي سنة ٦٥هـ.

سجستانَ. فقال: في كنفِ الله. فخرجت فبِتُّ في الجسر. ثم ذكرتُ أمَّ طلحة، فانصرفتُ أسأل عنها، وكان طلحةُ أبَرَّ الناسِ بأمِّه. فقلت: رسولُ طلحة من سجستان. فقالت: ويحك! كيفَ ابني؟ قلت: على أحسن حالٍ. قالت: فللَّهِ الحمد.

وإذا بالعجوزِ قد تحدَّرت وقالت: فما جاءَ بك؟ قلت: كيتَ وكيتَ. فنادت ابنتها: يا جارية، إيتيني بأربعةِ آلافِ درهم. ثم قالت لي: إيتِ عمَّك فابتنِ بابنته، ولكَ عندنا ما تحبُّ. قلت: لا أعودُ إليه أبداً. فقالت: يا جاريةُ إيتيني ببغلةٍ ورِحالة، ثم قالت: راوِحْ بين هذه وبغلتك حتى تأتيَ سجستان. فقلتُ لها: اكتبي بالوصاةِ والحالةِ التي استُقْبلتها. فكتبتْ بوجعها التي كانت فيه، وبعافيةِ الله إياها، وبالوصاةِ بي، فلم تدعْ شيئاً. ثم دُفعتُ حتى أتيتُ سجستان، فأتيتُ باب طلحة وقلت للحاجب: رسولُ صفيةَ بنتِ الحارث، وأنا عابس.

فدخل فخرجَ طلحةُ متوشحاً، وخلفَه وصيفٌ يسعى بكرسي. فقمتُ بين يديه، فقال: ويلك! وكيف أمي؟ قلت: بأحسنِ حال والحمد لله. فقال: انظر كيف تقولُ؟ قلت: هذا كتابُها. فعرفَ الشواهدَ والعلاماتِ. قلت: اقرأ كتاب وصيتها. قال: ويحك، ألم تأتِني بسلامتها؟ حسبُكَ. فأمر لي بخمسينَ ألفَ درهم، وقال لحاجبه: اكتُبْه في خاصة أهلي. ووالله ما أتى عليَّ الحولُ حتى أتمَّ لي مئة ألف.

وسأله صاحبه: هل لقيتَ عمك بعد ذلك؟ قال: لا والله، ولا ألقاه أبداً.

المصادر:

- العقد الفريد: ٦/٩٨.

أقاصيص الكتاب

المقدمة ٥
زواج عاتكة ١١
زواج أبي مسهر ١٨
زواج عمارة بن الوليد ٢٥
زواج أبي دهبل ٢٧
زواج السوداء ٣٠
زواج في البئر ٣٢
زواج سارق ٣٨
زواج عتبة من ريا ٤٠
زواج فتاة غير باكر ٤٨
زواج أرينب بنت إسحاق ٥٠
زواج إبراهيم بن المهدي ٥٨
زواج المتوكل ٦٣
زواج قيس ولبنى ٦٦
زواج عبد الله بن عجلان ٧٥
زواج عبد الله بن عبد المطلب ٧٩
زواج ابن الفرند ٨١
زواج يزيد من سلاّمة ٨٣
زواج بأمر الخليفة ٨٦
زواج عبّود ٨٩

زواج صخر ٩١
زواج المأمون من بوران ٩٤
زواج حمدونة ٩٧
زواج عبدَيْن ١٠٢
زواج ابن دأب ١٠٣
زواج في السفينة ١٠٥
زواج عِنّين ١١١
زواج مملوكة أم المقتدر ١١٥
زواج عمر بن أبي ربيعة ١١٩
زواج بنات ذي الإصبع ١٢٣
زواج الفرزدق من النّوار ١٢٧
زواج عدي من هند ١٣٠
زواج النضيرة بنت ضَيزن ١٣٤
زواج عائشة بنت طلحة ١٣٧
زواج لم يتمّ ١٤١
زواج الحجاج من أم كلثوم ١٤٥
زواج امرىء القيس ١٤٨
زواج أعرابي ١٥٢
زواج الحارث بن عوف ١٥٤
زواج بالجملة ١٥٩
زواج المَقْت ١٦٢
زواج شارية ١٦٤
زواج محمد بن بشير الخارجي ١٦٩

زواج خُليدة سراً ١٧١
زواج عثمان من نائلة ١٧٣
زواج زينب من شُريح ١٧٧
زواج الأميرة بنت الجودي ١٨١
زواج حاتم الطائي ١٨٤
زواج عبد الله بن جحش ١٩٠
زواج لقيط بن زرارة ١٩٣
زواج متمم العبدي ١٩٨
زواج الحجاج من هند ٢٠١
زواج المتجردة ٢٠٧
زواج مسيلمة الكذاب ٢١١
زواج فاطمة بنت الحسين ٢١٥
زواج هند من عبد الله ٢١٨
زواج إبراهيم الموصلي ٢١٩
زواج عُفيرة بنت غفار ٢٢٢
زواج أم كلثوم ٢٢٨
زواج زوجة أخيه ٢٣٣
زواج بالمراسلة ٢٣٦
زواج ابنة العم ٢٣٨
زواج العُريانة بالطواف ٢٤٢
زواج نسيم ٢٤٥
زواج تاجر ٢٤٧
زواج هَجين ٢٤٩

زواج مغنية ٢٥١
زواج بأمر أبي بكر الصديق ٢٥٣
زواج رسول كاذب ٢٥٥
زواج بنات المحلق ٢٥٧
زواج سُلمى الهذلي ٢٦٠
أقاصيص الكتاب ٢٦٣